الشارع المغاربي

أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 362 - من الثلاثاء 6 إلى الاثنين 12 جوان 2023 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com - البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

موقف الاسبوع

الترفيع بنقطة واحدة في نسبة الفائدة المديرية يزيد في أرباح البنك المركزي بـ 160 مليون دينار

بقلم : عز الدين سعيدان

افتتاحية

أبواب موصدة وآذان صمّاء: من المسؤول؟

بقلم : الصادق بلعيد

هل حلّ زمن خرق القانون في دولة يرأسها أستاذ قانون؟

روضة القرافي الرئيسة الشرفيّة لجمعية القضاة :

تسميات تمّت بأخطر الآليات على استقلالية القضاء

شغورات في 7 وظائف كبرى تم سدها عبر مذكّرات عمل صادرة عن وزيرة العدل لم تُعرض على المجلس الاعلى للقضاء

لماذا تبني الصين شبكة انترنت خارقة وهل تهزم إيلون ماسك وأمريكا؟

حريف يتهم ATB بالاستيلاء على أكثر من 200 ألف دينار من حسابه عبر عمليات وهمية

أبواب موصدة وآذان صمّاء: من المسؤول؟

بقلم : الصادق بلعيد

لقد طرقنا أبوابا كثيرة وأبلغنا صوتَنا إلى آذان عديدة، ولم نجد الا أبوابا موصدة وآذانا صمّاء.

1 -لنبدأ بذلك الباب الأكثر صيتا والأعظم وزنا والأشد عقلانية وصرامة وشفافية في تعامله مع من يقصد بابه ويلتمس سخاءه: نعني "صندوق النقد الدولي". في كنف تلك النواميس، يشهد الجميع بأن هذه المؤسسة العالمية تجتهد بكل جدية في دراسة ملفات الدول المقترضة بل وتساعد البعض منها بالمفاوضات والزيارات المحلية والتشاورات اليومية حول تقديم ملفاتها على الوجه الأفضل مثلما دلّت على ذلك ملفات قروض قدّمتها حديثا دول على يمين بلادنا وعلى يسارها.

فما السرّ في تعطّل الملف التونسي؟ - هل المسؤول فيه الصندوق "الدائن" ام... الدولة 'المدينة'؟ - الحقيقة القاهرة هي ان لـ"الصندوق" ضوابط وشروط يطبقها في تعامله مع كل الدول على قدم المساواة بينها ويحترم في كل واحد منها كونه كلّية سياسية ذات سيادة واحترامية. وهذا ما يملي عليه الامتناع "المطلق" عن اختراق تلك النواميس لخوفه من أن تنهار مصداقيته وثقة الجميع فيه في صفقة واحدة؛ لهذا، فإن سبب الافتراض الوحيد للرفض أو للتسويف هو "المدين'' طالب القرض، بنفسه، وذلك لسببين متكاملين وواضحين: السبب الأول هو أن هذا "المدين" كان قد تحصّل على قروض سابقة من "الصندوق" وأنه أساء استعمالها بتحويلها لغير مقاصدها. وهذه، لوَحدها، غلطة لا تغتفر. أما السبب الثاني فقد يكون أشنع من الأول: العنصر الأول منه هو أن لكل دائن الحق في طلب ضمانات موثقة لتأمين القرض، و"الصندوق" كمثله من سائر الدائنين، طلب من البلاد التونسية ما يراه صالحا وضروريا من شروط وتعهدات، وأمهل الحكومة التونسية مرات عديدة لاستكمال تلك الشروط؛ فحصل ما لم يكن من المتوقع، وهو الذي تمثل في أن "المدين" رفض تلك الشروط بتعلة انها لا تحترم السيادة الوطنية التي لا نقاش فيها "على الاطلاق". والعنصر الثاني، وهو اغرب من السابق، يتمثل في التناقض الفادح بين موقف رئيس الدولة الرافض، من جهة، وبين موقف حكومة الرئيس نفسه في مواصلة المفاوضات مع "الصندوق" على أساس شروطه، من جهة اخرى.

وإن من سوء طالع هذا البلد وسياساته المتذبذبة والمتناقضة هو انه، مهما كان المآل النهائي لهذا القرض، فإن الزمن يجري ضد مصالح البلاد بحكم أن خنَاق الديون والاستحقاقات المالية العالقة ببلادنا في السنة الحالية والسنة القادمة، سيزداد ضغطا على المالية التونسية يوما بعد يوم وانه، إذا استمر هذا الأمر على هذه الشاكلة، فإن تونس ستخسر فرصة ثمينة في علاقاتها مع "الصندوق" ومع من وراءه من المؤسسات المالية الدولية، وقد ينزلق بها هذا السلوك الى مواجهة بلادنا للمُرّ الذي أُكرهَت عليه في زمن غير بعيد، أي اللجوء الاجباري الى "نادي باريس للرهانات"، وما ادراك ما "نادي باريس للرهانات". وليعلم الجميع أننا غير معصومين ولا بعيدين عن هذه الفرضية السوداء.

2- إذا تبين لنا ان هذا الباب مسدودا أو صعب فتحه، فهل سنجد مخرجا آخر يعتمد على مشاعر الأخوة والتضامن على أساس التشارك في الدين والتاريخ والقيم الحضارية ؟ - قد تكون الاجابة بدقة على هذا السؤال صعبة، ولكن حسب ما تم تداوله من اخبار وتسريبات وتكهنات صحفية متواترة، فإنه يبدو ان ساستنا حوّلوا اتجاههم من اقصى الغرب الى اقصى الشرق وذكروا أن بلدنا في حاجة ماسة الى اعانة استثنائية وعاجلة تساعد الدولة التونسية على حماية سيادتها وحرمتها وسمعتها بين الدول. لكن، فإنه ليس من المفاجئ إن كان الردّ إما بالتسويف واما بالاعتذار الدبلوماسي المعهودَين، وذلك بتعلّة وجوب الحصول المسبق على قرض من "الصندوق النقد الدولي"، وهذا هو ما يقارب "رد الراعي للراعية"، مثلما يقال؛ ولا تأمل كثيرا من الأقرب من الأقرباء، فإن ثمن مساعدته قد يكون كغيره اغلى بكثير كمّا وكيفا بحكم ان لكلّ مصالحه وحساباته.

3- إذا انقطع الأمل في الفوز بالقروض او بالإعانات من الخارج، فما هي حظوظنا في الاستنجاد بالمجهود الداخلي؟ - هنا، جاء رئيس الدولة بما لا يشفي الغليل حين قال: "لم يبق لنا الا الاتكال على أنفسنا وعلى قدراتنا الوطنية؛ لكن هذا الجواب لا يفي بالمطلوب على الاطلاق " لأسباب عديدة: أولا، إذا كان في الموارد الداخلية ما هو كاف لسد الحاجة، فلماذا توجهنا الى المعونة الخارجية والى التعرض الى أجوبة ومعاملات لا تليق بسيادتنا وبحرمتنا الدولية؟ - ثانيا: ألا يعلم ساستنا ان عجزنا المالي يعد بآلاف المليارات وان إمكانات البلاد الداخلية غير قادرة "على الاطلاق" على تحمّل مثل ذلك العبء؟ ثالثا: لقد لجأت الدولة الى الاقتراض من البنوك الوطنية وبالخصوص، الى رصيد العملة الصعبة المودعة لديها (ما يناهز ما بين 5 و7 ملايين دولار). لكن في هذه الحال، ربما سيكون الدواء أخطر من الداء باعتبار أن تلك الأموال هي بمثابة 'الوديعة' المؤمّنة من طرف أصحابها لدى البنوك التونسية يتصرفون فيها حسب ارادتهم حصرا، وفي كل لحظة ودون سابق انذار .رابعا: من المعلوم عند الجميع أن الدولة مكبّلة بقروض أخرى ثقيلة جدا، منها "سندات الخزينة" والقروض على حسابات الخواص وان مجموع كل هذه القروض والالتزامات لا يمثل فقط عبئا ثقيلا على الدولة يرجع أساسها الى سوء التصرف في المال العام من طرف الحكومات المتتالية وإنما يمثل أيضا إضعَافا للادخار الخاص وبالتالي إضعافا للاستثمار الداخلي وللاقتصاد الوطني، بصفة اعم. فهذه التصرفات البهلوانية هي بمثابة التدابير التلفيقية اليائسة ولا أمل في الاعتماد عليها لحل هذا المشكل المالي الشائك. وبذلك، فإن الادعاء الذي جاء به رئيس الدولة والداعي الى "الاعتماد على النفس" ما هو الا ضربة سيف في البحر وهو مجرد استخفاف بالمواطنين.

4- ومن سوء الطالع ان رئيس الدولة فكّر من جهة أخرى في تكريس ما اعتبرها أموالا طائلة تُعدّ بالمليارات من الدنانير وهي أموال شبه جاهزة للاستعمال الآني والسريع مما يعني ان الخطة التي تفضّل بها رئيس الدولة في سبيل النهوض بالاقتصاد الوطني وإنقاذ البلاد من الورطة التي طال مداها ستحصل عن طريق ما هي في الحقيقة سوى أموال فاسدة ومسروقة كدّست بفعل من ارتكب الجرائم في حق وطنه وخانه بلا مبالاة وبلا حساب ولا عقاب. خامسا: زد على ذلك أنه، مهما يكن من أمر، فإنه لا شك ان هذه الأموال الفاسدة هي في الحقيقة صعبة المنال مثلما تبيّن ذلك من المحاولات الرئاسية اليائسة القريبة العهد. فكل هذه التخمينات هي مجرد أضغاث أحلام لا يأمل من ورائها السقيم المشرف على الهلاك أي خير ولا أية جدوى ملموسة.

5 - ولقائل ان يسأل: "من المسؤول عن كل هذه التعثرات والإخفاقات" ؟ - قد يجيب البعض "إنما ترجع المسؤولية في هذا الى عجز المؤسسات الدستورية والسياسية الحالية وقصورها في ترتيب الشؤون الوطنية، والى انعدام تجربتهم الحكمية في هذا المجال المصيري، فكما قيل سابقا، 'ليس كل من يركب الخَيل فارسا". ربما يوجد في هذا الرد بعض الصواب؛ لكن نسبة الصواب فيه ضئيلة لسبب بديهي ولا هروب منه: "من الذي عيّن تلك السلط وانتدب أصحابها" ؟ - فنقول ردا على هذا السؤال: على التونسيين الاقتداء بتلك التجربة الفاشلة وان يأخذوا "الديمقراطية"- التي يقال إنهم اختاروها أساسا لإدارة شؤونهم -، على محمل الجد وان يستبصروا أمرهم بكل وعي ومسؤولية وان يستفيقوا من غفوتهم ويستيقظوا من سباتهم. فلا نجاة ولا خلاص الا بالمبادرات الصادرة من صميم الضمير الوطني ومن حكمة هذا الشعب الأبي....

تساؤلات

حضور رضا الشكندالي استاذ الاقتصاد اللقاء الذي جمع يوم الأربعاء 31 ماي الماضي بقصر قرطاج رئيس الجمهورية قيس سعيد بمجموعة من الأساتذة الجامعيين أثار تساؤلات العديد من الملاحظين المهتمين بالشأن الاقتصادي والاجتماعي في تونس.

السبب أن الشكندالي كان قد ساهم في إعداد "البرنامج" الاقتصادي لحركة النهضة وحاضر في منابرها بما طرح علامات استفهام حول كيفية انتقاء الخبراء الذين يتم تقديمهم للرئيس لحضور نقاشات ذات صلة بالشأن العام وخصوصا الشأن الاقتصادي خاصة أن الشكندالي معروف بالنظر لمواقفه وتصريحاته السابقة بأنه من أنصار التداين الخارجي الذي يرفضه رئيس الجمهورية ويفضّل تبنى سياسة اقتصادية تقوم على التعويل على الموارد الذاتية للدولة وتجنب التداين وتركيز سياسة اقتصادية تضمن سيادة تونس.

مشاريع تنقيحات

ناشطون بالمجتمع المدني اعتبروا ان القوانين المنظمة للبنوك والايجار المالي والتعامل بالصكوك كبّلت الاقتصاد وقتلت روح المبادرة وتسببت في افلاس آلاف المؤسسات الصغرى والمتوسطة وأحالت عشرات الآلاف من العمال على البطالة فضلا عن تهديد المئات من المستثمرين بالسجن جراء تغوّل شركات للايجار المالي وصعوبة النفاذ الى القروض وتفاقم اقتصاد الريع.

الناشطون كشفوا لأسبوعية "الشارع المغاربي" أنهم يعتزمون تنظيم لقاءات بين خبراء في القانون والاقتصاد وعدد من أعضاء مجلس نواب الشعب للنظر في صياغة مشاريع قوانين لادخال تنقيحات على القوانين المنظمة لأنشطة لقطاعات الثلاثة مشيرين الى انهم تلقوا تعهدا من خبراء في القانون بالتكفل بصياغة المشاريع في صورة ترحيب النواب بالاقتراح.

هجوم جائر

رئيسا مجلس النواب والشيوخ المغربيين وجّها انتقادات لاذعة الى البرلمان الأوروبي واصفان قراره يوم الخميس الماضي ادراج المغرب بقائمة الدول الأجنبية "المتهمة بالتدخل في شؤون دول الاتحاد الاوروبي" بـ "الهجوم الجائر".

قرار الاتحاد الأوروبي جاء بعد مرور 9 أيام على رسالة مشتركة كان قد وجّهها رئيسا مجلس النواب والشيوخ المغربيين الى رئيسة البرلمان روبرتا ميتسولا أعربا فيها حسب ما ذكرت "وكالة المغرب العربي للأنباء " عن استياء المملكة من "المواقف المجحفة" التي اتخذتها المؤسسة التشريعية الأوروبية طبقا لمسودّة "التدخل الأجنبي في كل العمليات الديمقراطية للاتحاد الأوروبي بما في ذلك المعلومات المضللة" والتي تم نشرها يوم 15 ماي الفارط عن طريق اللجنة الخاصة حول "التدخل والمعلومات المضللة وتعزيز النزاهة" في البرلمان الأوروبي.

زووم

تقرير أممي:
33 ٪ نسبة التعرّض للفقر في تونس

كريمة السعداوي

نشرت لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (إسكوا) نهاية الشهر الفارط التقرير العربي الثاني حول الفقر المتعدد الأبعاد وذلك بناء على اربعة ابعاد هي الصحة والتغذية والتعليم والسكن والحصول على الخدمات والأصول أي الممتلكات. وقدّم التقرير تحليلا مستفيضا لنطاق الفقر المتعدد الأبعاد في البلدان العربية متناولا بالدرس خصائصه وتطوّره عبر الزمن إضافة الى كشف الاتجاهات التي سادت في العقد الماضي على هذا الصعيد وتداعيات الأزمات المتعددة التي عرفتها المنطقة والتي اثرت على مستويات الفقر فيها.

واتسم التقرير باستناده إلى نسخة منقحة من إطار الدليل العربي للفقر المتعدد الأبعاد طبقها في ستة بلدان متوسطة الدخل (تونس والأردن والجزائر والعراق ومصر والمغرب) وفي دولة فلسطين لرصد المستويات المعتدلة لفقر الأسر.

وبالرجوع الى المعطيات الواردة في التقرير فقدتوقفت جهود تونس في الحد من الفقر المتعدّد الأبعاد على مدى العقد الماضيرغم ملاحظةتحسن في تغذية الأطفال قابلها تدهور في فرص التزويد بالمياه.

وحسب تقرير الاسكوا فإنه رغم انخفاض الفقر الشديد بغالبية الدول العربية لا يزال التعرض للفقر متعدد الأبعاد كبيرا، حيث يتجاوز 20 في المائة بجميع الدول، ولكنه يقترب أو يتجاوز 30 بالمائة في تونس والجزائر. كما ابرزت بيانات التقرير الاممي أنّ نسبة السكان المعرّضين للفقر في تونس استقرت بين سنتي 2011 و2018 في حدود 33 في المائة وأن نسبة الفقر متعدد الأبعاد انخفضت من 21.82 في المائة سنة 2011 إلى 14.91 في المائة سنة 2018.

ولفت التقرير، في جانب اخر، الانتباه إلى أنّ نسبة الأطفال الفقراء الذين يعانون من صعوبات في التغذية بلغت في تونس سنة 2018 نحو 22.5 بالمائة للشريحة العمرية من 0 إلى 4 سنوات وأن نسبة الأطفال الذين يواجهون صعوبات في النفاذ إلى التعليم تناهز 15.1 بالمائة للشريحة العمرية من 5 إلى 17 سنة. ويرتبط النفاذ للتعليم وفقا للإسكوا عموماً بعلاقة عكسية مع الفقر متعدِّد الأبعاد إذ كلما ارتفع مستوى التعليم، قل احتمال الفقر المتعدِّد الأبعاد وقد لوحظت آثار حادة لذلك في تونس.

وخلص التقرير إلى أنه في حين أن عدد الفقراء آخذ في الانخفاض بشكل عام، فإن عددا كبيرا من سكان الدول العربية المتوسطة الدخل مازالوا معرّضين لخطر الوقوع في براثن الفقر وهو ما يفرض بذل المزيد من الجهود لانتشالهم من هذه الآفة.

كما جرت الإشارة الى انه من المؤكد أيضاً أن تكون جائحة كوفيد19- قد تسببت في ارتفاع معدلات الفقر والتعرض للفقر غير ان المسوحات المستخدمة في التقرير لا تأخذ بعين الاعتبار هذا الأثر لأنها نفّذت في ما بين 2017 و2019.

ويختلف انتشار الفقر باختلاف المناطق والفئات الاجتماعية والاقتصادية حيث لا تزال المناطق الريفية أقل حظوة، باعتبار تعاني من مستويات حرمان أعلى. فعلى سبيل المثال فان نسبة تعرض سكان الريف في تونس للفقر متعدد الأبعاد تفوق أكثر من ثلاثة أضعاف نسب تعرض سكان المناطق الحضرية وذلك حسب معطيات التقرير.

ويشكّل الانقطاع عن التعليم في المناطق الريفية والحضرية على حد سواء العامل الرئيسي في الوقوع في الفقر رغم أن مساهمات بعدي السكن والحصول على الخدمات في الفقر تميل إلى أن تكون أعلى في المناطق الريفية.

وخلص التقرير إلى أنّ اعتماد الدول العربية متوسطة الدخل إلى حدّ كبير على الصادرات وتحويلات العاملين في الخارج والسياحة شهد مصائر متباينة خلال جائحة كوفيد - 19 والأزمات المتداخلة الأخرى، إذ انخفض الناتج المحلي الإجمالي في عام 2020 بنسبة 8.6 بالمائة بتونس على سبيل المثال بسبب انعدام الاستقرار الاقتصادي والسياسي السائد في البلاد. ورغم العبء الناجم عن تضخم نسبة الدين مقارنة بالناتج المحلي الإجمالي، فإنه من المتوقع وفقا لتقرير الاسكوا أن يستعيد النمو زخمه في تونس خلال سنة 2023 ثم 2024.

الترفيع بنقطة واحدة في نسبة الفائدة المديرية يزيد في أرباح البنك المركزي بـ 160 مليون دينار

بقلم : عز الدين سعيدان

سمعت العديد من الصحفيين والأساتذة الجامعيين يعبرون عن ارتياح شديد للأرباح التي حققها البنك المركزي سنة 2022.

القوائم المالية التي قدمها محافظ البنك المركزي خلال الأسبوع الفارط "بكل فخر واعتزاز" الى كل من رئيس الجمهورية ورئيسة الحكومة ورئيس مجلس النواب تبين أن البنك المركزي حقق أرباحا بـ 715 مليون دينار خلال سنة 2022 وأن نصف هذه الأرباح ذهب لتغطية جزء من عجز ميزانية الدولة.

هل هذه النتائج تبعث فعلا على الارتياح أو على "الفخر والاعتزاز"؟ لكم بعض التساؤلات في هذا المجال :

1 – ان كان تحقيق مثل هذا المستوى من الأرباح شيئا جيدا فلماذا لا نستزيد منه؟

زيادة بنقطة واحدة في نسبة الفائدة المديرية التي يحددها البنك المركزي في اطار سياسته النقدية تزيد في مرابيح البنك المركزي بـ 160 مليون دينار . كما تزيد في مرابيح البنوك بحوالي 300 مليون دينار. إن كان الوضع كذلك فلماذا لا نزيد في نسبة الفائدة المديرية بنقطتين أو بـ 5 نقاط أو حتى بـ 10 نقاط أو أكثر من ذلك.

2 – هل أن البنك المركزي والذي رأس ماله 6 ملايين دينار مطالب بأن يحقق أرباحا بهذا المستوى أم هل أنه مطالب فعلا بتقديم سياسة نقدية مجدية تكون في خدمة الاقتصاد الوطني؟

3 – هل احتسبنا تأثيرات هذا المستوى من الأرباح على الاقتصاد التونسي وهل قيمنا تأثير السياسة النقدية على وضع الاقتصاد التونسي ووضع المؤسسة الاقتصادية التونسية وعلى وضع المواطن التونسي؟

4 – أليست أرباح البنك المركزي شكلا من أشكال الضرائب المفروضة على المواطن التونسي وعلى مؤسساتنا الاقتصادية؟

5 – ما هو المصدر الأساسي لأرباح البنك المركزي؟ بيان البنك المركزي يجيب عن هذا السؤال. أهم مصدر دخل للبنك المركزي يخص إعادة تمويل (أو إقراض) البنوك التونسية التي أقرضت الدولة التونسية. مداخيل البنك المركزي من إعادة تمويل البنوك وصلت إلى 808 ملايين دينار خلال سنة 2022.

6 – من أين يأتي البنك المركزي بالموارد المالية التي يقرضها للبنوك؟ طبعا المصدر الوحيد هو PLANCHE À BILLETS أو طبع الأوراق النقدية دون أن نعني بهذا الطبع المادي. أي تمويل من قبل البنك المركزي لعجز ميزانية الدولة سواء كان ذلك مباشرا (ديسمبر 2020) أو عبر البنوك فهو PLANCHE À BILLETS . أي ضخ سيولة في الدورة الاقتصادية دون مقابل نشاط اقتصادي نتيجته الحتمية تكون في شكل تضخم مالي وهبوط في القيمة الحقيقية للدينار التونسي.

7 – هل رأيتم بنكا مركزيا واحدا في العالم يفتخر بتحقيق أرباح ويقدم قوائمه المالية "بكل فخر واعتزاز"؟ هل يجب أن تكون السياسة النقدية في خدمة الاقتصاد أم في خدمة ماذا ومن ؟

والآن إلى السؤال الأهم : هل تعلم تونس فعلا ماذا تريد مع العلم أنه مثلما قيل "ليس هناك رياح مواتية لمن لا يدري إلى حيث يتوجه؟".

الكل يعلم أن الوضع الاقتصادي والمالي بتونس حرج وخطير الى حد بعيد. ولكن هل نريد فعلا اصلاح هذا الوضع الاقتصادي والمالي؟ منذ أفريل 2021 تقدمت تونس لصندوق النقد الدولي بطلب قرض جديد وكان الطلب مرفوقا ببرنامج إصلاحات تونسي. ثم أكدت الحكومة الحالية هذا الطلب مع تقديم نسخة جديدة لبرنامج إصلاحات اعتبره المسؤولون الثلاثة أي وزيرة المالية ووزير الاقتصاد والتخطيط ومحافظ البنك المركزي برنامج إصلاحات تونسي بحتا لا دخل لأي طرف أجنبي وبالخصوص صندوق النقد الدولي، في تحديده. وهذا يعني أنه ليست هناك أية املاءات من صندوق النقد الدولي أو من أي طرف آخر. والآن وبعد التوصل الى اتفاق مبدئي مع صندوق النقد الدولي في 15 أكتوبر 2022 على أساس نفس برنامج الإصلاحات الذي تقدمت به السلط التونسية أصبحنا نرفض "املاءات" صندوق النقد الدولي. صندوق النقد الدولي يؤكد رسميا أنه لم يفرض أية إملاءات على تونس وأكثر من ذلك أنه لم يتلق من السلط التونسية أي طلب لتعديل برنامج الإصلاحات الذي تقدمت به السلط التونسية نفسها.

هل تعرف تونس فعلا ماذا تريد؟

يبدو أن تونس تريد الحصول على قرض صندوق النقد الدولي دون القيام بالإصلاحات التي تعهدت بها السلط التونسية نفسها مع العلم أن هذه الإصلاحات ضرورية ولا مفر منها وأنها تأخرت كثيرا ممّا جعل العالم من حولنا يهتم بشأننا الاقتصادي والمالي أكثر منّا ويتساءل ماذا تنتظر السلط التونسية للدخول في إصلاحات اقتصادية ومالية تمكنها من انقاذ اقتصادها. ولماذا تربط السلط التونسية هذه الإصلاحات بالمحادثات التقنية أو المفاوضات مع صندوق النقد الدولي؟

ماذا يمكن أن تكون نتيجة الحصول على موارد مالية خارجية دون القيام بالإصلاحات؟

ان كانت السلط التونسية تسعى فعلا للحصول على قرض أو قروض أجنبية دون القيام بالإصلاحات فيا خيبة المسعى. وإن حصل ذلك فسيؤدي حتما الى مزيد اثقال كاهل تونس بديون إضافية لا جدوى لها وسيزيد في تعقيد الوضع الاقتصادي والمالي والدفع بتونس نحو التعثر في تسديد مستحقات الدين الخارجي والدخول في دوامة إعادة جدولة الدين مرورا بصندوق النقد الدولي للموافقة على إعادة جدولة الدين الخارجي والمرور أمام نادي باريس الذي يخص إعادة جدولة كامل الدين الخارجي وليس الدين الخارجي الثنائي فقط مثلما يدّعي البعض.

اذا رفضت تونس الإصلاحات والتعامل مع صندوق النقد الدولي فكيف يمكن للبنك الدولي والجهات المانحة الأخرى التعامل معها ؟ هل تعرف تونس ماذا تريد فعلا؟

ألم يصرح كل من وزير الاقتصاد والتخطيط ووزيرة المالية ومحافظ البنك المركزي أن لا بديل لتونس عن قرض صندوق النقد الدولي وأن ليس هناك مخطط بديل (PLAN B) ؟

ألم تُبنَ ميزانية الدولة لسنة 2022 على فرضية الحصول على قرض صندوق النقد الدولي في أجل أقصاه 31 مارس 2022 . ميزانية 2022 لم تغلق الى حدّ الآن.

ألم تُبنَ ميزانية الدولة لسنة 2023 على فرضية الحصول على قرض صندوق النقد الدولي أيضا ولكننا نرفض الآن "إملاءات صندوق النقد الدولي"؟

ألم تخفض السلط التونسية سنة 2023 في ميزانية صندوق الدعم بـ 26,3 ٪ في اطار اصلاح منظومة الدعم بتوجيهه الى مستحقيه؟

وصلنا الان الى منتصف السنة ولم نصلح شيئا بل أكثر من ذلك نحن غيرنا التوجه 180 درجة وأصبحنا نفكر في فرض ضريبة جديدة على كل من لا يستحق الدعم. من سيحدد من لا يستحق الدعم يا ترى؟

لقد فشلنا منذ عقود في اصلاح الجباية حتى أصبح الضغط الجبائي في تونس أعلى ضغط جبائي في افريقيا ومقارنة بالعديد من بلدان العالم وها نحن نضيف ضريبة أخرى. هل قمنا بدراسة مدى تأثير ضريبة جديدة على محركات النمو وخلق الثروة وخلق مواطن الشغل؟

هناك حديث متواتر عن إمكانية حصول تونس على قرض أو قروض من جهات مانحة أخرى مثل الـ"بريكس" وخاصة من الصين.

هل سمعنا سفير الصين في تونس يقول بمناسبة زيارة وفد رسمي عن الحزب الشيوعي الى تونس الأسبوع الفارط أن ليس لتونس بديل عن صندوق النقد الدولي؟

هناك أيضا تخوف كبير من تأثير الإصلاحات على الوضع الاجتماعي في تونس فهل احتسبنا أو قيّمنا تأثير عدم القيام بالإصلاحات على الوضع الاجتماعي في تونس؟ لما تكون السلط عاجزة عن تزويد منتظم للسوق بالمواد الأساسية مثل مشتقات الحبوب والدواء والمحروقات والسكر والقهوة والأرز والزيت النباتي والتي هي مواد من اختصاص واحتكار المؤسسات العمومية أي الدولة فهل يمكن أن ننتظر أن يتعامل معنا الخارج في ميادين التجارة أو الاستثمارات أو التمويل بصفة طبيعية؟

كيف ستمول تونس ميزانية 2023 التي تحتاج الى قروض جديدة خلال سنة 2023 بما لا يقل عن 25 مليار دينار منها 15 مليار دينار من الخارج؟ كيف ستواجه تونس استحقاقات الدين العمومي لسنة 2023 والتي حدّدتها ميزانية 2023 بـ 21 مليار دينار؟

كم هي عديدة الأسئلة ولكن لا من مجيب. هل تعرف تونس فعلا ماذا تريد مع العلم أنه ليس هناك رياح مواتية لمن لا يعلم الى حيث يتوجه؟

هل حلّ زمن خرق القانون في دولة يرأسها أستاذ قانون؟

صالح مصباح

"الشخصية المهنية" مصطلح يتقاطع فيه مبحثا الفلسفة وعلم النفس. وبيانه، باختصار مُخِلّ، أن الفرد الذي يمارس مهنة مّا بصفة متصلة، إنما تكون لها بصمة على شخصيته وعلى مزاجه. وهي بصمة تتخذ بالتراكم محلًا لها فيهما اتخاذا غير واع غالبا. وإذا قسنا على ذلك رئيس تونس اليوم جاز أن نرصده رئيسا اليوم وأستاذ قانون قبل ذلك. ولا عجب في أن نتوقع انطباع شخصيته رئيسا بعناصر مهنته الأصلية مدرسا للقانون. وهو انطباع جائز متى رشَّده الإعتدال والرقابة الذاتية التي لا تُخضِع اللاحقَ للسابق، لاسيما في المجال العام الذي هو شأن الكافة من المواطنين وليس شأن مزاج فردي خاص.

1/المدرس وليس القانوني:

لعل ما يبعث غلى التعجب هو أنّ "شخصية سعيد السياسية" قد انطبعت ، في غُلوّ، بمهنة التدريس، لكنها لم تنطبع، ولو باعتدال، باختصاص التدريس. وإن الأصل هو أن تستوعب مقتضيات المنصب الرئاسي رواسب اشخصية المهنية الأصلية استيعابا غالبا قد يجيز منها الهامش القليل الذي يصعب نسخُه.

من مظاهر هيمنة المدرس على الرئيس لدى سعيد أنه يصرّ على أن يتكلم ويصرّ على ألاَ ينصت. وأنه يخاطب جُلّاسه الرسميون من موقع المدرس، ويجري عليهم موقع الدارسين عليه. ومن ذلك أن استطرادات المدرّس الجائزة، والتي لا تبعات لها، إنما تلازم سعيد رئيسا، فيسقط في عثرات خطابية لا يسمح بها المنصب الرئاسي، فَيَنجَبِرَ على إصلاحها. وقد يكون في إصلاحها إظهارها، لأنّ للإصلاح بدوره مراسمَ رئاسية يفسدها سعيد بخَطَابة المدرس. ومن ذلك أن "سلطة المدرس المعرفية " إذا جاز الإستئناسُ "بميشال فوكو"، قد ذوّبت في محلولها مقتضيات الرئاسة. ذلك أن الدارسين لا ينازعون مدرّسهم في تلك السلطة المعرفية وإن جادلوه جدالا يسمح به، ولا ينافسون منزلته بمنازلهم، ولا يشاركوه أهليته لاختبارهم وتقويهم بما يسند إليهم من الأعداد.

تبدو هذه العلاقة العمودية المدرسية قد طبعت علاقة سعيد رئيسا بعموم التونسيين وبالمجتمع السياسي والاقتصادي الخ.... فلا علم لهم جميعا بخلاف علمه، ولا قرار بخلاف قراره، ولا قول يشق قوله، ولا سلطة بخلاف سلطته على الكافة، ولا نظام عيش لشعب تونس بخلاف ما يرسم له، وعلى الكل أن يتعلم عليه صامتا، صاغرا، مطيعا. ومن يمرق على ذلك قد يغادر قاعة الدرس إلى السجن الذي يبدو انه ماسك بجل مفاتيحه ا. وقد زاد على

احتكار المعرفة باحتكار النقاء. فهو النقي، النظيف، العفيف، ومن لا يتجانس مع رؤاه فاسد ، خائن، مفسود.

لكنّ القانونيَّ في شخصية سعيد قد انقطع حبلُ اتّصاله به رئيسا، حتى كأنه ، من فرط الاجتهادات القانونية، قد جاء الرئاسة مِن رياضة الجمباز. وقد تجلّى ذلك في كامل مسار الخامس والعشرين من جويلية 2021 ، ابتداء من لَيِّ رقبة الفصل 80 من الدستور السابق وإنطاقه بما لم يقل قط، ومن استثمار ما صنع غيرُه لإزاحة حكمُ إخوان النهضة و"برلمانُ شيخهم"، ومرورا بالإنثناء على من عَهَد إليهم إعداد مشروع دستور، وبالقفز بين فصول الدستور السابق بقدم في فصل وأخرى في آخر، فاستراح عالقدمين في الفصل المريح، وباستشارةٍ واستفتاء وانتخابات جرت تباعا حلقات تشبه المساخر، وصولا إلى مرحلة الحكم الفردي المطلق الذي لا تسنده أية شرعية قانونية ، بما في ذلك شرعية القوانين التي سنها هو نفسه.

2/هل هي مرحلة الإختراق الصريح؟ :

يبدو أن سعيد قد رأى أن كل أجهزة السلطة وكل مؤسسات الدولة قد أضحت طوع بنانه. والراجح أنه استحسن هذه الحال واستمرأ طعمها. فقد كف عن الإنثناء على القوانين، وصار اليوم اختراقُها الصريح متاحا، مستساغا، لا سيما أن كل السلطات المضادة أو الرقيبة لا أثر لها ولا أدوار. صار ذلك الإختراق الصريح غير قليل في هياكل القرار.

فلما قضت المحكمة الإدارية بإرجاع القضاة المعزولين إلى مهنهم، ضرب سعيد بالحكم القضائي عرض الحائط، وذهب بعض القضاة بذنوب البعض، إذا سلمنا بالتهم الرائجه عن بعضهم والتي قد يصعب إنكارها أو تبرئة المتهمين بها منها. لكن الأصل هو في مشكل أن ترفض السلطة التنفيذية أن يعلوَ القانون وأن ترفض أن تعترض عليه بالوسائل القانونية.

ثم إن التعيين الأخير على رأس الإذاعة الوطنية، والذي به صارت" هندة بن علية غريبي" رئيسا لها مديرا عاما هو تعيين لم تتبع فيه الحكومة مقتضيات القانون. فقد اعترضت على هذا التعيين هيئة القطاع السمعي البصري" الهايكا". وحجتها أن القانون الأساسي عدد 16 المتعلق بتنظيم القطاع ينص في فصله 19 على وجوب "استشارة الهايكا"في كل تعيين على رأس مؤسسة سمعية بصرية عمومية. وجاء التعيين بخلاف منطوق النص القانوني، مما دفع "الهايكا" إلى أن ترفع قضية لدى المحكمة الإدارية، وإلى أن تدعوَ الإعلاميين إلى الدفاع عن استقلاليتهم، وإلى اعتبار ذلك التعيين الأحادي المخالف للقانون هو من قبيل الحرص الرسمي على إعلام عمومي تابع للسلطة.

ولا يختلف هذا الإختراق للقانون الذي شهد به المعنيون به عما جرى في النظام الداخلي للبرلمان التونسي. فقد نظرت فيه"الجمعية التونسية للقانون الدستوري"في ندوة لها ، وارتأى المتدخلون أنه نظام" غير متناسق، كثير الهنات، ويتضارب مع الدستور"شكلا ومضمونا. كما رأوا أنه مُصاغ "بمعجمية قانونية متنافرة" وأن فصوله يضارب بعضها بعضا ولا تنسجم مع منطوق الدستور القانوني. وقد حصر أستاذ القانون الدستوري" عبد الرزاق المختار" الخلل الذي في ذلك النظام الداخلي في التقاء ثلاثة مكونات في نص واحد ، والحال أنها لا تلتقي فيه ، وهي النظام الداخلي نفسه، والتدابير الاستثنائية ، ومدونة السلوك. وخلص إلى أن ذاك النظام "غير مهيكل" وغير دستوري. ثم إنه قد أعفى النواب من التصريح بمكاسبهم أمام "الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد"المغلقة. وقد رأى في هذا السياق"أمين الخراط"عضو منظمة "بوصلة" أن النواب كان بإمكانهم أن يطلبوا بصفة رسمية فتح مقر الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، ليقوموا لديها "بواجب التصريح بمكاسبهم". لكن يبدو أن اختراق القانون، حتى في مؤسسة البرلمان، صار متاحا في الهياكل الرسمية.

كما ارتأى الأستاذ نفسه في ذلك النظام اختراقا آخر للقانون ، والدستور على وجه التحديد، وذلك من جهة أنه يخول لمجلس نواب الشعب أن يقوم بمهام المجلس الوطني للجهات والأقاليم.

ورأى"يوسف عبيد" أستاذ " القانون البرلماني"، كما جاء في بعض المواقع، أن ذاك النظام الداخلي يُخل بإحدى البديهيات السياسية والقانونية بتَغييبه لدور المعارضة في البرلمان، وهذا ما قد يقتضي أن يستنبط المجتمع السياسي الفاعل صيغة من الصيغ التي بها تُوجَد معارضة للبرلمان ورقابة له ولو من خارجه. ورأى الأستاذُ نفسُه المخالفةَ القانونية نفسها من حيث قيام البرمان الراهن بمهام مجلس الأقاليم"القادم"، فضلا على إهمال النظام المحدد للعلاقة بين الغرفتين من جهة، وبين"السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية" من جهة ثانية.

ثم إن مظهر اختراق القانون الأفدح إنما يكمن في انتفاء إمكانية الطعن في دستورية أي مشروع قانون تعرضه الرئاسة أو الحكومة، أو إمكانية معارضته نظرا إلى غياب الصوت المعارض في هذا البرلمان العجيب. وفوق ذلك ، لم يعرض هذا النظام على أية هيئة دستورية أو محكمة للنظر في مدى دستوريته. فهو بناء شاهقُ الفوضوية" رعواني". وإنّ من مكملات هذه الرعوانية وتلك الفوضوية أن منحة النواب لم تعرض على الجلسة العامة ، على رأي القاضي السابق في المحكمة الدستورية أحمد صواب. وإن في ذلك إخلالا بالشفافية بما هي إلزام قانوني شامل. فعل هو زمن اختراق القانون في دولة يرأسها أستاذ قانون؟.

رأي

هل ينجو قيس سعيد من أخطبوط اقتصاد الريع مثلما نجا من أخطبوط الإخوان والنهضة ؟

خالد الهرماسي

سعت حركة النهضة منذ صدور نتائج الدور الأول للانتخابات الرئاسية سبتمبر 2019 للمناورة وإيهام الداخل والخارج بأنها الراعي الرسمي والداعم الأساسي لقيس سعيد وأنها صاحبة الفضل عليه في الوصول لرئاسة الجمهورية والجلوس على كرسي قرطاج في حين يعلم العديد خاصة من المطلعين على خفايا الأمور أن حركة النهضة وبحكم اطلاعها على تقارير ونتائج استطلاعات الرأي السرية والتي تفيد جمعيها بفوز حتمي ومفاجأ بمثابة الزلزال السياسي لقيس سعيد حاولت بكل ما أوتيت من قوة وعن طريق اخطبوطها المالي والإعلامي وعديد منصات التواصل الاجتماعي الإطاحة بقيس سعيد وقطع طريق قرطاج عليه عبر الترشيح الوهمي لعبد الفتاح مورو والمساندة السرية وغير المعلنة لوزير الدفاع الأسبق عبد الكريم الزبيدي. إلا أنها فشلت في الخطة "أ" لتُفعّل إثر ذلك الخطة "ب" والتي عنوانها الأبرز إحتواء قيس سعيد والتسويق داخليًا وخاصة خارجيًا الى أنه بضاعة وصناعة نهضوية وأن تونس والدولة تحت السيطرة بوجود قيس سعيد في قرطاج والغنوشي رئيسًا للبرلمان وحكومة حزامها الرئيسي حركة النهضة.

هكذا كان الفخ التي نصبته النهضة وتنظيم الإخوان المسلمين للإطاحة بقيس سعيد وعزله بين جدران قصر قرطاج مثلما حصل مع المنصف المرزوقي والباجي قائد السبسي. وما تصريحات راشد الغنوشي الذي كان يستغل كل خروج إعلامي له للتذكير والإشارة الى أن دور الرئيس قيس سعيد والدستور شرفيًا لا غير وأن أصل السلطة في البرلمان الذي يرأسه الغنوشي والحكومة التي تسيطر عليها النهضة .

لم يخطر ببال حركة النهضة والغنوشي وشركائه في الداخل والخارج أن مخططاتهم ومناوراتهم للإيقاع بقيس سعيد ستسقط السقوط المدوي لينقلب السحر على الساحر. وأول بوادر وإشارات الفشل ظهرت في خطاب تنصيب قيس سعيد أمام البرلمان يوم 23 أكتوبر 2019 حيث وجّه عديد الرسائل المشفرة للغنوشي والأخطبوط الإخواني مفادها أنه على اطلاع جيد على تحركاتهم ومؤامراتهم ليتأكد ذلك رسميًا وبوضوح بعد

سقوط حكومة الحبيب الجملي عبر فشلها في نيل ثقة البرلمان ليتحول إثر ذلك زمام المبادرة الدستورية للرئيس قيس سعيد ويقلب الطاولة على الجميع ويبدأ في الإعداد والتحضير لموعد 25 جويلية 2021 والذي كان ارتدادًا لزلزال الانتخابات الرئاسية أجهض أحلام الغنوشي والأخطبوط الإخواني نهائيا والى الأبد في السيطرة على الدولة والتمكين لصالح المشروع الحلم الدولة الإسلامية تحت عناوين فضفاضة كالإسلام السياسي والإسلام الديمقراطي والإسلام المواطني.

زلزال 25 جويلية كان نتيجة حتمية لعشرية سياسية سيطرت عليها النهضة وهي في الحكم أو من وراء الستار حيث تتقن هناك المناورات والمؤامرات واللعب على الحبال والرقص مع الثعابين وهذا ما يفسر فرحة الشارع التونسي بخطوة قيس سعيد التي أطلق على إثرها صافرة نهاية فترة الاستراحة والمرور لتأسيس جديد بلا اخوان الداخل والخارج رغم عديد الانتقادات التي تعتبر 25 جويلية إنقلابًا وعودة للاستبداد والقمع والنيل من الحقوق والحريات تحت غطاء الحالة الاستثنائية وتخليص الدولة من الإسلام السياسي ومشروع الأخطبوط الإخواني.

سياسيًا وحسب عديد الملاحظين والمحللين يعتبر قيس سعيد قد نجح في تقليم أظافر الإخوان وإسقاط مشروعهم بالضربة القاضية لكن هذا النجاح يبقى دائما نسبيا وقابلا للتراجع في كل لحظة ما لم تعقبه نجاحات أخرى خاصة اقتصاديًا بما أن للأخطبوط أذرع عديدة بإمكانه قلب المعطيات بواسطتها لصالحه عبر تعطيل الماكينة الاقتصادية وجعلها العقبة الأساسية أمام المرحلة الانتقالية الجديدة التي فرضها قيس سعيد على الجميع.

يعتبر إقتصاد الريع آخر الأسلحة عند الأخطبوط الإخواني نظرًا لعلاقة النهضة والغنوشي الوطيدة بالمال الفاسد وتوظيفه لصالح عائلات بعينها تسيطر على القرار السياسي في البلاد وبإمكانها شن حرب استنزاف على قيس سعيد وإنهاكه في انتظار اللحظة المناسبة والحاسمة لقلب المعطيات من جديد وإعادة من اطردتهم لحظة 25 جويلية للواجهة مستغلين الأزمات الاقتصادية المفتعلة .

صحيح أن قيس سعيد نجا ونجح في التخلص من أخطبوط سياسي خطير جدًا حوّل تونس الى كعكة تتقاسمها قوى إقليمية ودولية وكأنها احدى مقاطعات وأقاليم ما وراء البحار لكن الأصعب لم يتحقق بعد وما على الرئيس قيس سعيد الا عدم الخلط والتعامل مع الشركاء الخارجيين والمانحين الدوليين على أنهم أحزابًا أو جمعيات ومنظمات وطنية ورفع اللاءات والخطوط الحمراء وتحميلهم مسؤوليات لا دخل لهم فيها وما على الرئيس سعيد إلا الاقتناع بأن السيادة الحقيقية تبقى أساسًا السيادة الاقتصادية .

رغم كل السلطات والقوة التي يتمتع بها رئيس الجمهورية قيس سعيد على الأرض وفي الواقع فإنه ليس في نزهة اذ هو الآن في منتصف الطريق الوعرة إذا واصل الهروب إلى الأمام بلا وسائل أمان فقد يسقط سقوطا مدويا وإذا تراجع خطوات إلى الوراء قد يجد نفسه عاد لما قبل 25 جويلية ليبقى السؤال الأهم هل ينجو قيس سعيد من أخطبوط اقتصاد الريع مثلما نجا من أخطبوط الإخوان والنهضة ؟

TunisieValeurs
LA MAISON DE L'EPARGNANT

التقرير الأسبوعي لـ "التونسية للأوراق المالية" :

UIB الأكثر ديناميكية و Cellcom و Attijari Bank أكبر الرابحين

منحى السوق :

واصل المؤشر المرجعي انتعاشته مقفلا الأسبوع الممتد من 29 ماي الى 2 جوان 2023 على تطوّر بـ + 1,6 ٪ ومحققا بذلك رقما قياسيا جديدا بـ 8813,47 نقطة لترتفع بذلك أرباحه منذ بداية السنة الى + 8,7 ٪ حسب تحليل الوسيط ببورصة تونس للأوراق المالية.

• على صعيد التبادلات ورغم غياب تبادلات بالكتل كان الحجم طيبا جدا وبلغ 65,1 مليون دينار بما مثل معدلا يوميا بـ 13 مليون دينار. وكان سهم الاتحاد الدولي للبنوك نجم الأسبوع موفرا أكثر من نصف حجم التبادلات التي تمت.

تحليل تطوّر الأسهم

• تبوّأ سهم "سلكوم" Cellcom الترتيب بتسجيل أفضل أداء خلال الأسبوع المذكور محققا قفزة بـ + 22,1 ٪ بسعر 2,760 دينار وسط مدّ مالي بـ 16 ألف دينار.

• حلّ سهم التجاري بنك Attijari Bank ضمن أكبر الرابحين خلال الأسبوع المذكور مسجلا تطوّرا بـ + 8,9 ٪ بسعر 46,450 دينار جاذبا حجم أموال بـ 6,3 ملايين دينار على امتداد الأسبوع.

• كان سهم اوروسيكل Eurocycles من أكبر المتضررين بتراجع بلغ – 4,6 ٪ بسعر 18,3600 دينار وسط حجم تبادلات بـ 785 ألف دينار.

• كان سهم الاتحاد الدولي للبنوك UIB الأكثر ديناميكية جاذبا أموالا بـ 35,4 مليون دينار بما مثل 54,4 ٪ من مجموع التبادلات التي شهدها السوق خلال الأسبوع المذكور.

مستجدات السوق

• شركة توظيف الأموال "سيكاف" : دعوة للجلسة العامة العادية :

قرّر مجلس إدارة شركة توظيف الأموال بتونس SICAF المجتمع يوم 30 ماي المنقضي دعوة المساهمين فيها لحضور الجلسة العامة العادية يوم 30 جوان 2023. وستقترح الشركة على المساهمين فيها أرباحا بـ 2,500 دينار عن كل سهم بعنوان سنة 2022 إضافة الى تعيين متصرفين مستقلين ومتصرف ممثل لصغار المساهمين.

وتجدر الإشارة الى ان شركة "سيكاف" حققت سنة 2022 أرباحا صافية بـ 3,1 ملايين دينار مقابل 3,9 ملايين دينار عام 2021.

• الشركة العقارية وللمساهمات SIMPAR : نشر القائمات المالية المدمجة لسنة 2022 :

أظهرت القائمات المالية المدمجة لنشاط مجمع SIMPAR لعام 2022 تسجيل حصة صافي الربح خسائر بـ - 3,3 ملايين دينار مقابل خسائر أكبر بـ - 9 ملايين دينار سنة 2021.

ورغم تحسن رقم معاملات المجمع تحسنا ملحوظا بـ 69 ٪ ليبلغ 66,1 مليون دينار فإن ارتفاع تكاليف نفقات الاستغلال وصافي النفقات المالية (بلغت 13,3 ملايين دينار خلال السنة الماضية مقابل 12,8 ملايين دينار سنة 2021) تسبب في تواصل العجز المسجل بالمجمع العقاري التابع للبنك الوطني الفلاحي.

• تلنات القابضة TELNET : بلاغ صحفي :

تعلم شركة تلنات القابضة TELNET HOLDING SA المساهمين فيها بأن جلستها العامة العادية المنتئمة يوم 25 ماي 2023 حدّدت مبلغ الأرباح المتعلقة بنشاط سنة 2022 بـ 550 مليما عن كل سهم وبأنه من المنتظر توزيعها يوم الجمعة 9 جوان 2023.

اشهار

روضة القرافي الرئيسة الشرفيّة لجمعية القضاة لـ"الشارع المغاربي" :

تسميات تمّت بأخطر الآليات على استقلالية القضاء

شغورات في 7 وظائف كبرى تم سدها عبر مذكّرات عمل صادرة عن وزيرة العدل لم تُعرض على المجلس الاعلى للقضاء

حوار : كوثر زنطور

فسّرت روضة القرافي الرئيسة السابقة لجمعية القضاة التونسيين تداعيات تواصل تعطّل صدور الحركة القضائية على سير العمل في المحاكم وشددت في حوارها مع أسبوعية "الشارع المغاربي" على الرفض المبدئي لسياسة سدّ الشغورات عبر إصدار مذكرات عمل قالت إنها من أخطر الآليات التي تضرب استقلالية القضاء داعية المجلس الأعلى المؤقت للقضاء لتوضيح موقفه منها.

ماهي آخر التطورات في المشهد القضائي مع ما يُتداول عن سد جل الشغورات بمذكرات عمل ؟

لم يعلن المجلس الأعلى المؤقت للقضاء عن اي جديد في علاقة بالحركة القضائية وحتى مذكرات العمل الصادرة عن وزيرة العمل والتي تم تنفيذها بالتحاق بعض القضاة بالخطط الشاغرة بقيت دون تأكيد انه تم تسديد كل الخطط الشاغرة في غياب اي بلاغ رسمي بخصوص ذلك. ما نعلمه في هذا الاتجاه يتم عن طريق المحاكم وعن طريق زملائنا بمباشرة هذا القاضي أو ذاك في خطة وكيل عام أو وكيل الجمهورية والمحكمة المعنية لم تعلمنا أيضا بسد شغورات... ببساطة ليس لنا أي تأكيد.

يعني لا وجود لأية معطيات رسمية بخصوص سد الشغورات ؟

ما لنا من معلومات مستقاة من المحاكم تفيد بأنه تم سد بعض الشغورات في عدد من المراكز الشاغرة منذ الاعفاءات (عزل 57 قاضيا) وانه تمت التسمية بمذكرات عمل صادرة عن وزيرة العدل هذا حسب تأكيد القضاة من داخل المحاكم لكن ليس لنا تأكيد بأنه تم تسديد الشغورات في 57 خطة.

التسميات بمذكرات عمل هل تعتبرونها آلية مقبولة ؟

موقف المجلس الوطني لجمعية القضاة التونسيين واضحا في هذا الاتجاه عبر رفض آلية تسمية القضاة بمذكرة العمل لأنها أولا آلية تعود الى المجلس الاعلى للقضاء لما قبل الثورة المحدث استنادا الى القانون 67 وثانيا لانها من اخطر الآليات التي تمس من استقلالية القضاء... هي شُرعت وسُنت في قانون 67 حتى يتمكن وزير العدل من نقل أي قاض خلال السنة القضائية لم يكن راضيا على ادائه ومذكرة العمل استعملت وتُستعمل لهذه الأغراض في الأنظمة التي لم تكرّس استقلال القضاء... رفضنا هذه الآلية مبدئي باعتبار أنها من اكبر الآليات مساسا باستقلال القضاء والتي تم استعمالها قبل الثورة لنقلة قضاة خلال السنة القضائية لا يكون هناك رضاء على أدائهم هذا على مستوى المبادئ العامة لاستقلال القضاء ثم حتى من داخل القوانين القائمة على غرار المرسوم عدد 11 الذي تم من خلاله تركيز المجلس الأعلى المؤقت للقضاء... هذا المرسوم منح المجلس صلاحية اقتراح الحركة القضائية وتسديد الشغورات تم من قبل المجلس الاعلى المؤقت بمناسبة اعداده الحركة القضائية 2022/2023 ووجّهت في 3 نسخ (رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة ووزارة العدل) ولكنها لم تصدر يعني أننا لم نعد نفهم كيف تتم تسمية القضاة هل من مجلس احدث (المجلس الاعلى المؤقت للقضاء) ام بالعودة الى قوانين نُسخت (قانون 67).

ما هو موقف المجلس المؤقت للقضاء ؟

لنا معلومة واحدة بخصوص هذا الموضوع تتمثّل في ان التسميات عبر مذكرات العمل لم تُعرض عكس ما تم تداوله على مجلس القضاء العدلي بمناسبة عقد اول جلسة والتي خُصّصت للنظر في قضايا رفع الحصانة عن 16 قاضيا.

ماذا يعني ذلك ؟

بالنسبة لنا يبدو ان القول بعرضها على مجلس القضاء العدلي لن يكون هو الخيار.

يعني المجلس تحوّل بشكل واضح الى مجلس صوري... هل تطالبون بتوضيحات في هذا الاتجاه ؟

طبعا... طبعا.. وهذا ما توجّه به المجلس الوطني للجمعية (جمعية القضاة) ومن الضروري ان يخرج المجلس المؤقت ويوضّح ويصرّح لأن المسألة تهم صلاحياته التي تُمس بإصدار تسميات بمذكّرات عمل ووزارة العدل معنية من جهتها أيضا.. الموضوع يتعلق بتسمية قضاة في مناصب عليا وتسمية قاض تحكمها قوانين وتستوجب الإعلام بها ..يجب إعلام القضاة ومختلف المتعاملين مع المحاكم بصفة قانونية من يتولى الوظائف القضائية ..

من جائز القول أننا تقريبا في حالة فوضى ؟

ايه ايه.. التسميات في الوظائف العليا او الـ 7 كبار لا تتم بمذكرات عمل .. الأمر يتعلق بـ الرئيس الاول لمحكمة التعقيب ووكيل الدولة العام ووكيل عام استئناف تونس والرئيس الأول لمحكمة استئناف تونس والمتفقد العام ووكيل الدولة العام ومدير المصالح العدلية ورئيس المحكمة العقارية.. بالنسبة للسبعة الكبار لا تتم التسمية بمذكرات عمل لا في قانون 67 ولا في المرسوم 11.. التسميات تتم بالترشيح من قبل المجلس الاعلى المؤقت للقضاء يعني هناك خرق لقانون 67 وللمرسوم 11.. التسميات تمت في هذه الخطط بمذكرات عمل في اطار سد الشغورات ..المتفقدة العامة بوزارة العدل عُيّنت بمذكرة عمل والوكيل العام لاستئناف تونس عُيّن بمذكرة عمل والرئيس الاول لمحكمة استئناف تونس عُين بمذكرة عمل هذا حسب الاخبار المتداولة.

هذا زاد في تعقيد الأمور ؟

نحن في جمعية القضاة بوصلتنا واضحة وهي الدفاع عن استقلال القضاء حتى لا نخطىء في الطريق مثلما كنا قبل الثورة وبعدها.. مواقفنا واضحة في اطار دورنا الرقابي على تعامل السلطة التنفيذية او التشريعية مع استقلال القضاء في مختلف الفترات وفي نفس الدور طبق نفس البوصلة.. الآن كذلك في هذه المرحلة نتخذ المواقف التي يجب اتخاذها دفاعا عن استقلالية القضاء طبقا للمعايير الدولية.. حصل تراجع عن كل ضمانات استقلالية القضاء من الناحية الدستورية من تحويلنا من سلطة الى وظيفة ومن مجلس منتخب الى مجلس مُعيّن وهيكليا بحل المجلس الأعلى للقضاء ثم أصبحت لرئيس الجمهورية صلاحية عزل القضاة بصفة مباشرة وعادت وزيرة العدل تسمي بمذكرات عمل بصفة مباشرة .. هناك تراجعات كبيرة على مستوى استقلالية القضاء وهذا لن يؤدي الا إلى تراجع دور وأداء القضاء .. ما هو المطلوب من القضاء ؟ المطلوب هو حماية الحقوق والحريات وحتى يلعب دوره كاملا لا يمكن ان يكون في تبعية ومُرهب ومُضعف من قبل السلطة التنفيذية .. هو اليوم مرهب وتابع.

ما هو المطلوب بشكل عاجل للتصحيح ؟

العاجل هو إرساء آليات لحماية القضاة في هذه الفترة بعد ان انتُزعت منهم كل ضمانات الاستقلالية واصحبوا يوميا مهددين بالعزل المباشر مثلما حدث مع قاضي التحقيق 23 بعد اتخاذه قرارا بإبقاء مظنون فيه في حالة سراح في قضية كان قد تحدّث عنها رئيس الجمهورية.. أوقف عن العمل في ظرف 3 ايام بقرار من رئيس الجمهورية ومطلوب عزله من قبل المجلس الاعلى المؤقت للقضاء.

ما هي القضية ؟

قضية كاتب عام نقابة العدلية .. بعد قرار قاضي التحقيق 23 ابقاءه بحالة سراح اوقف عن العمل واغلق مكتبه.

هل لكم معطيات حول سير التحقيقات في محكمة نابل اثر الجدل الواسع الذي أثاره قرار اصدار بطاقتي ايداع

حوار الأسبوع

بالسجن في حق طالبين بسبب أغنية ؟

موضوع غامض.. لا نعرف من المسؤول عن الإخلالات التي عرفتها القضية وكيف صدر قرار الاحتفاظ الأول ثم كيف قررت النيابة الإيداع والإحالة على المجلس الجناحي للمحكمة بعد اسبوع .. المفروض ان تتم الاحالة في يومها ..سمعنا بفتح تحقيق من قبل التفقدية العامة مثلما تحركت أجهزة التفقد التابعة لوزارة الداخلية.. المفروض ان يتم الاعلام بنتائج التحقيق لحجم الخلل الذي مس بصفة خطيرة من حرية طالبين... المفروض ان يتم البحث وتقييم الأداء في المحكمة ونعرف من المسؤول ..في نابل هناك رئيسة المحكمة ورئيسة اولى ورئيس الدائرة الذي اصدر الحكم وهناك القاضي الذي اصدر الاذن بالاحتفاظ ثم القاضي الذي اصدر بطاقة الإيداع، يعني عندما يتم الإعلان عن إجراء تحقيق فذلك يتم مع المشرفين على المحكمة .. هل كانت رئيسة المحكمة على علم؟ رئيس الدائرة .. قضاة النيابة ..؟ يتم تقييم الاداء .. لكن ماذا حدث في المقابل ؟ نجد ان عددا كبيرا من الترقيات تم في دائرة نابل.. الرئيسة الاولى لمحكمة نابل أصبحت المتفقدة العامة ورئيسة محكمة نابل اصبحت الرئيسة الأولى للاستئناف وقاضية اصبحت وكيلة جمهورية بمنوبة ويقال ان رئيس الدائرة تحصل ايضا على ترقية ..الترقيات تمت قبل صدور نتائج التحقيق وتحميل المسؤوليات ... السؤال كيف سنُصلح من حال القضاء ونطوُر اداءه ونتجنب تكرار الأخطاء ؟ هل سنتجنب بترقيات دون صدور نتائج تحقيق تكرار الأخطاء ؟

هل أثّر عدم صدور الحركة القضائية على أداء القضاة ؟

عدم اصدار الحركة القضائية يمس من سير العمل في المحاكم.. وعدد كبير من القضاة الـ57 الذين تم اعفاؤهم مشرفون على المحاكم وهم الوكلاء العامين ووكلاء الجمهورية ورؤساء المحاكم ويؤثر تغيّب أصحاب هذه الخطط على سير العمل بالمحاكم ..مثلا حادثة نابل (ايقاف شابين بسبب أغنية) كشفت عن عدة اشكالات في توزيع العمل .. ماذا قال المحامون ؟ هناك خلل تم الكشف عنه في مرجع نظر نابل يتمثل في أن الملفات تحال الى القضاة الشبان وليس هناك رؤساء لتأطيرهم .. اذا كان نفس الحال ينطبق على بقية المحاكم بغياب التأطير فستكون النتيجة حصول إخلالات وكل هذا ينعكس على حقوق الجميع.. ولنا ان نعود لما حدث مؤخرا مع الايداعات والاحتفاظات... لماذا توزع القضايا على القضاة الاقل درجة ولا تحال إلى رؤساء الدوائر ؟ لماذا يتم توزيع العمل بهذا الشكل ؟.... لماذا يُكلّف القضاة الاقل درجة والاقل خبرة والاقل سنا بالقضايا؟ هذا ايضا من تداعيات تعطل صدور الحركة القضائية.

هل وجّهتم توصيات للقضاة المكلفين بما يُسمّى بالقضايا السياسية ؟

نحن نتوجه في باب مسؤولياتنا ليس للقضاة المكلّفين بالقضايا السياسية وإنما لكل القضاة بأن يتم النظر في مختلف الملفات باستقلالية تامة حتى لو انتُزعت منهم ضمانات الاستقلالية وان تكون بوصلتهم إقامة العدل دون الخضوع لأي املاء ولأي تهديد .. نطالب السلطة التنفيذية وكل من هو مسؤول في البلاد على القضاء بإعادة بناء مقومات استقلالية القضاء ..القاضي يبُتّ كل يوم في القضايا من مختلف الأنواع .. في مثل هذه الوضعيات على كل القضاة ان يقوموا بواجبهم بما يُملي عليهم القانون وضميرهم ودون الخضوع لأي املاء ولا أي تهديد.

كيف ترون الجدل القائم حول غياب رواية رسمية بخصوص قضايا التآمر على أمن الدولة؟

الاعلام القضائي يدخل ضمن واجب ادارة المحاكم وهذا الواجب عند النيابة العمومية.. النيابة مدعوّة مثلما يحدث في الدول الديمقراطية وفي دولة القانون ومثلما وُجد في تونس منذ سنين للخروج للرأي العام .. الاعلام القضائي منظم بأمر وعلى ذلك الاساس هناك ناطقين رسميين وهم موجودون إلى حد الآن .. الخروج يتم في نطاق الحيادية التامة لإنارة الرأي العام وفق المقاييس التي تتطلبها المعلومة .. النيابة مطالبة بالخروج لطمأنة الرأي العام على حسن سير القضاء في هذه الملفات.

الذكرى 68 ليوم النصر 1 جوان 1955

حسب الملاحظين ما يقارب نصف مليون تونسي على 3 ملايين ساكن هبّوا من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب لاستقبال بورقيبة بعد ثلاث سنوات قضّاها في المنفى والسجون. قلّما سجّل تاريخ تونس وحدة الأمة بجميع شرائحها وطبقاتها شبيهة بما حدث يوم غرة جوان 1955. من ذلك تقرّر بعد الاستقلال اعتبار هذا اليوم نصرا للأمة التونسية جمعاء واعتمد كيوم عطلة قبل أن يلغيه بكل غباء زين العابدين بن علي من قائمة الأعياد الرسمية.

يتباكون على تجاهل تونس لإعادة انتخاب أردوغان!

معز زيّود

تحدّثت العديد من الصحف والمواقع الإلكترونيّة العربيّة، خلال الأيّام الماضيّة، عن تجاهل تونس في شخص رئيسها قيس سعيّد تهنئة طيب رجب أردوغان بمناسبة إعادة انتخابه رئيسا لتركيا. وبالغت في اعتبار ذلك سقطةً سياسيّة ودبلوماسيّة لا قبلها ولا بعدها. وبمجرّد الاطلاع على مضامين المقالات ذات الصلة تتّبدّى خلفيّاتها بوضوح!...

حتّى نبتعد عن مجرّد التنظير أو الغموض بشأن مبرّرات ما سمّيناه بـ"التباكي الإعلامي" على هذه "السقطة" التونسيّة، من الأهميّة أن نُقدّم أمثلة لمضامين تلك الصحف بخصوص ما صوّرته بمثابة الكارثة السياسيّة.

مغالطات واستبلاه

اعتبرت صحيفة "العربي الجديد" القطريّة، في هذا السياق، أنّ الرئيس قيس سعيّد "لا يحب أردوغان".. وأرجعت "أحد أسباب هذا الجفاء، لأن كل شيء يدار في تونس بحسب مدى القرب من "النهضة" أو الابتعاد عنها". وللتأكيد على غرابة "هذا العداء" الذي يناصبه الرئيس سعيّد لأردوغان على حساب مصالح الدولة التونسيّة وتعارضه مع المنطق الذي تُدار به العلاقات الدوليّة وعدم مبدئيّته، قارنت هذه الصحيفة القطريّة التقارب التونسي الإيطالي بالجفاء بين أعلى هرم السلطة في تونس وتركيا، قائلة حرفيّا: "الحقيقة أنّ إيطاليا تطرد أولادنا، بينما تفتح تركيا أحضانها لهم من دون تأشيرة، ولكن طالما أنّ الإيطاليّين يدعمون بقاء سعيّد في السلطة بكلّ قوّتهم، فسيكونون طبعًا مرحّبًا بهم على حساب أي مصلحة أخرى وعلى حساب أي بلد آخر".

ومن جانبه، ذهب موقع "نون بوست" إلى أنّ تركيا "تعتبر من أكبر داعمي تجربة الانتقال الديمقراطي في تونس، فدون سبب واضح اختار سعيد قطع اليد التي مُدّت لبلاده طيلة سنوات عديدة"... "ومن شأن تجاهل سعيد فوز أردوغان بالرئاسة أن يوتر العلاقات التونسية التركية أكثر، ما سيفقد تونس فرصة أخرى لتجاوز بعض أزماتها التي مسّت أغلب القطاعات، إذ يمكن لتركيا أن تساهم بقوّة في حلحلة أزمات تونس... لكنّه كعادته، بارع في تفويت الفرص"... أمّا "صحيفة الاستقلال"، فقد رأت أنّ "قيس سعيد يعد أردوغان أحد أكبر داعمي الثورات وبالتالي كان يتمنى أن لا يُنتخب مجددا"... "على الرغم من أن أردوغان كان من أوّل المهنئين بفوز سعيّد في الانتخابات الرئاسية بتونس عام 2019"... واستندت الصحيفة إلى قول سميّة الغنوشي ابنة رئيس حركة النهضة التي قالت إنّ "منقلب تونس ونكبتها الأكبر (سعيد)، لم ترق له النتيجة ولم تأت على مزاجه ورغبته، ولذلك لزم الصمت ولم يهنئ ورأى نفسه غير معني بالأمر"... فـ"من يخبر هذا الدخيل على عالم السياسة وإدارة الدولة بأنّ للدول أعرافها وبروتوكلاتها وتقاليدها وعلاقاتها ومصالحها التي لا تخضع لمزاجه الشخصي"...

قد نُكون جانبنا الدقّة بوصف الصحف المذكورة أعلاه بـ"الصحف العربيّة"، باستثناء لسان حالها، لأنّها كلّها تقريبًا إمّا صحف قطريّة أو مموّلة قطريّا محكومة بقُطبي الماكينة الإعلاميّة القطريّة المتمثّلين في عزمي بشارة ووضّاح خنفر. فتلك المنابر تدور في فلك السياسة الخارجيّة القطريّة التي تُدعّم جماعات الإسلام السياسي وتستخدمها كيفما شاءت، وفي مقدمتها التنظيمات الإخوانيّة... ومن ثمّة يبدو من المنتظر أن تتصيّد تلك الصحف أيّ حدث للمغالاة في انتقاد السلطات التونسيّة

أكثر من الإعلام التونسي نفسه، والحال أنّها لا تجرؤ على قول كلمة نقد واحدة حيال النظام القطري.

وكما يقول المثل: "إذا عُرف السبب بطُل العجب"، فقد انطلقت حملة المزايدة بشأن عدم تهنئة أردوغان بعد بثّ سميّة الغنوشي فيديو على حسابها في شبكة "تويتر" هاجمت فيه بشدّة الرئيس سعيّد للسبب المذكور.

تركيا ليست نموذجا

أمّا لماذا لمْ يُبادر قيس سعيّد بتهنئة أردوغان فإنّ له مسبّبات معلومة، ويمكن اختزالها في جملة واحدة تتمثّل فيما بدا من تدخّل معلن للرئيس التركي في الشؤون الداخليّة التونسيّة، لاسيما أنّه عدّ ما حدث في تونس انقلاب صريح على حليفه راشد الغنوشي و"ضربة قويّة لإرادة الشعب التونسي"، فردّ عليه سعيّد بأنّ "تونس ليست إيّالة (عثمانية) تنتظر فرمانًا"... وبصرف النظر عن الأزمة السياسيّة الحادّة التي تسود البلاد في الفترة الراهنة جرّاء السياسات السلطويّة للرئيس قيس سعيّد وهيمنته المطلقة على كافّة مؤسّسات الدولة، فإنّه من الغباء الترويج لكون تركيا تُدافع عن مصالح تونس أكثر من أبنائها، أسوة بقول صحفي تونسي في مقاله بجريدة "العربي الجديد" القطريّة أنّ تركيا تفتح أحضانها للتونسيّين على خلاف إيطاليا، متناسيًا قصدا كافّة الجراح التي تسبّب فيها النظام التركي لتونس والتونسيّين سياسيّا وأمنيّا واقتصاديّا. وكأنّه تناسى مثلا أنّ المخابرات التركيّة الذائعة الصيت هي التي كانت تغضّ الطرف عن مرور الآلاف من الشباب التونسي عبر أراضيها إلى سوريا للانضمام للتنظيمات الإرهابيّة التي دمّرت سوريا، وضربت العمق التونسي في مقتل. ثمّ يُروّج البعض اليوم بكلّ صلافة وصفاقة أنّ أردوغان يعدّ أحد أكبر داعمي الثورات، ولذلك تجاهلت تونس تهنئته بفوزه في الانتخابات الأخيرة!.

ألم تتسبّب "اتفاقيّة الصداقة والتعاون" الكارثيّة التي أبرمتها حكومة الترويكا بقيادة حركة النهضة مع تركيا في إفلاس الكثير من الفلاحين التونسيّين وإغلاق العشرات من مصانع البلاستيك والنسيج والملابس والأحذية بل وكذلك قطاع الأثاث والكثير من الأجهزة المنزليّة، وحتى مناطق التجارة الحرّة في المطارات التونسيّة التي هيمن عليها الأتراك وجعلوا منها قفارًا على خلاف مطاراتهم... من لا يعرف بعض ما أشرنا إليه، عليه فقط التجوّل في محلّات شارع المغرب العربي بمنطقة سكرة بالعاصمة الذي أضحى يُنعت بشارع تركيا من فرط تتريكه بمختلف البضائع التركيّة في شتّى المجالات، كي يستوعب خطورة تلك الاتفاقيّة التي أُبرِمت لا لصالح تونس وإنّما للحساب الخاص... ثمّ يتحدّثون بكلّ مكابرة ومغالطة عن تفويت تونس فرصة إسهام تركيا بشكل كبير في حلحلة أزماتها!...

أمّا الحديث عن الديمقراطيّة التركيّة مقابل الاستبداد التونسي الحالي، فإنّه يُماثل تمامًا حديث المطبّعين عن ديمقراطيّة نظام الاحتلال الصهيوني. فهل الديمقراطيّة تُختزل فقط في صناديق الاقتراع رغم أهميّتها؟. صحيح أنّ حملة الإيقافات في تونس تخلّلتها انتهاكات لمبدأ دولة القانون التي ينبغي أن تحترم الإجراءات وتحتكم كذلك لأخلاقيّات التعايش السياسي والقبول بالمعارضة السلميّة مهما احتدّت في أيّ نظام ديمقراطي. ولكن في المقابل، فإنّ أردوغان الذي يتغزّل به بعض الصحفيّين التونسيّين والعرب في المنابر الإعلاميّة القطريّة سبق أن زجّ بالآلاف من معارضيه في السجون التركيّة التي تختنق بالمساجين السياسيّين ومساجين الرأي من قضاة ومحامين وصحفيّين وكتّاب، لا لأنّهم شاركوا في محاولة الانقلاب الفاشلة على أردوغان كما يدّعي نظامه وحلفاؤه من جماعة الإخوان، وإنّما لأنّه عمل على تصفية خصومه والتخلّص منهم خلال فترة الانتخابات الحاسمة. فهل يقبل عقل سوي أنّ محاولة انقلاب شارك فيها آلاف الأشخاص من جميع القطاعات. هكذا إذن يبدو أردوغان -الذي يمسك بتلابيب السلطة في بلده منذ عشرين عاما وتحديدا منذ مارس -2003 آخر سياسي في العالم يمكن أن يُقدّم دروسًا في الديمقراطيّة واحترام الحقوق والحريّات لتونس والتونسيّين، بصرف النظر عمّا حدث ويحدث في بلادنا من انتهاكات حقوقيّة وسياسيّة.

تصيّد وتذيّل...

المؤسف أنّ من يُفتون اليوم حول أفضال تركيا على تونس ويُندّدون بكارثة تجاهل تهنئة رئيسها، وكأنّهم عباقرة في العلاقات الدوليّة والأعراف الدبلوماسيّة، أعماهم تذيّلهم المادّي والأيديولوجي عن استيعاب أنّ لكلّ دولة الحريّة في تقدير كيفيّة التعامل ودرجات الحضور والتمثيل في الفعاليّات الرسميّة للدول الأخرى، وفق طبيعة العلاقات السائدة بينها. فقد كان وزير الخارجية التونسي نبيل عمّار قد شارك في مراسم تنصيب أردوغان تلبيةً للدعوة الموجّهة من السلطات التركيّة إلى نظيرتها التونسيّة. وهو ما أشارت إليه الخارجيّة التونسيّة في بيان أصدرته للغرض. فهل يريدون أن تنتفض تونس وتتراقص كلّها لإقامة الاحتفالات بفوز أردوغان على غرار ما جرى في الدوحة قبل أن تجري الاحتفالات في إسطنبول وأنقرة أصلا!.

مخجل فعلا أن يتشبّث البعض بتلابيب أيّة دولة أجنبيّة قبل وطنه. فبصرف النظر عن الاختلافات الفكريّة والسياسيّة، يبدو من المؤسف أن يُعمي الحقد الأيديولوجي أبصار البعض، ولاسيما التونسيّين من أصحاب القلم والكلمة... ومن المرارة كذلك القول بأنّه ما دام بعض هؤلاء المستكتبين ينالون مكافآتهم بالبترودولار، فإنّه لا يهمّهم أن تُشوّه سمعة البلاد بل وأن تُفلس الدولة ويُصيبها القحط في سبيل استهداف الحاكم بأمره في بلدهم، بقدر ما يهمّهم أن يرضى عنهم أولياء نعمهم...

mahindra Rise
SSANGYONG
Célébrez le Printemps
Des remises et des avantages
allant jusqu'à 10 000 TND
Du 01 mai au 15 Juin
مصرف الزيتونة
BANQUE ZITOUNA
70 130 130
AUTOMOBILES ZOUARI
CONCESSIONNAIRE / SAV VÉHICULES DE TOURISME

تهديدات معلنة ومبطنة لمجلة الأحوال الشخصية

• ما يتهدد وجود الدولة وبقاءها مازال حاضرا في أروقة الحكم وإن تغيرت الأسماء

أنس الشابي

حققت دولة الاستقلال الكثير من المكاسب التي تخصّ الأسرة وعلى رأسها مجلة الأحوال الشخصيّة بما ورد فيها من أحكام وفّرت الظروف المثلى لتربية الأبناء من ناحية وحفظ كرامة المرأة من ناحية أخرى. ومنذ صدورها إلى يوم الناس هذا لم تتوقف الحركات التي تخلط الدين بالسياسة عن التهجّم عليها والدعوة إلى إلغائها. وبما أن هذا الطلب لا يمكن أن يمرّ لوجود معارضة شديدة من قبل المجتمع المدني لأنه يمثل نكوصا وتراجعا عن المكتسبات لجأ خصومها إلى محاولة إلغائها عبر المطالبة بإلغاء بعض فصولها. فتارة يدعون إلى تعدّد الزوجات وأخرى يشيعون بأن الطلاق حقّ للرجل وبأن نقله إلى المحكمة كفر بشرع الله وآخرون ينشرون بين الناس أن التبني مثلما نصّت عليه المجلة حرام. ولأن الدفاع عن المجلة اليوم يستلزم معرفة الأرضيّة التي يقف عليها الخصوم والأسس التي بني عليها خطابهم المناوئ فقد اتبعت الحركة الإسلاميّة الخطة التالية في إظهار معارضتها لها حسب الظرف السياسي ويظهر ذلك في:

1) في سنواتها الأولى لم تتجرأ الحركة الإخوانية على إعلان معارضتها للمجلة لأنها كانت خطا أحمر بالنسبة للزعيم. لذا تعمّدت القدح في الأرضية الفكريّة التي صدرت عنها والتشكيك في خطاب دعاة تحرير المرأة. فعلت ذلك بشكل متخفّ ومتباعد في الزمن من ذلك أن مجلة "المعرفة" نشرت سنة 1979 نصّا لمحمّد الصالح النيفر ادّعى فيه أن كتاب الطاهر الحداد عن المرأة وتحريرها طبعه القسّ سلام وروّجه الآباء البيض أي أن الدعوة لتحرير المرأة ليست إلا نبتا كنسيّا دعا إليه ورعاه الصليبيّون وهو ما يعني أن الحدّاد كافر ومرتدّ وجب طرده من الملّة واستتابته مستشهدا في ذلك بقول لعبد الحميد ابن باديس(1). أما راشد الغنوشي الذي تحدّث عن المرأة في كتابين له فإنه لم يذكر الطاهر الحدّاد إلا مرّة واحدة وفي معرض الشّتم قال: "والتهجّم على العراء والاختلاط بين الجنسين وعلى عمل المرأة المأجور خارج البيت وعلى كتابات الحدّاد كانت تلك أهمّ القضايا التي شغلت الأدبيّات الإسلاميّة في المسألة النسائيّة"(2).

2) بسبب مرض الزعيم واحتداد الصراع على خلافته سمح الوزير الأوّل محمد مزالي في إطار جمع الأنصار حوله لحركة الاتجاه الإسلامي بالنشاط وطبع وترويج المنشورات والظهور العلني بصفاتهم حيث تجرّأت الحركة في تلك الفترة

وشكّكت في مجلة الأحوال الشخصيّة علنا. ففي ندوة صحفيّة عقدتها الحركة في 6 جوان 1985 بمناسبة إحياء ذكرى تأسيسها تحدث مورو عن مجلة الاحوال الشخصية بحضور الغنوشي وقال: "من هي جماهير الشعب التي قرّرت عام 1957؟، من قرّر في مجلة الأحوال الشخصيّة وفرضها على المجتمع التونسي؟ هو فرد من طرف واحد فرض القضية على المجتمع... ودعوتنا كإسلاميّين إلى تكوين مجلس وطني للإنكباب على هذه القضية التي يتآكل جراءها كلّ المجتمع... خاصة أن النظام فرض علينا أن نعتبر قضية مجلة الأحوال الشخصيّة مفصولا فيها انتهت وتمّت. في تونس لا يتجرّأ أحد على رفع عقيرته بالدعوة إلى مراجعة هذه المجلة لماذا؟ إذا كانت هذه المجلة تقدميّة خلي الشعب يؤيّدها ويؤيّدها التقدميّون"(3) وقد كان لنشر هذا الموقف الداعي إلى الاستفتاء على المجلة الوقع الشديد لخطورته حيث واجهته النخبة وسفّهته فما كان من الحركة إلا العودة إلى صنيعها بالتكذيب والقول بأن الكلام أخرج عن سياقه وهو ما دفع بمجلة "الموقف" إلى النشر الحرفي لِما جاء في الندوة، لم يكن عبد الفتاح مورو في ما ذُكر إلا الناقل الوفيّ لِما كتب رئيس الحركة سنة 1984 في وثيقة من وثائقهم السرية التي نشرت في ما بعد، قال: "ومن هنا فإن خطورة هذه المجلة كما أكدنا في موضع آخر لا تكمن أساسا في بعض نصوصها التي أسقطت على المجتمع إسقاطا بلا دراسة متأنّية (مثل إباحة التبني)... وإنما تكمن خطورتها أساسا في الموجة التي صاحبتها وسبقتها ولحقتها وساهمت هي في إلهاب نارها أعني موجة التغريب"(4) مختتما ما ذكر بقوله: "إن المجلة البورقيبية المعروفة بمجلة الأحوال الشخصية كانت من خلال ما حفّ بها من أجواء استجابة لاوطنيّة لمطالب وطنيّة"(5). وفي نفس المعنى يقول الجورشي: "إن كلّ المكاسب تقريبا التي تحصلت عليها المرأة في مجتمعاتنا لم تكن نتيجة نضالات خاضتها هي من بدايتها إلى نهايتها، لم تكن تتويجا لصراع سابق ولكن كانت هدية من القطاعات المثقفة والمتأثرة بالغرب والتي وجدت نفسها في موقع المسؤولية والقرار في المجتمع"(6). وبيّنٌ مما ذكر أن عداء الحركة الإسلامية لمجلة الأحوال الشخصيّة يصدر أساسا عن قناعة بأنها ليست إلا نتاجا غربيا استوردته النخبة التي قادت الحركة الاستقلاليّة ومن ثم عادته. يقول الجورشي في هذا المعنى: "إن تمسكنا بالخط القانوني العام الذي تضمّنته مجلة الأحوال الشخصية ينبع من أرضية ثقافيّة وسياسيّة مغايرة لأرضيّة السلطة وخطابها"(7). وغاب عنهما أن مسألة تحرّر المرأة كانت شاغلا من شواغل النخبة المستنيرة حتى قبل صدور كتاب الحداد. من ذلك أن الشيخ عبد العزيز الثعالبي في لمحة ذكيّة رفض تعدّد الزوجات استنادا إلى الأحكام الشرعية ذاتها. فعند حديثه عن الميراث تعرّض إلى الحكمة من إقرار نصيب ثابت للزوجة كأن يكون الربع أو الثمن تقتسمه مع غيرها في حالة التعدّد ولم يفرض عليهنّ تعالى أنصبة حسب عددهن، فنصيب الزوجة واحد وإن تعدّدت. قال الشيخ: "الحكمة ظاهرة لِمن يتدبّر المقاصد الإلهية وهي تعليمنا وإرشادنا إلى الأصل الذي يجب أن نجري عليه في الزوجيّة وهو أن يكون للرجل امرأة واحدة وإنما أباح للرجل أن يتزوّج اثنتين إلى أربع على المعتمد بشرطه المضيّق... لأن التعدّد في نظر الشارع من الأمور النادرة غير المقصودة فلم يراعه في أحكامه، والأحكام إنما توضع لِما هو الأصل الذي عليه العمل في الغالب، والنادر لا حكم له"(8)، ورغم أن م أش مستمدّة أساسا من اللائحة التي أعدّها الشيخ محمد العزيز جعيط أيام كان وزيرا للعدل وصدرت بعد موافقته وموافقة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وهو

ما ينفي عنها مخالفة أحكام الأحوال الشخصيّة الإسلامية فإن الحركة لم تتوقف عن معاداتها والتشهير بها إلى يوم الناس هذا بقصد إلغائها تمهيدا لأخونة المجتمع، تلك هي الأرضية الفكرية التي تصدر عنها الحركة ونجدها مبثوثة في ثنايا منشوراتهم ومنشورات حلفائهم، أما ما جاء على لسان الغنوشي بعد تغيير السابع من نوفمبر من أن المجلة: "مندرجة ضمن الاجتهاد داخل المنظومة الفقهية الإسلاميّة"(9). فلا يعتدّ به إذ لا علاقة له بحقيقة موقفه وموقف حركته من أهم منجز لدولة الاستقلال، بعد سنة 2011 عادت الحركة إلى إظهار معاداتها للمرأة وللمجلة من ذلك أنها وضعت في مشروع دستور 2012 أن المرأة مكمّلة للرجل ولم تتوقّف عن محاولات التراجع عن حقوق المرأة تارة من خلال تصريحات منتسبيها وتارة أخرى عبر حلفائها من سلفيّين وانتهازيّين وغيرهما، غير أنها في كلّ الأحوال لم تتمكّن من المساس بالمجلة وإن أفسدت بعض الدوائر المحيطة والمتمّمة للرعاية بالمرأة والأسرة كتنظيم النسل الذي أُخرج من اهتمامات من تسلّموا الحكم بعد 2011 وإنهاك الاتحاد الوطني للمرأة وغيره من الجمعيّات التي تهتم بالمرأة الريفيّة.

بقي الأمر على حاله طوال العشرية الماضية حيث بقيت حركات وجمعيات الخلط بين الدين والسياسة تحاول أخونة المجتمع عبر تدمير كلّ المكتسبات التي تحققت لفائدة الأسرة في مقابل الدفاع المستميت للقوى المدنيّة لردّ غائلة تتار العصر وهمّجه، إلى أن وصلنا إلى مرحلة حكم 25 جويلية 2021 التي تميّزت بغياب أدبيّات تشرح وتوضّح ما عليه الحكم وما السياسات التي ينوي انتهاجها واكتفى بإصدار دستور جديد معتمدا في كل ذلك الغموض. غير أن المتابعة اللصيقة لِما يصدر خصوصا عن رئيس الجمهورية من تعاليق أو فلتات لسان كفيلة بتوضيح حقيقة الحكم وانتمائه للفضاء الإسلامي الحركي باستناده إلى نفس المصادر التي تنهل منها حركة النهضة وما شابهها بحيث يصبح الخلاف بينهما في الدرجة وليس في المضمون كما أن المصطلحات المستعملة لديهما مختلفة ولكنها تؤدي نفس المعاني وهو ما سيتضح في الأمثلة كالتالي:

1) يعلم الجميع أن شعار التنظيم الدولي للإخوان المسلمين يتلخص في تطبيق الشريعة وهو الهدف المركزي الذي يسعى إلى تطبيقه عبر فروعه. وبما أن هذا الشعار يحيل إلى ما وقع في السودان وأفغانستان وإيران ومع بوكو حرام وغيرها من المناطق التي تحكمها الشريعة اتجه حكم 25 جويلية إلى استعمال لفظ أقلّ فظاظة وغلظة وهو تحقيق مقاصد الإسلام في ظنّ منه أن مثل هذا الاقتراح سوف يمرّ دون اعتراض. غير أن القوى المدنيّة تفطّنت إلى هذا الفخّ الذي نُصب للقضاء على كلّ مكتسبات تونس الحديثة وهو ما دفع صاحبه إلى إضافة نظام ديمقراطي تطبّق فيه المقاصد وهو كلام يضرب بعضه بعضا ولا يستقيم عند العقلاء لأن الديمقراطية حكم المجموع لتحقيق المصلحة العامة. أما المقاصد

لحظة اصدار مجلة الاحوال الشخصية

فهي نصوص تطبّق دون اعتبار لعوامل الزمان والمكان والتطوّر الحضاري لأنه ليس هناك مقاصد خارج النصوص، ومن الجدير بالملاحظة أن مسألة المقاصد لم تجد حظها في بلادنا إلا لدى ما يسمّى اليسار الإسلامي الذي اشتهر بالتلبيس على خلق الله بحيث يختلق مصطلحات جديدة على الأذن للتخفيف من شناعة القديمة فالتكفير يغيب في خطابهم ليحضر مصطلح الداخل الثقافي لوصف المؤمنين والخارج الثقافي لوصف الكفرة(10). وكذا يصبح تطبيق الشريعة تحقيقا لمقاصد الإسلام. وفي هذا المعنى يقول الجورشي: "فالمقاصد اليوم ليست مجرد تعليل أصولي للأحكام الشرعيّة وإنما يجب أن تكون معالم لاختيارات حضاريّة ومجتمعيّة كبرى تقيّد الممارسة التشريعيّة وتعبّئ كل طاقات الأمة تحقيقا لمصالحها الحيويّة والاستراتيجيّة"(11). وانتبهوا مليّا إلى قوله تقيّد الممارسة التشريعية أي أن كلّ ما يتعلق بما ينظم الحياة داخل المجتمع يجب أن يكون مقيّدا بالمقاصد التي هي الشريعة، وهو ما يعني أن من مهام الدولة أن تنفّذ كلّ ما جاء في المدوّنة الفقهيّة من رجم وقطع للأيدي والأرجل بخلاف وأحكام أهل الذمة والإماء وغيره من الأحكام التي تجاوزها العصر ولم تعد موجودة إلا في بعض البلدان التي تعيش خارج العصر وخارج التاريخ كأفغانستان والسودان أيام النميري والترابي وإيران، والمستفاد ممّا ذكر أن حكم 25 جويلية تخفّى وراء مصطلح المقاصد حتى يمرّر تطبيق الشريعة.

2) في مداخلاته خلال بعض المناسبات يكشف الرئيس عن انتمائه إلى فضاء الإسلام الحركي دون تحديد لجهة ما. من ذلك إشادته بشخصيات لم نعرف لها إضافة في تطوير الفكر الإسلامي بل اشتهرت بأنها تستنسخ القديم في أكثر صوره تطرّفا ويبسا، ففي استقباله حفظة القرآن ذكر رئيس الدولة أن أوّل من تحدّث عن الحرية في الإسلام هو الشيخ الخضر حسين والحال أن محاضرة الشيخ التي ألقاها في جمعيّة قدماء الصادقيّة سنة 1906 لم تكن سوى استنساخا لِما جاء في كتب الفقه القديمة بخصوص الشورى والأموال والأعراض وغيرها ولا علاقة لها بمفهوم الحرية التي نتداولها اليوم ويُقصد بها الحقوق والواجبات التي للمواطن وعليه في مجتمع تحكمه القوانين والانتخابات التي تضمن مشاركة الشعب في الحكم. هذا المعنى مغيّب تماما لدى القدامى واللّبس يحدث عند استعمال المصطلح. فالقدامى يستعملون الحرية مقابل الاستعباد ولدى المعاصرين ينصرف المعنى إلى الحقوق السياسيّة والاجتماعيّة، والمتأمّل في حصيلة مدوّنة الشيخ الخضر يلحظ أنه سلفي متطرّف غاية في التطرّف، يدلّ على ذلك معارضته لأي محاولة للتجديد الديني أو الثقافي فقد نشر ردّا على كتاب طه حسين عن الشعر الجاهلي كما

نشر ردّا على كتاب علي عبد الرازق عن الإسلام وأصول الحكم صدّره بإهداء إلى الملك فؤاد الأوّل ملك مصر الذي كان يطمح لأن يصبح خليفة بعد إلغاء الخلافة العثمانية فضلا عن أن تنحيته من مشيخة الأزهر كانت بسبب معارضته توحيد القضاء في مصر والإبقاء على القضاء الشرعي. أما الشخص الثاني الذي استشهد به الرئيس فهو الشيخ البشير النيفر. ففي مقابلة له مع رئيسة الحكومة قبل الاستفتاء ظهر الرئيس وبيده المجلة الزيتونية مفتوحة على مقال عنوانه "فصل الدين عن الحكومة"(12) للشيخ البشير النيفر الجدّ للأب لاحميدة النيفر رئيس جمعية رابطة تونس للثقافة والتعدّد التي ينشط ضمنها نوفل شقيق الرئيس. وهذه المقالة كتبها صاحبها ردّا على من رفع شعار العلمانية واللائكية سنة 1955 في الفترة التي كان يتم فيها الاستعداد لإرساء النظام الجمهوري جاء فيها: "فتكون الغاية التي تنتهي إليها مطمئن القلب أن لا خطر يهدّد أحدا من الناس ولا مصلحة من المصالح العامّة والخاصة أن تبقى الحكومة الإسلامية على صبغتها الحقيقية آخذة بزمام السلطتين الدينيّة والمدنيّة، بل الخير كل الخير أن تبقى على جمعها الحميد"، مثل هذا الكلام ابن وقته والظروف التي قيل فيها وليس هنالك من داع للاستشهاد به خصوصا من طرف رئيس الدولة إلا إذا كان هذا الأخير يحمل تقديرا وإعجابا بما ورد فيه علما وأن الشيخ البشير في كل مقالاته وعددها محدود لم يحدث أن خرج عن المتون أو جاء بفكرة مخالفة لِما استقرّ عليه المتشددون من السلف،والذي تهمّنا الإشارة إليه أن الاستشهاد بهذا النوع من الخطابات المغرق في الرجعية والتكلّس مكوّن من مكوّنات برنامج لم يصرّح به الرئيس ولا نعلم حقيقته بالتفصيل إلى الآن إلا من خلال شذرات تظهر في بعض الأحيان في ثنايا مقوله، من ذلك أنه في حديث له مع جزائرية لمّا ذهب إلى جامع الزيتونة للصلاة ذكر لها أن الهواري بومدين درس في جامع الزيتونة قائلا عنه:"مشى نحّاوه للأسف" وهو ما يحمل موقفا معترضا على توحيد التعليم الذي باشرته دولة الاستقلال ومحبذا للإبقاء على تعليم ديني خارج المنظومة التعليمية الرسمية.

3) منذ تصريحه الشهير لجريدة "الشارع المغاربي" في 11 جوان 2019 أعرب رئيس الدولة عن نتف من مواقفه من بعض القضايا. ففي ما يخصّ الأحزاب اعتبر أن دورها انتهى وأن الشعب سينتظم في أشكال جديدة وهو ما ترجمه بعد وصوله إلى الرئاسة إلى موقف معاد للأحزاب جميعها باستثناء العقديّة منها كحزب النهضة وحزب التحرير الذي عقد مؤتمره تحت حمايته ولكنه حاصر في نفس الوقت الحزب الدستوري الحر بمنعه من إظهار اعتراضه على ما يحصل، وهو في ذلك يلتقي مع الغنوشي الذي يصف الأحزاب المخالفة له عقديّا بالأحزاب المذمومة أي أحزاب الشيطان في حين يسمي حزبه بحزب الله(13). أما بالنسبة للجمعيّات الدينيّة المسماة خيريّة أو تعليميّة فإنها تجد هي الأخرى كلّ الرعاية والحماية من طرف حكم 25 جويلية ولا أدلّ على ذلك من الحماية المتواصلة لبؤرة القرضاوي والامتناع عن فتح ملف تمويل هذه الجمعيات التي زكمت روائح الفساد المالي فيها الأنوف فضلا عن ارتكابها جرائم كالتسفير إلى بؤر التوتر. وفي هذا يلتقي الرئيس مع ما يدعو إليه اليسار الإسلامي. ففي رسالة وجهها احميدة النيفر إلى الرئيس بن علي بعد تغيير السابع من نوفمبر أورد بعض الاقتراحات من بينها: "التشجيع على قيام هيئات ونواد غير سياسية (جمعيات خيريّة / اجتماعيّة / ثقافيّة)"(14). وبيّنٌ ممّا ذكر أن موقف الرئيس من الأحزاب والجمعيّات يصبّ في خانة محاصرة القوى المدنيّة الرافضة للخلط بين الدين والسياسة مقابل تشجيع دعاة الخلط أيا كان انتماؤهم السياسي المعلن لأن كلّ الصيد عندها في جوف الفراء.

4) روّجت جماعة اليسار الإسلامي للتشيّع الفارسي في بلادنا عن طريق مجلتهم التي خصّصت أعدادا كاملة للموضوع. كما أن مكتبة الجديد التابعة لهم دأبت على ترويج المنشورات الشيعيّة السياسيّة حتى عن طريق التصوير وذلك لاشتراكهما في الإيمان بالتقية التي أحسن رموز هذا التنظيم استخدامها ليحصلوا على التراخيص القانونية لمجلة ومنتدى وحتى إلى دخول ديوان وزير التربية لإصلاح مادة التربية الإسلاميّة في عهد محمد الشرفي. هذا الدور الذي مورس سابقا يعود اليوم من بوابة الرابطة. ففي الأشهر الماضية عرف الوطن بعض النشاطات للشيعة الفرس بعضها تمّ في بيت الحكمة خلال السنة الماضية حيث استدعي ميرزائي وهو ليس بعالم دين ولو لبس العمّة بل صاحب مواقف سياسيّة بعضها يهمّ الشأن التونسي إذ سبق له أن نصح على صفحته الإسلاميّين بأن يستعدّوا للسجون كما حصل لجماعتهم في مصر، ومكمن الخطورة فيما حدث أن الدعوة:

* صدرت عن احميدة النيفر زعيم رابطة التعدّد القريبة من رئاسة الجمهورية ورئيس قسم الدراسات الإسلامية في بيت الحكمة.

* تمت برعاية من مؤسّسة بيت الحكمة التابعة لرئاسة الحكومة ممّا يضفي على محاضرة ميرزائي وزيارته طابعا رسميّا، ويؤشر من ناحيتنا على أن اختراقا فارسيّا تمّ لواحدة من مؤسّسات الدولة التابعة لرئاسة الحكومة.

بعد أن تم منع مجلة 15/21 من الصدور بقي منتدى الجاحظ ينشط على استحياء وغاب اليسار الإسلامي عن الساحة باستثناء صدور بعض المقالات أو عقد ندوات محدودة إلى أن وصلنا إلى سنة 2011 التي عرفت هجمة تتار العصر على الدولة والمجتمع. أيامها عاد اليسار الإسلامي إلى الحياة فأنشأ نسخة جديدة منه سمّاها "رابطة تونس للثقافة والتعدّد" تحصلت على الرخصة القانونية سنة 2012. أما الهيئة التأسيسيّة فتشمل احميدة النيفر الذي انشق سابقا عن حركة الاتجاه الإسلامي وعاد إليها مشاركا في مؤتمرها العاشر في اللجان وفي الصفوف الأولى وبن عيسى الدمني عضو المكتب التنفيذي للاتجاه الإسلامي والمنسلخ عنه بعد جريمة باب سويقة ضمن مجموعة عبد الفتاح مورو والعائد إليه في المؤتمر العاشر ونوفل سعيد شقيق الرئيس وأحد قدماء اليسار الإسلامي والكاتب في مجلتهم والمحاضر في الرابطة فيما بعد. والمستفاد ممّا ذكر أن رابطة التعدّد بحكم قربها من رئيس الجمهورية وانتمائها للفضاء الديني الحركي وتشعّب علاقاتها مع الفئات المثقفة والمسيّسة تلعب دورا كبيرا في تخفيف حدّة العداء للإسلاميين وتلميع صورة الحكم من ناحية وتحافظ من ناحية أخرى على المكاسب التي تحققت للإسلام السياسي كالاندساس في أجهزة الدولة وتكوين أذرع إعلامية ومالية لخدمته وهو ما أبقى عليه حكم 25 جويلية رغم ما يعلنه عن أنه بصدد مقاومة الفساد. وفي تقديرنا أن المحافظة على مجلة الأحوال الشخصية وغيرها من مكتسبات الاستقلال يجب أن تضع في الاعتبار أن ما يتهدّد وجود الدولة وبقاءها ما زال حاضرا في أروقة الحكم وإن تغيرت الأسماء ولكن المسميّات ذاتها. فالحذر كل الحذر من الطبعة الجديدة للفرع المحلي للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين ممثلة في رابطة التعدّد ومن ذراعها ممثلا في حكم 25 جويلية 2021.

الهوامش

1) مجلة المعرفة العدد4 السنة 5 عام 1979، ص9.
2) "المرأة بين القرآن وواقع المسلمين" راشد الغنوشي، مطبعة تونس قرطاج، دون تاريخ، ص35.
3) مجلة الموقف العدد64 السبت 10 أوت 1985 ص30.
4) "المرأة المسلمة في تونس بين توجيهات القرآن وواقع المجتمع التونسي" راشد الغنوشي، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت 1993، ط2 ص139 و140.
5) المصدر السابق ص148 و149.
6) مقال "المرأة بين التراكمات التاريخي والاغتراب عن الواقع" جريدة الرأي بتاريخ 31 مارس 1983.
7) مقال "علاقة الجنسين لا زالت متأزمة" مجلة حقائق، العدد73 بتاريخ 5 جويلية 1985 ص25.
8) "محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان" الشيخ عبد العزيز الثعالبي، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1985، ص250.
9) جريدة الصباح بتاريخ 17 جويلية 1988.
10) مجلة 15/21، العدد الثالث فيفري 1983، ص12 وما بعدها.
11) مقال "مقاصد الشريعة بين محمد الطاهر ابن عاشور وعلال الفاسي، المهمّة لا تزال مطروحة" صلاح الدين الجورشي، مجلة الاجتهاد، السنة 3 العدد 9، خريف 1990، ص209.
12) منشور في المجلة الزيتونية المجلد التاسع الجزأين 5 و6 وأعاد حفيده احميدة نشره مؤخرا في كتاب "العالم والزعيم، المؤسسة الدينية في تونس: سنوات الاحتضار" نشر نماء للبحوث والدراسات، القاهرة وبيروت 2022، ص108 وما بعدها.
13) الحريات العامة في الدولة الإسلامية ص290.
14) مجلة 15/21، العدد15 سنة 1988، ص4.

الانتخابات التركية بعيون تونسية :

تنافس على برامج وانتصار حاسم للديمقراطية

بقلم : محمد القوماني

بعد أسبوع من الإعلان الرسمي عن نتائج الدور الثاني للانتخابات الرئاسية التركية، وبعد انجلاء غبار معركة الحملة الانتخابية، يصحّ القول إنّ أردوغان حقّق فوزا تاريخيا، رغم أنّ حزبه يكسب للمرة 17 في الانتخابات التركية المختلفة منذ سنة 2002. فقد تحقق هذا الفوز في ظرفية داخلية وخارجية مخصوصة، نفصّلها لاحقا، كانت ترجّح نهاية تجربة العدالة والتنمية وزعيمه. وبنفس القدر يصحّ القول أيضا إنّه انتصار حاسم للديمقراطية التركية حيث ناهزت المشاركة في الاستحقاق الانتخابي الأخير 90%، في استثناء عالمي، وتمّت العملية دون مشاكل تُذكر، وبمتابعة دولية لافتة. ولذلك جاء إعلان رجب طيب أردوغان فوزه بتفويض الأغلبية له لعهدة رئاسية ثانية مختلفا هذه المرة، وسط احتفاء شعبي كبير، من اسطنبول أوّلا، ثم من أنقرة لاحقا. مشدّدا على أنّه "لا أحد يستطيع أن يجرأ على الديمقراطية التركية بعد اليوم". تُرى ما مؤشرات هذه القراءة المتفائلة للانتخابات الرئاسية التركية الأخيرة 2023؟ وهل يبدو أردوغان وتحالفه في طريق مفتوح لتحقيق أهدافهم؟ وماذا عسانا نستفيد من نظرة للانتخابات التركية بعيون تونسية؟

كانت الزلازل الكارثية التي هزّت مناطق كبرى في تركيا عشية الانتخابات الرئاسية والتشريعية، اختبارا عسيرا لأداء الرئيس أردوغان وحكومته وحزبه. وفي ظلّ أزمة اقتصادية كبيرة تؤشّر عليها نسبة التضخم العالية وهبوط الليرة غير المسبوق منذ تصدّر حزب العدالة والتنمية للحكم في 2002. وبعد مخلّفات سنوات أزمة كورونا ومصاعبها التي شملت اقتصاديات العالم بأسره تقريبا. وفي ظلّ استمرار الحرب الروسية الأوكرانية التي تبدو تركيا في قلب تجاذباتها الدولية. في هذا السياق الداخلي والخارجي غير الإيجابي بالمرة، خاض أردوغان وحزبه الاستحقاق الانتخابي الرئاسي والتشريعي ضمن "تحالف الجمهور"، ضدّ تكتّل واسع للمعارضة ضمن "تحالف الشعب" بقيادة حزب الشعب الجمهوري.

لم تكن وضعية الفريق الحاكم مريحة بالمرّة، بعد تجربة 21عاما في السلطة، بما توفّره تجربة الحكم الطويلة من خبرات واستناد إلى المنجزات، أو ما تفرضه من ضغوطات الإخفاقات والصعوبات، ومشاعر عدم الرضا في ظرفية صعبة. وخلافا لعديد التوقّعات ونتائج سبر الآراء التي كانت تعطي الأولوية للمعارضة ومرشّحها للرئاسية كمال كليغدار أغلو، وفي ظلّ دعاية خارجية قوية وغير خافية ضدّ أردغان، لم يتردد بدوره في ذكر بعضها مثل أمريكا وألمانيا وفرنسا، ومحاولة الاستفادة منها انتخابيا، خلافا لكل ذلك جاءت نتائج الدور الأول في 14 ماي لصالح أردوغان وتحالفه في التشريعية، وجاءت النتائج النهائية للدور الثاني في 28 ماي حاسمة في منح أردوغان عهدة رئاسية ثانية.

وقد عكست المتابعة الدولية اللافتة للانتخابات التركية، على غرار الانتخابات الأمريكية، أهمية الرهان خارجيا. كما جاءت التهاني السريعة لأردوغان من أغلب القادة في العالم لتعزّز هذا الاستنتاج. أما داخليا فكانت الاحتفالات الضخمة في اسطنبول وأنقرة، اللتين تأخر فيهما أردوغان عن منافسه، ومدن تركية أخرى، مؤشرا على حجم الرهان أيضا الذي يتزامن مع احتفال دخول الجمهورية التركية مئويتها الثانية. وربما لهذا السبب أيضا كان خطاب النصر هذه المرة من القصر الجمهوري بأنقرة، خلافا لخطاب "الشُرفة" من مقر حزب العدالة والتنمية باسطنبول سابقا. وقد ذكر أردوغان في كلمته أن ما يزيد عن 320 ألف يحتشدون أمامه أثناء خطابه، علاوة عن الطرقات المليئة بالأنصار في طريقه من المطار. وكان الحضور الكثيف فرصة لتشديد الزعيم أردوغان على علاقة المحبّة بينه وبين شعبه. وعن تقديره له واعزازه به، حتى حمد الله تعالى "الذي جعله فردا من هذا الشعب."

لم يخل خطاب أردوغان في اسطنبول أو أنقرة من مناكفة لخصمه كمال أغلو، ولم يخف مشاعر فرحه بهذا الفوز التاريخي. وتقاسم مع أنصاره بعض الشعارات والأغاني بالمناسبة. وأكد الطابع المحافظ له ولحزبه ولتحالفه. وشدّد خاصة على رفض المثلية وعلى دعم الأسرة وعلى حماية النساء من العنف الذي يستهدفهن. كما ذكّر بأن مبدأه في الحكم يظلّ نفسه كما عرفه الشعب وهو "أنّ العدل أساس الملك". وختم خطابه في أنقرة بدعاء يؤكد انتماء تركيا الإسلامي وحرصه ومن معه على أن "تظل مآذنها بأذانها" واعتزازهم بأن يظلّوا مسلمين. ومن قبل استثمر أردوغان أثناء حملته في رمزيات إنهاء حملته بالصلاة بمسجد آيا صوفيا، أو زيارة قبر عدنان مندريس، أول رئيس وزراء منتخب من القادة الديمقراطيين المحافظين، كان من ضحايا الانقلابات العسكرية السابقة.

غير أنّ أردوغان في أجواء الحماسة والاحتفال بالنصر، كان يستحضر بلا شكّ صعوبات المرحلة القادمة. لذلك حيّا كافة المشاركين في الاستحقاق الانتخابي، بصرف النظر عن اختياراتهم. وشدّد على الوحدة الوطنية، وعلى ترك الخلافات زمن الحملة الانتخابية وراء الظهر. واعتبر أنّ "الكاسب الحقيقي هو الشعب والديمقراطية". وكرّر قوله "حين ننتصر نحن لا يخسر أحد في بلدنا."

فهو يدرك جيدا أنّ الشعب لم يصوّت لجهة واحدة. وأنّ النتائج في التشريعية مثلما في الرئاسية متقاربة. وهو يعلم أنّ سياساته الداخلية أو الخارجية محلّ نقد ومعارضة من عدد كبير من الناخبين. بل إنّ بعض خياراته كانت موضوع انتقاد في حزبه الذي عرف انشقاقات هامة على غرار رفيقي دربه عبد الله غول، وأحمد داود أوغلو الذي أسس "حزب المستقبل" وانضم لتحالف الشعب. كما يدرك أردوغان حجم التحديات الاقتصادية الكبرى لبلده في ظرفية صعبة جدا. فالإنجازات الكبرى الاقتصادية والاجتماعية وعلى جميع الأصعدة التي حسّنت معيشة الأتراك وجعلت من بلدهم قوة إقليمية هامة خلال العشريتين بقيادة أردوغان، لم تشفع له لدى الأجيال الصاعدة من الشباب خاصة، الذين لم يصوّتوا له وجعلوه يتأخّر عن منافسه في المحافظتين الكبيرتين أنقرة واسطنبول.

كما أنّ الأدوار الخارجية لتركيا ومشاركتها المباشرة في بعض الصراعات بزعامة أردوغان، جلبت لها مصالح بلا شك، لكن سبّبت لها مشاكل كبرى أيضا، ولم تكن محل إجماع وطني. وحين يكون أردوغان في عهدة ثانية وأخيرة وربما في نهاية مشواره السياسي. ويكون حزبه مُثقلا بحكم عَشريتين على التوالي، وتكون المعارضة في حالة مدّ رغم خسارتها، وتجد إسنادا خارجيا غير خاف، لن تكون المرحلة القادمة مفروشة بالورود، بالنسبة لأردوغان وتحالف الجمهور، رغم الوعود الكبيرة والثقة بالنفس، والتصميم الذي بدا عليه أردوغان في الحملة الانتخابية وفي خطاب النصر.

كانت نتائج الانتخابات في تركيا شبيهة بنتائج الديمقراطيات العريقة في أمريكا وأوروبا، ومختلفة تماما عن نتائج الأنظمة الاستبدادية، خاصة في نسختها العربية. فالتوازن بين جبهتين يُعدّ أحد شروط نجاح الديمقراطية. وهذه إحدى النواقص الكبرى في التجربة التونسية التي لم تستثمر في التوازن بين حزبي "النداء" و"النهضة" في انتخابات 2014. ولم تنجح في بناء كيانات حزبية قوية ومتوازنة خلال العشرية.

كما كان التنافس بين تحالفي "الجمهور" و"الشعب" في تركيا حول المصلحة الوطنية، بعيدا عمّا عرفته تونس من استقطاب سياسي أو أيديولوجي ومناكفات لا طائل من ورائها. فمكوّنات التحالفين في تركيا متشابهة (إسلاميون وقوميون وعلمانيون في الجهتين) ومواضيع الصراع واقعية ومضمونية، تدور أساسا حول الرؤى الاقتصادية والاجتماعية والبرامج التنموية والسياسات الخارجية وموقع تركيا ومصالحها. وتقلّصت الاختلافات حول الهوية كثيرا وخرجت من الطابع الأيديولوجي. وهذا ما شجّع الناخب التركي الذي انخرط في العملية السياسية بنسبة مذهلة حقا، فاقت الديمقراطيات العريقة. فكانت نحو 90% مشاركة في تركيا، وما يضاهيها عزوفا في تونس. وبذلك تعزّزت الديمقراطية في تركيا، التي خرج شعبها ليحبط آخر محاولة انقلاب عسكري في صائفة 2016. وكان زعيم المعارضة الحالية كمال كليجدار أغلو من أهمّ من تصدّوا للانقلاب الفاشل يومها. خلافا لتجربة تونس، التي غدرت نخبها من مواقعهم المختلفة، بالديمقراطية وتورطت في التحريض على التصفية السياسية للمنافس بكل الطرق، والسكوت عن انتهاك حقوق الإنسان وتبريرها إذا تعلقت بخصم أيديولوجي.

وختاما لا يخطئ المتابع الموضوعي للتجربة التركية الإضافة النوعية لأردوغان ورفاقه في حزب العدالة والتنمية، الذين عرفوا، خلافا لتجارب أخرى في تونس وغيرها، كيف يغادرون المربّعات التقليدية للإسلام السياسي في اهتماماتهم وأولوياتهم وتحالفاتهم، وأبانوا عن كفاءاتهم في الحكم والنجاح حتى صوتت لهم الأغلبية في المناطق المتضررة من الزلزال اعترافا. فخلال عَشريتين من حكمهم، قفزت تركيا إلى الأمام أشواطا على مختلف مستويات التنمية الشاملة وبناء القوة. وعرف "العثمانيون الجدد" كيف يستثمرون حرصهم على الانضمام للاتحاد الأوروبي، وإن بدا مستحيلا واقعيا، في الضغط الداخلي من أجل تطوير التشريعات التركية وتوسيع الحريات وتقليص دور المؤسسة العسكرية في السياسة ودعم استقلال القضاء والعمل بالمواصفات الأوروبية في التصنيع والمعاملات وتطوير المجتمع والخدمات. ولذلك خرج الشعب إلى جنب أردوغان وحزبه لحماية الديمقراطية ذات صيف 2016، وهو الذي لم يتصدّى من قبل للانقلابات العسكرية العديدة. فهنيئا للأتراك بما أنجزوا. والمستقبل وحده يجيبنا عن سؤال هل سيترك الزعيم أردوغان حين يغادر، بلاده حقا على ديمقراطية "لا يجرأ عليها أحد" مثلما قال.

/SAMA
CONCESSIONNAIRE VEHICULES INDUSTRIELS ET ENGINS DE TERRASSEMENT

SHACMAN

REMISE
ALLANT JUSQU'À
20 000 DT

Du 1er au 31 Mai

500 000 km
de garantie*

100 000 km
de vidanges gratuites*

X3000 Series

* ou 2 ans

70 130 010

alBaraka ATL Attijari Leasing BTK LEASING CIL Leasing Shell HELIX

حريف يتهم ATB بالاستيلاء على أكثر من 200 ألف دينار من حسابه عبر عمليات وهمية

محمد الجلالي

يواجه البنك العربي لتونس تهما بالاستيلاء على قرابة 200 ألف دينار من حساب حريف دون علمه والقيام بعمليات مالية مريبة واحتساب فوائض تأخير غير قانونية ومطالبة الحريف بدفع 11 ألف دينار مقابل تمكينه من كشف لحسابه رغم مجانية الخدمة بمقتضى منشور للبنك المركزي.

ما بدر عن البنك من عمليات مالية غامضة كفرض دين وهمي على الحريف والإيهام بعدم امتلاكه رصيدا بحسابه أدى الى إثقال كاهله بفوائض وعمولات غير قانونية اثبت بعضها خبير عدلي بعد ان كلفته المحكمة بالتدقيق في المعاملات المالية الحاصلة بين الطرفين.

عمليات مُريبة

تشير وقائع الملف الى ان الحريف الصحبي دبو صاحب قاعة رياضة بوسط العاصمة تفطن خلال سفره الى الخارج الى وجود عمليات سحب أموال من حسابه البنكي أو ايداع به دون علمه حسب تأكيد نفس المصدر.

الحريف اكد في تصريح لأسبوعية "الشارع المغاربي" انه طلب تبعا لذلك من فرع تابع للبنك تمكينه من كشف لحساباته للتثبت منها مشددا على أن ادارته اشترطت عليه دفع 11 ألف دينار نظير طباعة الكشوفات.

واستغرب الحريف من ذلك مشيرا الى ان البنك خالف بذلك القانون نظرا لان الخدمة التي طلبها مجانية.

يذكر أن البنك المركزي يعلن سنويا عن 14 خدمة بنكية مجانية كفتح حساب بنكي والحصول على دفتر صكوك وعلى دفتر ادخار وايداع وسحب الأموال نقدا وخلاص الصك البنكي وتحويل مبلغ مالي من حساب إلى آخر في الفرع البنكي ذاته والاطلاع على الحساب البنكي والحصول على كشف الحساب وعلى كشف الحساب الشهري وسحب الأموال من الموزع الآلي الخاص ببنك المودع والدفع باستعمال البطاقة البنكية لدى المحلات التجارية الموجودة بتونس وخلاص الفواتير عبر الأنترنت وتغيير العنوان وغلق الحساب البنكي.

وكان لطفي الرياحي رئيس المنظمة التونسية لارشاد المستهلك قد كشف من جهته أنّ بعض البنوك تتعمد توظيف معاليم على خدمات يُفترض أنّها مجانية معتبرا مثل هذه الاجراءات غير قانونية.

واوضح الرياحي أنّ المنظمة اجرت استبيانا شمل 2415 من حرفاء البنوك مشيرا الى انه تبين ان 94 % من المستجوبين لا يعلمون بمجانية الخدمات المسداة إليهم.

الاستنجاد باختبار عدلي

في 29 أوت 2022 توجّه الحريف الى المحكمة الابتدائية بأريانة للاذن له بتكليف خبير عدلي مختص في العمليات المصرفية والشؤون البنكية والتثبت في العمليات المالية التي شهدتها حساباته بالبنك.

وبتاريخ 25 جانفي 2023 قدّم الخبير تقرير اختبار تضمن مئات الصفحات أشار فيه الى ارتكاب البنك عدة إخلالات.

الخبير أفاد في تقريره بأنه لاحظ بعد اطلاعه على احد حسابات الحريف البنكية وجود خلل محاسبي تمثّل في تحمّل الحساب البنكي بين ماي 2015 وديسمبر 2020 دينا وهميا بأكثر من 10 آلاف دينار.

وشدّد على ان الدين الوهمي أدى الى اثقال كاهل الحريف بفوائض وعمولات بـ 19 ألف دينار والى رجوع صكوك بسبب عدم وجود رصيد.

في هذا السياق تكشف بيانات البنك المالية لسنة 2022 ان الفوائد والعمولات المماثلة المسجلة في المداخيل بلغت 83 ٪ من إجمالي مداخيل البنك اي ما يناهز 553 مليون دينار.

واكد الخبير في تقريره أيضا انه وقف على وجود تحويلات في أحد ارصدة الحريف بـ 12 ألف دينار مشددا على ان الرصيد لم يشهد تنزيل مبالغ وعلى انه سجل خلاص عمليات اقتطاع دون علم الحريف.

وأفاد بأنه طالب البنك بتقديم توضيحات في هذا الصدد ومده بنسخ من عمليات الاقتطاع لافتا الى ان المؤسسة المالية لم تحرك ساكنا الى حدود انجاز التقرير ولم توفر الوثائق المطلوبة.

كما ذكر انه تحوّل الى مقر البنك حاثا ادارته على تعيين من يمثله لحضور جلسة اختبار وانه اتصل هاتفيا بالمؤسسة المالية واستدعى ممثّلها القانوني مشيرا الى ان البنك لم يرسل من يمثله.

نسخة من تقرير الاختبار

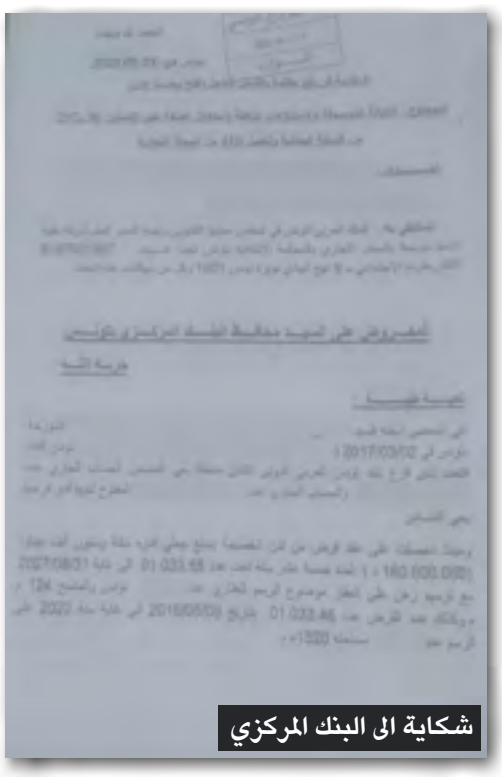
شكاية الى البنك المركزي

استيلاءات وتضخيم

الصحبي دبو اتهم البنك بارتكاب تجاوزات قال انها مخالفة للقانون ولمناشير البنك المركزي وأوامره مشددا على انه احتسب فوائض واستولى دون علمه على مبالغ مالية من حسابه.

المتحدث ذكر ان البنك لم يدرج بحسابه الجاري مبالغ مالية سبق له ان نزّلها ولم يطرح هذه المبالغ من أصل الدين لافتا الى انه تم تضخيم المبلغ الأساسي بفوائض أخرى بما تسبب له في خسارة بأكثر من 200 ألف دينار.

وأشار الى ان ممثلين قانونيين للبنك مارسوا عليه ضغوطات والى انهم هدّدوه بإجراء عقلة على أملاكه في صورة عدم سداد ما تبقى من القرض ملاحظا ان ما تعرض له من ضغط نفسي بحكم تواتر محاضر الانذار والأوامر بالدفع والعقل على منقولاته تسبّب له في جلطة دماغية استوجبت ايواءه لمدة 13 يوما بإحدى المصحات.

ووصف المتحدث ما تعرض له بأحد فروع البنك بالفساد المالي الخطير معتبرا أن بعض البنوك المحلية اصبحت تستنبط حيلا جهنمية لسرقة أموال الحرفاء معتمدة في ذلك على تقنيات غير مسبوقة.

من جهته أوضح البنك العربي لتونس أن المعني بالامر حريف بأحد فروعه منذ عقد من الزمن وانه تمتع خلاله بالخدمات المالية في أحسن الظروف.

وأضاف البنك في مراسلة بعث بها الى الجريدة انه فوجيء مؤخرا بالحريف يرفع شكاية إلى القضاء إدعى فيها تعرضه لمظلمة استنادا الى معطيات منقوصة يتحفظ البنك عن نشر تفاصيلها التزاما منه بواجب المحافظة على السّر المهني واحتراما للسلطة القضائية.

يذكر ان الفرقة المركزية بالقرجاني المختصة في الجرائم الاقتصادية والمالية تعهدت مؤخرا بالملف واستمعت الى أقوال الشاكي الصحبي دبو في انتظار الاستماع الى اقوال الممثل القانوني للبنك.

اقتراحات رئيس الجمهورية لإصلاح منظومة الدعم بين النظريات المثالية وعقبات البيروقراطية

كريمة السعداوي

تواجه تونس أزمة شاملة تتعدد مظاهرها وتتعقد، مما يهدّد بتفجر الأوضاع الاجتماعية. ويرجع ذلك إلى عجز النخب السياسية المتعاقبة على الحكم منذ 2011 عن تقديم إجابات شاملة للأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهو ما يتجلى في التحويرات الوزارية المتتالية وتغيير الحكومات المتواصل سعيا لإيجاد آليات للخروج من الأزمة.

وتتزامن هذه الأوضاع مع إضرابات لم تتوقف منذ عام 2011، شملت كافة القطاعات، وتعبّر عن مطالب قطاعية تفاقم تاثيراتها ظواهر أخرى اهمها تدهور القدرة الشرائية للعائلات وانتشار العنف والهجرة غير الشرعية والبطالة.

علاوة على ذلك، يزيد تدخل الجهات الخارجية، سواء من خلال السفارات أو المنظمات غير الحكومية، أو الصناديق الدولية المقرضة من تعقيد الوضع ويشوش على صناع القرار الذين لم يتوفقوا في الوصول إلى حلول جديدة فعالة وقابلة للتطبيق.

وفي ظل هذا الوضع المتأزم، تطفو إشكالية صندوق الدعم أو الصندوق العام للتعويض على كافة الأصعدة، حيث يؤثر مباشرة على الوضع الاقتصادي العام ويحظى باهتمام المقرضين الدوليين حتى صارت مسألة الصندوق موضوعًا لا يخص تونس فحسب وإنما تجاوز حدودها وتحول إلى موضوع للمزايدات السياسية بين الأطراف الحزبية والمنظمات الوطنية والصناديق الدولية التي جعلت "إصلاحه" شرطا لتمويل البلاد. ويشمل تدخل الدولة في مجال دعم المواد الأساسية والمحروقات والنقل العمومي.

أرقام ووقائع

تفيد الدراسات الصادرة عن المعهد الوطني للإحصاء في عام 2015 أن المجتمع التونسي ينقسم حسب مستويات الدخل إلى ثلاث فئات رئيسية هي الميسورون أو الطبقة المترفة، والطبقة الوسطى، والطبقة الفقيرة. وتنقسم كل من الطبقة الوسطى والطبقة الفقيرة إلى فروع بسبب التفاوت في العناصر المكونة لهما في مستويات الدخل. وتبرز النسب المئوية على النحو التالي:

الطبقة المترفة (10%)

الطبقة الوسطى، وتنقسم إلى ثلاث فئات:

الوسطى (75%) والوسطى العليا (25%) والوسطى السفلى (25%).

الطبقة الفقيرة، وتنقسم إلى فئتين:

فئة فقيرة (12%)

فئة في مستوى الفقر المدقع (3%)

وتستفيد الطبقات العليا بأكثر من 70% من الدعم. وتشير بعض الدراسات إلى أنها تصل إلى 80%. وعلى الرغم من أن الأهداف الكبرى لآليات الدعم تكون أساسًا موجهة للطبقات المحتاجة من الفقيرة والوسطى والوسطى السفلى، فإن الطبقات العليا، التي تمثل حوالي 35% من السكان، تستنزف أكثر من 80% من موارد الدعم.

وتتم هذه الاستفادة بشكل مباشر أو غير مباشر، حيث يحصل هؤلاء على الدعم بغض النظر عن دخلهم المرتفع. فهم يستهلكون المواد المدعمة مثل والخبز والوقود والسكر والحبوب بأسعار تفاضلية مدعومة من الدولة. بالإضافة إلى ذلك، يستفيدون كأصحاب مشاريع في قطاعات مختلفة مثل المطاعم والسياحة والصناعة التحويلية اذ تستهلك هذه الأنشطة المواد المدعمة بكميات هائلة ويتم ضخ المنتجات في الأسواق المحلية أو تهريبها في عمليات ذات صبغة ربحية عالية بما يمكنهم من تحقيق أرباح كبيرة على حساب المالية العمومية. ويستفيدون أيضًا من المزايا التحفيزية للاستثمار مثل المواد الاستهلاكية والإعفاء الضريبي وأسعار تفاضلية في استغلال المياه والكهرباء والعقارات والمواد الأولية. وكل ذلك يعمق أزمة الصندوق.

وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن عدد الوافدين على البلد من الدول المجاورة والسياح الأجانب يتراوح بين 4 و7 ملايين خاصة في

فصل الصيف في بلد يبلغ تعداد سكانه حوالي 12 مليون نسمة. وبالتالي تتراوح الزيادة بين 40% و70% من مجموع السكان في فترة قصيرة من السنة، مما يسبب ضغطًا هائلاً على موارد الصندوق التي لا يتم احتسابها.

الرئيس وصندوق التعويض

أشرف رئيس الجمهورية قيس سعيد يوم الأربعاء 31 ماي 2023 بقصر قرطاج، على اجتماع مع عدد من الأساتذة الجامعيين تم خلاله تناول جملة من المواضيع ذات العلاقة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تونس. وتطرق اللقاء مطولا إلى ملف مقاومة الفساد الذي لا يزال مستشريا في عديد القطاعات وضرورة محاسبة كل من أفسد ولا يزال يعمل في الظل ليخدم من لا دأب له إلا افتعال الأزمات وتكديس الثروات والتنكيل بالشعب في قوته وفي معاشه. وتناول اللقاء بالدرس، كذلك الإجراءات التي يمكن اتخاذها لتحقيق التوازنات المالية المنشودة على أساس العدل الاجتماعي.

كما تم التطرق أيضا إلى ملفات الأمن الغذائي والطاقات البديلة وفتح أسواق جديدة للتصدير وتخفيض الواردات خاصة إذا كانت تثقل كاهل الدولة والمواطن دون أن تكون ثمة حاجة حقيقية إليها. فالميزان التجاري مختل بدرجة كبيرة نتيجة جملة من الاتفاقيات التي لم يجن منها المواطن إلا مزيد الفقر والإملاق. وشدد رئيس الجمهورية في هذا الاجتماع على ضرورة التعويل على الذات مؤكدا على أن الحل يكمن في العمل وخلق الثروة ومساهمة كل الأطراف مساهمة حقيقية تقوم على الشعور المفعم بالمسؤولية وبالانتماء للوطن وبحق كل التونسيين والتونسيات في أن يعيشوا محفوظي الكرامة في دولة محفوظة الكرامة ومحفوظة السيادة.

بعد الاجتماع الذي اتسم بحضور لافت لأساتذة الاقتصاد نظرا إلى طابع النقاش الدائر ونظرا إلى استفحال الأزمة الاقتصادية، استقبل رئيس الجمهورية قيس سعيّد يوم الخميس 1 جوان 2023 بقصر قرطاج، نجلاء بودن، رئيسة الحكومة وتناول اللقاء سير العمل الحكومي بوجه عام والتوازنات المالية على وجه الخصوص.

وأعاد رئيس الجمهورية ما كان ختم به اجتماعه بعدد من الأساتذة الجامعيين قول عمر بن الخطاب "لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها إلى الفقراء"، مشيرا إلى أنه بدل رفع الدعم تحت مسمّى ترشيده يمكن توظيف أداءات إضافية على من يستفيدون منه دون وجه حقّ ودون الخضوع لأية املاءات خارجية، ومذكّرا بأن تونس كانت عرفت هذه الطريقة منذ السنوات الأربعين من القرن الماضي عند إحداث صندوق التعويض لأول مرة.

ضريبة الرئيس على "الأغنياء" بين النظرية والتطبيق

حسب الدراسات المنجزة حول منظومة الدعم في تونس، غالبًا ما يتمتع الأثرياء بالدعم بسبب الافتقار إلى آليات الرقابة المناسبة.

وقد تبدو فكرة رئيس الجمهورية بتعديل الدعم الذي تستفيد منه الطبقات الغنية من خلال الضريبة التي قد توظف عليهم بمثابة حل منطقي لاستعادة المالية العمومية توازنها وضمان توزيع عادل للموارد. ومع ذلك، فإن المسامية Porosité بين الفئات الاجتماعية يمكن أن تجعل هذا النهج صعب التنفيذ.

وتكمن إحدى الصعوبات الرئيسية على هذا الصعيد في تعريف الطبقات الاجتماعية وتصنيفها. فقد يكون من الصعب التحديد الدقيق لمن ينتمي إلى الطبقة الغنية ومن لا ينتمي إليها خاصة أنّه وحسب البيانات المتوفرة من المعهد الوطني للإحصاء لعام 2020 قدر عدد العاملين في الاقتصاد غير الرسمي بتونس بنحو 1.4 مليون شخص وهم شريحة كبيرة من السكان يعملون في كافة القطاعات ومن الصعب تحديد مداخيلهم وبالتالي يصعب تصنيفهم. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للأثرياء الوصول إلى مصادر مختلفة للمواد المدعومة باستخدام الوسائل القانونية وأخرى ملتوية مثل التهريب. ومن الممكن أن يسعى بعض الأفراد إلى إخفاء دخلهم أو إيجاد طرق للتحيل على القانون، مما قد يضر بفاعلية الإجراء.

وفي نهاية المطاف، يعد تطبيق ضريبة على الطبقات الثرية لتعويض الدعم تحديًا معقدًا يتطلب تفكيرًا دقيقًا وتخطيطًا مناسبًا ربما لن يجد طريقه إلى التطبيق البتّة لعجز الإدارة وتعقّد المشهد السياسي. كما أنه من المهم مراعاة العديد من العوامل، في هذا الإطار مثل الجدوى الإدارية والأثر الاقتصادي العام والقدرة على ضمان التوزيع العادل للدعم.

حلول أخرى

تجدر الإشارة إلى أنه يوجد نهج آخر ممكن لضمان تخصيص أفضل للموارد، مثل تحسين آليات المراقبة، أو تطوير سياسات تستهدف على وجه التحديد الفئات الأكثر فقرًا، أو زيادة الوعي والتثقيف حول قضايا العدالة الاجتماعية والاقتصادية.

ومن بين الحلول المقترحة إنشاء قاعدة بيانات مركزية ومشتركة بين المكاتب الموجهة للدعم في جميع القباضات المالية المتواجدة بكافة أنحاء الجمهورية، على أن تخضع إلى تحديث مستمر مع ربطها بالتطبيقات الوطنية الأخرى في ما يتعلق بالبيانات الشخصية للمستفيدين (الضمان الاجتماعي، الداخلية، القباضة المالية، الوظيفة العمومية، مكاتب الأداء، الشؤون الاجتماعية...). والغرض من ذلك هو التثبت من صحة المعلومات المقدمة وإرساء نظام رقابة فعال ومحدث. كما يعتبر إرساء منظومة أو قاعدة بيانات خاصة بالدعم أمرًا ضروريًا ويجب أن يتم تنفيذه في الوقت المناسب، وأن عدم وجودها يعوق الانتقال من الدعم الآلي إلى نظام التسجيل الاختياري في التعويض.

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن
كريم عرفة

بانجاز جسر حديدي يربط بين منطقة الترايعية 2 من عمادة الظهيرات والطريق الجهوية 52 الرابطة بين باجة ونفزة يكون الشاب كريم عرفة قد أنجز سادس جسر لفك عزلة سكان من المناطق النائية.

كريم أصبح لا يفوت فرصة لمد الجسور أمام الأهالي والتلاميذ كلما تناهى الى علمه ان السبل قد تقطّعت بسكان هذه المنطقة أو تلك.

عمادات الهذيل ووادي البلوط بولاية جندوبة والظهيرات بباجة كلها مناطق تناستها السياسات العمومية وغفلت عنها المبادرات الخاصة فتذكّرها عرفة باذلا في سبيلها من ماله وجهده.

كريم ابن مدينة سليانة يعرف جيدا مدى صعوبة التضاريس الجبلية والوديان الهادرة خاصة خلال فصل الشتاء فلم يدخر جهدا في رسم البسمة على وجوه أطفال طالما منعتهم السيول من الالتحاق بمدارسهم وإعادة الأمل إلى عائلات كانت تعاني الأمرين عند نقل مريض أو إسعاف مصاب.

الحس المواطني عند كريم عرفة تجلّى أيضا في تزويد عديد المدارس بطاولات كانت الى وقت قريب مجرد خردة مهشّمة. الشاب سخّر ورشته وجنّد العمال لصقل بقايا قطع الحديد المهملة وترميمها ثم تزيينها باعثا فيها الروح لتعود إلى دورة الحياة في أكثر من مدرسة. كريم الذي كتب في تدوينة له بعد تدشين جسر الترايعية بباجة "مازالت محطات آخرى ومبادرات أكبر وطموح لا حدود له" يحلم بوطن يتسع للجميع وبقوانين تساند المبادرات الشبابية. فهل من مجيب؟

رديء
والي المنستير

في محاولة يائسة لتدجين وسيلة إعلام عمومية سعى والي المنستير منذر بن سيك إلى الضغط على صفحيي إذاعة الجهة عبر هرسلتهم وتعطيل بعضهم عن القيام بعملهم الميداني. الوالي لم يكتف بالضغط على إدارة الإذاعة لفرض برنامج دعائي بدعوى التطرق الى مسار 25 جويلية وانما عمل جاهدا على استغلال المنبر الإعلامي لبث مضامين لتلميع صورة السلطة بدل فسح المجال للاذاعة للعب دورها كمرفق اعلامي عمومي في كنف الحياد ووفق ما تقتضي اخلاقيات المهنة والميثاق التحريري.

الوالي نسي او تناسى ان الاعلام الحر والمستقل عموميا كان او خاصا لا يخدم الا الصالح العام وأنه لا يخضع لاية سلطة اخرى ايا كان مصدرها وأن في التدخل في خطه التحريري حرمان للمواطن من حقه في الخبر اليقين والمعلومة الحرة والمسؤولة.

ولا يمكن فهم ما بدر عن الوالي الا في سياق سياسة تعادي الكلمة الحرة وتحن للاعلام المدجّن والمصطف خلف السلطة والويل لمن يتجرأ على النقد او كشف الاخلالات أو حتى التعبير عن رأي مخالف. والغريب ان ما تعرض له صحفيو اذاعة المنستير ليس سوى عينة من ملاحقات ادارية وقضائية طالت عديد الصحفيين. الا يعتبر ذلك حنينا الى مربّع تركيع السلطة الرابعة؟

صورة من تاريخ تونس

تونسي يهودي أصيل... مع الأسف كان بعض المتزمتين يقولون عن اليهودي «ذمّي حاشاك»...

قالوا

سهام البوغديري نمصية

اقول لكم بكل صراحة ان اثار الحرب الروسية الاوكرانية على مصاريف الدعم والتي هي مرتبطة بالمحروقات والحبوب والمواد الاساسية اكثر من 5000 مليون دينار اثقلت كاهل ميزانية الدولة 2023-2022 والدولة لم ترسم هذا المبلغ ويجب ان تعدل وايضا يتوجب عليها النظر في كيفية توفير تلك المداخيل غير المرسمة...."

رضا الشكندالي

اللقاء مع رئيس الجمهورية قيس سعيد دام حوالي 5 ساعات من الثالثة الى الثامنة مساء.. تحدث السيد رئيس الجمهورية في خطابه الذي بث في الاعلام حول رفضه المقاربات السائدة لحل الاشكالات الاقتصادية الراهنة واعتبر ان الحلول المقدمة من طرف صندوق النقد الدولي ما هي الا املاءات تهدد السلم الاجتماعي واقترح في مقاربته بعض الحلول المعروفة لدى الراي العام منها الشركات الاهلية لتشغيل العاطلين عن العمل والصلح الجزائي لتمويل التنمية في الجهات الفقيرة والمهمشة وكذلك قدم اقتراحا حتى على مستوى رفع الدعم. يقول لماذا لا يتم توظيف اداء على من ينتفع بالدعم ولا يستحقه لتمويل صندوق الدعم لاعطاء الدعم لمن يستحقه ..وهذه مقاربة اخرى ليست نفس مقاربة صندوق النقد الدولي ..

زهير المغزاوي

من غير المعقول ان يتعرض صحفي للهرسلة او للايقاف لانه تحدث في اذاعة وانا متأكد من ان الرئيس لا يقف وراء هذه الممارسات ومن ان هناك اجهزة داخل الدولة تبالغ وتستعمل هذه الممارسات لاظهار ولاءها للرئيس وهذا مرفوض ...ككتلة في البرلمان ندرس امكانية تقديم مشروع قانون لتنقيح المرسوم 54 ..لسنا خائفين من بداية مرحلة استبدادية... نحن ضد الفكرة السائدة حاليا التي تتحدث عن انه يتم ايقاف كل من يعارض الرئيس... هناك عديد الاطراف تعارض الرئيس وتتحدث لوسائل الاعلام صباحا مساء وهناك من وصل به الامر الى شتم الرئيس ولم يتم ايقافه.

رياض الشعيبي

من حيث المبدأ اذا كانت مبادرة اتحاد الشغل تهدف لعودة المسار الديمقراطي واطلاق سراح المعتقلين واخراج البلاد من أزمتها الاقتصادية والاجتماعية فاننا في حركة النهضة حتما سندعمها وسنشارك فيها اذا دعينا لذلك؛ أما اذا كان الهدف من هذه المبادرة التطبيع مع الوضع الحالي والقبول بانقلاب القوة فإننا سنتصدى لها كما نتصدى اليوم لهذه السلطة المنقلبة.... ومع ذلك فان في الموقف الصامت اليوم لاتحاد الشغل اكثر من دلالة على حالة الحيرة التي يعيشها، وحجم التحولات المتوقعة في موقفه من شرعية الأمر الواقع الذي تحاول تكريسه السلطة.

سلسبيل القليبي

.. النص الدستوري يتحدث عن وظائف واريد ان اقول ان استعمال عبارة وظيفة لا يغير شيئا لانكم اصحاب سلطة وسموهم ما شئمتم فأنتم اصحاب سلطة... فلا يغرنا ان رئيس الجمهورية شريك البرلمان في المبادرات التشريعية وعبارة مشاريع رئيس الجمهورية لها الاولوية ففي برلمانات العالم تتجسم السلطة التشريعية للنواب في سلطة التعديلات التي يدخلونها على المشاريع التي ترد عليهم من السلطة التنفيذية ومعنى ذلك ان البرلمان ينتصب كسلطة وان بامكانه تغيير النص الذي يفد عليه بصفة جذرية.

لماذا تبني الصين شبكة انترنت خارقة وهل تهزم إيلون ماسك وأمريكا؟

- خطة «القتل الناعم» الصينية وبرنامج «القوة الفضائية الامريكية» للتصدي لها
- كيف أشعلت تجربة «ستارلنك» بأوكرانيا الأضواء الحمراء في بكين؟
- «بيزنس» بـ 412 مليار دولار وراء تنافس امريكي-صيني شرس على احتلال الفضاء
- لماذا يتخوّف الصينيون من مشروع Starshield الأمريكي؟

تنافس أمريكي صيني شرس على احتلال الفضاء

الحبيب القيزاني

ماذا يدور في الفضاء؟ هل اقتصر تنافس الدول العظمى على امتلاك مناطق نفوذ بالأرض وتحويل البحار والمحيطات الى عيون واذان خفية تترصد حركات القوى الأخرى أم أن التناحر بينها انتقل الى السماء؟ ولماذا؟

في ظل سيطرة الولايات المتحدة على معركة «حرب النجوم» التي أطلقتها منذ ثمانينات القرن الماضي في عهد الرئيس الراحل رونالدو ريغن. وبعيدا عن الدور الذي تلعبه الأقمار الصناعية التقليدية أمريكية كانت أو روسية أو صينية أو فرنسية أو بريطانية أو هندية تبني الصين اليوم شبكة انترنت خارقة يعتمد نشاطها اساسا على الأقمار الصناعية. لماذا؟ وهل تهزم بكين ايلون ماسك صاحب شركة SPACE X للأقمار الصناعية ومن ورائه أمريكا؟ ما هي خطة الصين لمواجهه شبكة العنكبوت الأمريكية من الأقمار الصناعية وماذا تعد لتدميرها عند الحاجة؟ وماذا أعدت أمريكا للتصدي للخطة الصينية؟ لنبدأ القصة من الأول.

الى حد هذه اللحظة توجد في العالم مناطق مجهولة موحشة لا بشر فيها.. صحار وجبال وجزر وغابات ومحيطات واسعة وجبال من الجليد ومناطق في اقاصي العالم خالية تماما من حضور الانسان وصعب جدا ان نجد بها لمسات التكنولوجيا او اشارة هاتف واحدة... مناطق يسميها الناس عادة مناطق غير مأهولة لكن ايلون ماسك «الرجل الحديدي» مثلما كان الاعلام الامريكي والغربي يسميه يصنفها كـ «مناطق ميتة».

هذه المناطق ليست تلك التي لا يوجد بها بشر فحسب وانما هي ايضا تلك المناطق التي يسكنها البشر ولكنها تفتقد الى التكنولوجيا. وتثبت الارقام

ان 3 مليارات من العباد لا يملكون انترنت اي حوالي 36% من سكان العالم، نصفهم بالصين والهند اضافة الى صعوبة ايصال كابلات بحرية اليهم وإلى ان ربطهم بكابلات بحرية يتطلب وقتا طويلا واموالا طائلة.

سنه 2015 طلع ايلون ماسك على خشبة مسرح مدينة «سياتل» الامريكية امام طاقم شركته الشهيرة «سبايس ايكس» SPACE X لتعريف الجمهور بمشروعه الجديد الذي سيسيطر به على السماء.

شركة «سبايس ايكس» حدّدت مجموعة من الاقمار الصناعية صغيرة الحجم تدور في مدار منخفض على ارتفاع يتراوح بين 300 و600 ميل اي ما بين 450 و900 كلم وهو ارتفاع يعتبر قريبا جدا من الارض مقارنة بالاقمار الصناعية المعتادة مثل التي تدور على ارتفاع 22 الف ميل علي الاقل (35 الف كلم). وقال ماسك ان مشروعه قادر على ايصال الانترنت الى اي مكان بالعالم.

سنه 2018 قدرت شركة SPACE X ان كلفة المشروع تناهز 10 مليارات دولار وان انجازه يتطلب 10 سنوات وهو الوقت المطلوب لتصميم وصنع الاف الاقمار الصناعية المطلوبة.

من أوكرانيا الى تايوان...

بعد الاجتياح الروسي لأوكرانيا دخلت الصين على الخط وتساءلت : ماذا يمكن ان تقوم به شركة اتصالات مماثلة على مستوى الاستخدامات العسكرية بعد الدور الذي لعبته ولا تزال في توجيه القوات الاوكرانية ومعداتها الحربية وخصوصا منها الطائرات المسيرة والصواريخ لاستهداف القوات الروسية؟

وهكذا قررت الصين انجاز مشروع اقمار صناعية مضادة لاقمار شبكة SPACE X وهو مشروع غامض يتلخص في حرفين G.W أو Guowang أي شبكة الدولة وقررت بكين وضع خطة عسكرية تجيب على سؤال واحد : كيف يمكن تدمير كل الاقمار الصناعية التابعة لشبكة «ستارلنك» التي وضعتها شركة SPACE X؟ مما انتج وضعا خطيرا يتعلق بمستقبل الصراع على وجه الأرض، صراع لن يكون بين الصين وامريكا فحسب وانما سيتحول الى شبه حرب عالمية في الفضاء بين القوى العظمى التي تسعى كل منها الى احتكار مناطق بالفضاء تحت سيطرة شبكة اقمارها الاصطناعية تعمل لأغراض سلمية او عسكرية.

من هنا تفرض عدة اسئلة نفسها : ما هو انترنت الاقمار الصناعية ولماذا اكتسب هذه الاهمية بعد ظهور مشروع شبكة «ستارلنك» ولماذا تتعامل معه الصين رسميا على انه جزء مهم من بنيتها التحتية الكبرى (حزام واحد، طريق واحد او ما يعرف بطريق الحرير الجديدة؟) وكيف انقذت شبكة «ستارلنك» اوكرانيا في الأيام الاولى من الغزو الروسي؟ ولماذا ترى الصين في هذه الشبكة تهديدا لجيشها لو انها قرّرت غزو جزيرة «تايوان»؟ وكيف ستتعامل مع شبكة اقمار «ستارلنك» وما هو مشروع ايلون ماسك السري الموجه للحكومات فقط؟ ولماذا انزعجت منه بكين؟

كعكة ب 412 مليار دولار

اسئلة مثيرة جدا وراء الاجابة عليها قصة طويلة : في الايام الاولى لظهور الهواتف المحمولة كان هدف شركات صنع الهواتف بناء شبكة اتصالات ومعلومات قادرة عن العمل في اية منطقة من العالم. وانترنت

جندي اوكراني ينصب جهازا للربط مع شبكة «ستارلنك» الامريكية

الاقمار الصناعية ليس في حد ذاته اختراعا جديدا وانما دخل الخدمة منذ منتصف تسعينات القرن الماضي.

لكن هذه الاقمار كانت لا تزال بعيدة عن الارض حتى تتمكن من تغطية اوسع ما يكون من الاراضي وهذا يعني سرعة اتصالات أبطأ بكثير من المطلوب الى جانب وجود احتمالات حصول انقطاعات وتأخير في وصول المعلومة. لذلك جاءت شبكة «ستارلنك Starlink» لتحقيق حلم الاتصالات الاسرع بفضل اقمار اصطناعية اصغر تعتمد على تقنية تكنولوجية فائقة السرعة تمتلكها كل من امريكا والصين. ومن المتوقع ان يبلغ رقم معاملات سوق انترنت الفضاء خلال العشرين سنه القادمة نحو 412 مليار دولار. وهذه هي الكعكة التي يدور عليها حاليا صراع بين امريكا والصين.

ولكن دعونا نتعرف عن قرب على مشروع ايلون ماسك المسمى «ستارلنك» Starlink. هو مشروع لبناء مجموعة ضخمة من الاقمار الصناعية وزنها خفيف وتدور حول الارض على ارتفاعات منخفضة جدا ووزن القمر الواحد بين 100 و500 كلغ فقط مقارنه بوزن الاقمار الصناعية التقليدية التي يتراوح الواحد منها بين 5 و6 أطنان. وتستعمل اقمار شبكة Starlink اشعة الليزر لتبادل اشارات مع بعضها مما يجعلها بحاجة الى عدد اقل من المحطات الارضية اضافة الى ان دورانها على ارتفاع منخفض يمكّنها من حرية حركة اوسع وبالتالي زيادة سرعة تدفق الانترنت وتفادي الانقطاع.

وقد اطلق اول 60 قمرا صناعيا من شبكة «ستارلنك» في شهر ماي 2019. ومنذ ذلك التاريخ شهد مشروع ايلون ماسك تطوّرات ضخمة ليبلغ عدد اقماره الصناعية في ماي الماضي 4000 قمر تمد 53 دولة بالانترنت. وتقضي خطة شركة SPACE X اطلاق 12 ألف قمر مع نهاية سنه 2030 و42 الفا في المستقبل القريب وهذا يمثل 15 مرة عدد الأقمار الصناعية التي تدور حاليا حول الارض بالنسبة لكل دول العالم مجتمعة.

في شهر ماي المنقضي بلغ عدد المشتركين في شبكة «ستارلنك» مليون ونصف مشترك. وتسعى الشركة الى بلوغ 40 مليون مشترك سنه 2025 مع ارباح مقدرة ب 30 مليون دولار.

السؤال هو: متى أثبتت شبكة «ستارلينك» جدارتها ومتى بدأت الصين في التعامل مع هذا التهديد بجدية أكبر؟

الحقيقة ان الصين احتاطت لهذا التهديد منذ سنوات طويلة. لكن المحك الحقيقي كان الغزو الروسي لاوكرانيا. ذلك ان شركة SPACE X كانت على امتداد شهور طويلة قبل الغزو الروسي تضغط على اوكرانيا وتطالبها بتمكينها من ترخيص للعمل بمجالها الفضائي ولم تحصل عليه الا عندما بدا الاجتياح الروسي. فبعد مرور يومين فقط على دخول القوات الروسية الاراضي الأوكرانية سارع ميخايلو فيدوروف وزير التحوّل الرقمي الاوكراني وطلب من ايلون ماسك ان تمد شركته بلاده بمحطات من شبكة «ستارلنك» حتى تتمكن من جمع معلومات وصور عن تجمّعات وتحركات الجيش الروسي وبالتالي استهدافها.

وهكذا ارسلت «ستارلنك» 20 الف وحدة معلومات مجانية للاوكرانيين وحوّل ايلون ماسك كل اوكرانيا الى ساحة اختبار فريدة من نوعها ومهمّة لمستقبله ومستقبل شبكة «ستارلنك» في ظل عوامل يندر توفرها مع بعض، منها رصد تحرّكات القوات الروسية والانذار بالهجومات قبل وقوعها والتشويش الالكتروني الروسي على القوات الاوكرانية وذلك باعتراف الجنرالات الاوكرانيين انفسهم ولولا شبكة «ستارلنك» لكانت بلادهم قد خسرت الحرب منذ ايامها الأولى. وقد وصف وزير الدفاع الاوكراني اوليكسي ريزنيكوف شبكة ايلون ماسك بالحاسمة والفعّالة. واستمر هذا الوضع الى حد اكتوبر 2022 وعندها بدأ ماسك يشتكي من كلفة تشغيل شبكة «ستارلنك» في أوكرانيا وكان على وشك قطع خدمات شبكته اذا لم يدفع الاوكرانيون. لكن بعد ضغوط امريكية رسمية اعلن الرجل عن استمراره في تحمّل تكاليف امداد اوكرانيا بخدمات «ستارلنك».

تواصل الوضع على هذه الوتيرة حتى شهر فيفري الماضي لما أعلنت شركة SPACE X عن تخفيض حجم حصول اوكرانيا على خدمات شبكة اقمارها الصناعية لأن الجيش الاوكراني كان يستخدم الشبكة ايضا في عمليات عسكرية مثل توجيه هجمات بطائرات مسيرة على القوات الروسية.

كل هذا يقود الى الحديث عن الصين. وقبل ان نشرح كيف ينظر الصينيون الى مشروع «ستارلنك» كتهديد امريكي لدولتهم دعنا نعرّج على طموحات بكين الفضائية ولماذا تعتبر وزاره الدفاع الامريكية (البنتاغون) الصين أكبر تهديد لبلادها في الفضاء.

الحقيقة ان صناعة وتكنولوجيا الفضاء الصينيتين تتطوران بشكل سريع بعدما فتحت السلطات الصينية هذا القطاع امام القطاع الخاص بالبلاد سنة 2014. ورغم ان الشركات المملوكة من طرف الدولة مازالت تهيمن على هذا القطاع فان شركة مثل Orbital Gateway Consulting المتمركزة بهونغ كونغ تقول انه يوجد حاليا في الصين حوالي 20 شركة لاطلاق مكوكات تجارية او خاصة بالبلاد وانه توجد محطات مهمة خاصة ان الصين كانت اول دولة تهبط بمركبة «روفر» على الجانب البعيد من القمر سنة 2019 وهي تمتلك حاليا محطة فضاء خاصة بها اسمها Tiang gong اطلقتها سنة 2021 وهدفها استرجاع اولى عينات تربة خاصه بها من المريخ سنة 2030.

إجمالا نجد ان الصين استثمرت خلال ال 10 سنوات الاخيرة بكثافة في برنامجها الفضائي وطوّرت الصواريخ الارضية والليزر ورفعت قدرات المراقبة الفضائية لديها. كل هذا جزء من اهدافها العسكرية الاوسع التي تتلخّص في حرمان خصومها من الوصول قبلها الى الثروات الموجودة في الفضاء وهو نفس هدف أمريكا. وما يؤكد ذلك التقييم السنوي للتهديدات لسنة 2023 الصادر عن مجمع المخابرات الامريكية في مارس الماضي والذي قال نصا ان الصين تتقدم بثبات نحو هدفها لتصبح رائدة فضاء عالمية للحاق بالولايات المتحدة او حتى تجاوزها في حدود سنة 2045.

لكن ما علاقة تطور مساحة الاقمار الصناعية لدى الصين بـ «ستارلنك»؟

لو ألقينا نظرة لوجدنا ان انترنت الاقمار الصناعية اصبحت منذ افريل 2020 اولوية صينية وطنية رسمية. وقد حصل ذلك لما أُدرجت اكبر وكالة للتخطيط الاقتصادي بالصين وهي اللجنة الوطنية الصينية للتنمية والاصلاح

The national Development and Reform Commission

هذه الاولوية بقائمات البنية التحتية الجديدة. وفي ديسمبر 2020 صدر تقرير عن مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الامريكي يرجّح احتمال ادراج الصين برنامجا للأقمار الصناعية ضمن «مبادرة

الحزام والطريق» التي تبلغ كلفة انجازها تريليون دولار وتسويقه للدول التي تعتمد في بنيتها الرقمية على الصين مثل مصر وباكستان مما سيمنح الصين مساحة للحد من النفوذ الامريكي في عالم الانترنت ويجعل عددا لا بأس به من الدول يتخلّى عن بعض الخدمات الامريكية.

لذلك تكفّل الاتحاد الدولي للاتصالات مع وكالة تابعة للامم المتحدة أواخر 2020 بمهمة تسجيل أساطيل الاقمار الصناعية لكل الدول وتسلّما ملفات من الصين وخططا خاصة تثبت أنها ستطلق حوالي 13 الف قمر صناعي خلال العشر سنوات القادمة كأقصى حد. وبعدها مباشرة في افريل 2021 انشأت الحكومة الصينية شركة شبكة الأقمار الصناعية المحدودة وكلّفتها بتطوير المشروع الوطني لاطلاق أقمار المدار المنخفض ورفع كفاءة الانترنت وقالت الصين بالمناسبة انها ستكون اول دولة حاليا لاختبار اقمار شبكة الجيل السادس Six G Network.

وسرعة مثل هذه الشبكة تجعل الانسان قادرا على تحميل 1000 جيغابايت في الثانية الواحدة. لذلك تعمل ما لا يقل عن 7 شركات صينية متخصّصة في الفضاء على انتاج صواريخ قادرة على حمل ونشر 60 قمرا صناعيا في الرحلة الواحدة وهذه تقريبا نفس حمولة صاروخ «فالكون 9» القابل لاعادة الاستخدام والذي تستعمله شركه ايلون ماسك SPACE X لنشر اقمار «ستارلنك» والذي ساهم في نمو سريع للشركة بفضل تكاليفه المنخفضة وسعة حمولته الكبيرة.

لذلك اتخذت الشركة الصينية الخاصة Beijing Tianbing Technology Co في افريل الفارط خطوة باطلاق صاروخ يعمل بالوقود السائل على غرار وقود صاروخ «فالكون 9» مما يؤكد وجهة نظر غوين شوتوال رئيسة Space X التي قالت ان مشكلة الصينيين الأكبر عدم امتلاكهم صواريخ متطورة وانهم مع ذلك سيمتلكونها قريبا.

لكن لم تُعدّ هذه الخطوة مهمة جدا للصينيين؟

لو نظرنا الى عدد الاقمار الصناعية التي اطلقتها الصين السنة الماضية لوجدنا انه بلغ 182 صاروخا وهذا يجعل هذا البلد القوة الفضائية العالمية الثانية وراء الولايات المتحدة رغم ان هذا الرقم يمثل عشر عدد الاقمار الامريكية الجديدة التي أطلقت في نفس السنة.

ايلون ماسك : امريكا الاولى دائما وأبدا

فما سرّ هذا الفرق المهول؟ السرّ هو أن طموح الصين لبناء شبكة اقمار صناعية يواجه بعض العقبات العويصة أهمّها محدودية قدرة الاطلاق بما يعني انه ليس لدى الصينيين حاليا شركة صواريخ كاملة مثلا تعمل على مشروع مماثل لـ Space X الذي تطلّب بناؤه من ايلون ماسك اكثر من 20 سنة اي منذ سنة 2002.

ولهذا السبب يبقى مشروع Space X نموذجا فريدا في عالم الشركات الفضائية عموما لأن هذه الشركة تتحكم في سلسلة التوريد من ألفها الى يائها: من اول تصميم الاقمار وصواريخها مرورا بالتقنية وصولا الى الاطلاق في منصات خاصة الى جانب الصيانة والمتابعة الدورية. وهذه المراحل الكاملة ما زال يصعب على الصينيين بلوغها حاليا او في المستقبل القريب.

العقبة الثانية امام الصينيين هي الفوارق التكنولوجية بين صناعة البلدين من حيث الدقة والجودة والكفاءة وهذا ما يعمل الصينيون على تداركه.

لكن قدرة شبكة «ستارلنك» على توفير اتصالات مستقرة وانترنت عالي السرعة للاوكرانيين رغم تدمير الروس البنية التحتية للاتصالات السلكية واللاسلكية اكدت للصينيين ان هذا هو المستقبل وانهم محتاجون لاساطيل مماثلة لشبكة «ستارلنك» من الاقمار الصناعية والمعروفة باسم «الأبراج» أو الكواكب Constellation.

وقبل الخوض في سبب تخوف الصين من التجربة الامريكية في أوكرانيا دعنا نوضح انه ليس هناك سوى الصين التي تسعى لتكوين اساطيلها الخاصة من الاقمار الصناعية وأن الحكومات والشركات الخاصة تتناحر من اجل هذا السوق الذي سيبلغ بيزنسه في السنوات القادمة نصف تريليون دولار.

طبعا أمريكا هي الرائدة في هذا الحقل على المستوى العسكري اذ تملك فرقة القوة الفضائية هي U.S SPACE FORCE التي تعمل على تكوين اسطول من الأقمار الصناعية العسكرية ستنضم الى حوالي 350 قمرا عسكريا آخر من مختلف الانواع تدور حول الأرض. وطوال العشر سنوات الماضية استعان البنتاغون بشركة Space X لنشر أقمار صناعية عسكرية حول الارض وهذا يوصلنا الى مشروع Space X الجديد الذي يسمى

Starshield Satellite project for national security use

(مشروع ستارشيلد للاقمار الخاصة بالامن القومي) والذي اعلن عنه رئيس هيئة الأركان الامريكية الجنرال مايك ويلي في ديسمبر 2022 قبل شهر من خروجه على التقاعد.

وهذا المشروع موجه لاغراض الامن القومي وللحكومات فقط ومن هنا يأتي تخوّف الصينيين من أن يكشف هذا المشروع عن كل برامجهم العسكرية بما فيها السرية ويصفون هذا المشروع بكاميرا المراقبة التي ترصد كل ما يحدث في العالم. والبعبع الذي يزعج الصينيين هو شبكة «ستارلنك» وهم لذلك يتساءلون:

1 - ماذا سيحصل لو أنهم قرروا غزو تايوان وساعد نظام «ستارلنك» تايوان مثلما حصل الأمر مع اوكرانيا ضد الروس؟

2 - ان الولايات المتحدة وخصوصا عبر نظام «ستارلنك» بصدد احتلال معظم مساحات المدار المنخفض بما يحد من المساحات التي تنوي الصين نشر أقمارا صناعية فيها.

بالنسبة للتخوّف الأول من المؤكد ان خطة غزو تايوان (اذا حصل ذلك طبعا) الصينية تتضمن قطع 14 كابلا بحريا تربط الجزيرة وشركاتها بالعالم عبر الانترنت. ولذلك تطوّر تايوان عددا اخر من الكابلات وتخطط للدفاع عنها لكنها أيضا اختبرت نظام ستارلنك في 700 موقع بما فيها مواقع خارج الجزيرة.

الملاحظ أن الصين من الدول القلائل التي لها القدرة على اسقاط الاقمار الصناعية عن طريق ضربها بصواريخ بالستية لكن المشكلة هنا ان شبكة «ستارلنك» تضم آلاف الاقمار الصناعية وان تدميرها بالصواريخ البالستية يؤدي الى تلويث الغلاف الجوي بحطامها ويخلق مشاكل للاقمار الصناعية.

لذلك يعمل الصينيون على تبني خطة تعتمد على تقنية «القتل الناعم» للتخلص من شبكة اقمار «ستارلنك».

معنى ذلك ان الصينيين قرروا بدل التعامل مع اقمار «ستارلنك» بالصواريخ البالستية اللجوء الى اشعة الليزر لتدميرها او تعطيلها دون احداث فوضى حطام كبير في المدار الجوي وصولا الى تقنيات التشويش والتدخّل السيبراني.

وفي هذا الصدد نقلت صحيفة «واشنطن بوست» الصادرة بتاريخ 18 افريل الماضي عن مصادر مخابراتية أمريكية ان الصينيين سيقتدون في ذلك بتجربة روسيا مؤكدة ان موسكو اختبرت في الشهر المذكور بأوكرانيا سلاحا لتعطيل شبكة «ستارلنك» الامريكية.

لكن المشكلة بالنسبة للصينيين انهم لم يفكوا بعد شفرة عدد من اهداف شبكة «ستارلنك» أو إمكاناتها الكاملة.

هذا لم يمنع الجنرال الامريكي تشانس سالتزمان، قائد العمليات الفضائية ببرنامج القوة الفضائية الامريكية من التأكيد خلال جلسة بالكونغرس في شهر مارس الماضي على ان التهديد الصيني قائم الذات وعلى ان بكين تختبر حاليا نظام اقمار صناعية مسلّح يمكن استعماله وقت الحرب وعلى انها أظهرت قدرة على التحكم في الأقمار الصناعية وتحريكها في اي وقت ونحو اية وجهة تريدها.

وأضاف الجنرال المذكور انه لا لزوم لقيام بلاده بأي شيء في الفضاء طالما ظلت شبكات أقمارها الصناعية معرّضة للهجوم مشيرا الى انه لهذا السبب سيتم التركيز على قدرة الأقمار الصناعية التابعة للقوة الفضائية على طرد أي تهديد لاقمار بلاده وتدميرها اضافة الى تحصينها ضد التشويش عليها او ضربها بالليزر.

سباق صيني مجنون للحاق بأمريكا

16 مرتزقا

صحيفة "واشنطن بوست" اكدت مقتل 16 مرتزقا أمريكيا شاركوا الى جانب الجيش الاوكراني في المعارك الدائرة ضد الروس.

ووفق الصحيفة "بعدما أصبحت حروب أمريكا في العقود الثلاثة الأخيرة طيّ النسيان، قرر بعض قدماء المحاربين حمل السلاح في أوكرانيا وهناك ما لا يقلّ عن 16 منهم لقوا حتفهم".

مقال "واشنطن بوست" عرض قصص العديد من المرتزقة الأمريكيين ذاكرا منهم على سبيل المثال أندرو بيترز وكوبر أندروز ونيك ميمر وغرادي كورباسي وبيتريد.

وحسب الصحيفة، وصل المرتزقة الامريكيون الى أوكرانيا بشكل فردي وتجاهلوا التحذيرات الرسمية من أن خطرا جسيما ينتظر كل من يلتحق بجبهات القتال.

يذكر أن وزير الدفاع الروسي، سيرغي شويغو كان قد صرّح سابقا بأن أكثر من 2500 مرتزق أجنبي يشاركون في القتال ضد جيش بلاده فيما أكد الناطق باسم الكرملين أن الجنود الروس بأوكرانيا كثيرا ما كانوا يسمعون لغات أجنبية من مرتزقة يقاتلون الى جانب القوات الأوكرانية.

تعديل

أوباد بابيلا، نائب وزير الرئاسة بدولة جنوب افريقيا اعلن ان حكومة بلاده تنوي قريبا ادخال تعديل على التشريع الساري المفعول حتى يكون لها الحق في اتخاذ قرار مستقل بشأن إيقاف أي شخص مطلوب للمحكمة الجنائية الدولية.

بابيلا أضاف في حديث ادلى به لبرنامج "ساعة الاخبار" الذي يقدمه برنامج إذاعة "بي.بي.سي" البريطانية المخصص للشؤون الدولية انه سيتم مدّ البرلمان بمشروع القانون الجديد وانه سيكون بإمكان بلاده عندئذ اتخاذ قرارات بشأن الشخصيات التي يمكن ايقافها عند حلولها ببلاده من عدمه.

قرار حكومة جنوب افريقيا يأتي في ضوء احتمال حضور الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قمة مجموعة دول "بريكس" المنتظر التئامها بجوهانسبورغ خلال شهر اوت القادم والذي أصدرت المحكمة المذكورة في شأنه بطاقة جلب بتهمة نفي أطفال من أوكرانيا قامت السلطات الروسية مع اندلاع الحرب بإبعادهم عن مناطق النزاع ضمانا لسلامتهم.

يذكر أن الكرملين لا يعترف بالمحكمة الجنائية الدولية ويعتبر قراراتها باطلة ولاغية.

وسبق لحكومة جنوب افريقيا ان انتقدت بشدة

المحكمة المذكورة متهمة إياها بالكيل بمكيالين وقال بابيل في هذا الصدد : "لم نتصور يوما ان يكون هذا حال هذه المحكمة. فالقائمون عليها لم يدينوا البتة توني بلير ولا جورج بوش على الجرائم التي ارتكباها في حق الشعب العراقي".

6.7 مليارات دولار

محمد رضا فرزان، محافظ البنك المركزي الإيراني، أعلن يوم الخميس الماضي أنه سيصبح بإمكان بلاده استغلال 6.7 مليارات دولار من اصوله لدى صندوق النقد الدولي.

فرزان أوضح ان بلاده حصلت على 4.8 مليارات لحق سحب خاص وأن ذلك يعادل 6.7 مليارات دولار مشيرا الى انه يمكن توظيف هذه الاعتمادات بسرعة لمزيد تحسين الوضع الاقتصادي لبلاده.

وأشار الى انه كلما تعرض الاقتصاد العالمي الى حالة ركود يفتح صندوق النقد الدولي بابا لحصول الدول الأعضاء به على السيولة تحت عنوان "منحة حقوق سحب خاصة" بهدف مساعدة الدول الأعضاء به على مواجهة الركود الاقتصادي.

يذكر ان عدة بنوك اجنبية جمّدت عشرات المليارات من الدولارات الإيرانية نتيجة للعقوبات الأمريكية المفروضة على هذا البلد.

منع

موقع الشبكة العالمية اكد انه "بضغط من العربية السعودية منعت منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) حضور صحفيي وكالة "رويترز" ووكالة "بلومبيرغ" وصحيفة "وول ستريت جورنال" الاجتماع الوزاري الذي التأم نهاية الأسبوع المنقضي بفيينا، العاصمة النمساوية.

الموقع اعتبر ان السعودية في طريقها للتحرر من تبعيتها للولايات المتحدة ولبريطانيا التي ميزت علاقاتها بالطرفين منذ عهد لورانس العرب وان النفط السعودي بصدد التحرر من النفوذ الأمريكي لصالح الصين وروسيا.

تحريف

يوم الخميس الماضي 1 جوان الجاري التقى رئس أذربيجان الهام عليان بالوزير الأول الأرمني نيكول باشينيان بعاصمة مولدافيا على هامش قمة المجموعة الأوروبية وذلك في اطار آخر فرصة من سلسلة جلسات تفاوض حول ابرام معاهدة سلام بين البلدين.

اللقاء دار بحضور الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون والمستشار الألماني اولف شولتز ورئيس المجلس الأوروبي شارل ميشال بصفتهم وسطاء.

واثر القمة قال قصر الايليزي ان "القادة الأوروبيين دعوا أرمينيا وأذربيجان لاحترام كل تعهداتهما" وانهم حثّوا الطرفين على الافراج عن اسرى الحرب وتجنب خطابا عدائيا.

وأضاف مكتب الاعلام التابع للرئاسة الفرنسية ان المسؤولين الغربيين الثلاثة "شدّدوا على أهمية حقوق وضمانات لصالح أرمن منطقة كاراباخ العليا المتنازع عليها بين أرمينيا وأذربيجان والتي خاضا بسببها حربا سنة 2020.

لكن الناطق باسم وزارة الخارجية الاذرية اكد بعد ذلك بيوم ان "التصريح الذي ادلى به الرئيس الفرنسي حول اللقاء المذكور لا يعكس موقفي الطرفين" وانه حرّفهما معبّرا عن أسفه لتكرّر ذلك من طرف فرنسا.

زيارة سرية

مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية CIA، ويليام بيرنز أدى الشهر الماضي زيارة سرية الى الصين وفق ما نقلت صحيفة "فايننشيال تايمز" البريطانية نقلا عن مسؤول أمريكي لم تفصح عن هويته.

من جهة أخرى نقلت الصحيفة عن "5 اشخاص مطلعين على المسألة" ان بيرنز غالبا ما يكلف بمهام خارجية حساسة وانه سافر الى بكين لاجراء محادثات هامة مع المسؤولين الصينيين.

وأشارت الصحيفة الى انه فيما امتنع البيت الأبيض ووكالة CIA عن التعليق على الانباء بشأن الزيارة، اكد مسؤول امريكي ان بيرنز التقى مسؤولي المخابرات الصينيين.

وتعتبر زيارة بيرنز ارفع زيارة لمسؤول امريكي الى بكين بعد زيارة نائبة وزير الخارجية ويندي شيرمان الى مدينة تيانجين الصينية في جويلية 2021.

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - رجاء بن سلامة - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي - رافع الطبيب - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - فوزية ضيف الله - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي- الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
نزار الريحاني - منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

رغم رفع سقف الدين.. الاقتصاد الأمريكي سيغرق في أزمة

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

• حينما سألوا ستالين عن أي الانحرافات أسوأ للحركة الشيوعية: يسارا أم يمينا، أجاب: كلاهما أسوأ.

هكذا الأمر بالنسبة لرفع سقف الدين العام في الولايات المتحدة الأمريكية الذي يغير من طبيعة المخاطر، لكنه، في الوقت نفسه، لن يقلل من احتمال انهيار الاقتصاد الأمريكي.

فلو تم رفض رفع سقف الدين، ستضطر إدارة بايدن إما إلى خفض الإنفاق الحكومي، بما كان سيؤدي على الفور إلى اندلاع أزمة اجتماعية وتفاقم الركود، أو رفض سداد الديون، مما سيؤدي إلى كارثة في التمويل العالمي.

ورفع سقف الدين الذي تمّ سيؤدي إلى ركود اقتصادي، وأزمة في الديون والبنوك.

يؤدي سحب الاحتياطي الفدرالي للدولارات المطبوعة مسبقا وزيادة سعر الفائدة، لمدة عام، إلى تقليص الأموال، وإلى الركود، فيما يؤثر نقص السيولة على القطاع المصرفي.

وقد بلغ الدين الحد الأقصى في جانفي من هذا العام، بينما أنفقت وزارة الخزانة الأمريكية كل أموالها المتراكمة تقريبا، لهذا ستضطر الآن إلى العمل كمكنسة كهربائية فائقة القوة، تشفط السيولة من الأسواق، وتفاقم بذلك ظروف التمويل للاقتصاد بأكمله. ولنفترض أن الحكومة ستزيد الدين بمقدار 1.5 تريليون دولار على مدار الأشهر الست المقبلة، من أصل 4 تريليون المتفق عليها بموجب القانون حتى 2025.

سيؤدي ذلك، بادئ ذي بدء، إلى ضرب البنوك. فعلى الرغم من ارتفاع أسعار الفائدة على السندات الحكومية، استمرت البنوك في الحفاظ على معدلات منخفضة للغاية على الودائع، ما سمح لها بالحفاظ على معدلات فائدة منخفضة على القروض الممنوحة لها. ومن خلال قروضها الجديدة، ستستحوذ الخزانة على جزء جديد من الودائع، ما سيؤدي إلى تفاقم مشاكل البنوك، ثم الاقتصاد بأكمله، حيث ستضطر البنوك إلى الترفيع في كلفة القروض.

لقد أدت المحاولة السابقة لتقليص الميزانية العمومية للاحتياطي الفدرالي (أي حجم الدولارات المتداولة) ورفع سعر الفائدة إلى انهيار البورصات، ومواجهة خطر الانهيار في نهاية عام 2018، وهو ما تلاه خفض الاحتياطي الفدرالي للمعدل واستئناف طباعة النقود غير المغطاة بما أدى إلى إنقاذ الاقتصاد.

نرى الآن كيف أدت المحاولة الثانية المماثلة إلى أزمة مصرفية في مارس الماضي ممّا أجبر الاحتياطي الفدرالي على طباعة حوالي 400 مليار دولار لإنقاذ البنوك. ومنذ أفريل، استأنف الاحتياطي الفدرالي سحب الدولارات من التداول، واقتربنا مرة أخرى من المستوى الذي بدأت عنده الأزمة المصرفية.

وهنا تحركت وزارة الخزانة وامتصت مزيدا من السيولة من الأسواق، ممّا حرم المدينين من إعادة تمويل ديونهم بمعدلات لا تؤدي إلى إفلاسهم.

لم يكن هناك مخرج جيد للولايات المتحدة الأمريكية منذ عقود، عندما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بحل المشاكل قصيرة الأجل على حساب تفاقم المشاكل طويلة الأجل. ومع ذلك، وبمرور الزمن، قلّت المساحة الزمنية التي يمكن بها إزاحة المشاكل بما دفع الرئيس بايدن الى اللجوء الى الكونغرس للسماح برفع سقف التداين.

إن رفع سقف الديون سيحل مشكلة الشهر المقبل، إلا أنه سيخلق مشكلة الربع القادم. أعتقد أننا سنشهد في الخريف أزمة رهن عقاري وديون في الولايات المتحدة الأمريكية (والعالم) على خلفية الركود المتزايد.

إلى جانب الأزمة المصرفية المستمرة في الولايات المتحدة الأمريكية ستنضم قريبا أزمة الميزانية، وأزمة العقارات، وأزمة الديون بشكل عام.

بدأ الاحتياطي الفدرالي، منذ الصيف الماضي، ومن أجل مكافحة التضخم، في تقليص كمية الدولارات غير المغطاة المتداولة بشكل تدريجي ورفع أسعار الفائدة، وهو ما من شأنه أن يرفع تلقائيا تكلفة القروض للاقتصاد الأمريكي بأسره ويدفع سريعا نحو الركود.

إلا أن ذلك لم يؤد إلى ركود اقتصادي، وإنما إلى ما هو أقرب إلى الجمود الاقتصادي، وذلك لأن الظروف المالية للاقتصاد الأمريكي لم تسؤ كثيرا.

توقفت الشركات تقريبا عن إصدار السندات، لأن سعر الفائدة ارتفع بالنسبة لها إلى مستوى غير مقبول بسبب قرارات مجلس الاحتياطي الفدرالي، إلا أنها تحولت إلى القروض التجارية الرخيصة من البنوك بدلا من السندات، ذلك أن القروض تُمنَح بسعر فائدة أقل بكثير من السندات، وكانت تلك القروض الرخيصة ممكنة فقط بسبب أن البنوك تسرق المودعين الذين يتقاضون أقل من 1% على ودائعهم.

ومع ذلك، أدت معدلات الودائع المنخفضة هذه إلى تدفق الأموال من البنوك، ممّا أجبرها على استخدام احتياطياتها، أي بيع السندات الحكومية الأمريكية، ولكن بسعر أقل مما اشترته البنوك، نظرا لرفع الاحتياطي الفيدرالي أسعار الفائدة.

بدأت البنوك في الإفلاس، ما كان ينذر بأن يتسع نطاق هذه العملية لتصبح ضخمة، في الوقت الذي اضطر الناجون إلى رفع أسعار الفائدة على كل من الودائع والقروض.

أي أن كلفة القروض بدأت في الارتفاع بالنسبة للمواطنين والشركات الأمريكية، وأن الأعمال التجارية الأمريكية بدأت تشعر تماما بالتداعيات السلبية لزيادة سعر الفائدة من قبل الاحتياطي الفدرالي. بدأت هذه العملية لتستمر كلفة الإقراض في الارتفاع مع تطور الأزمة المصرفية.

بطبيعة الحال، طالت الزيادة في مدفوعات الفائدة كل المدينين بمقدار الضعف على الأقل، ودمّرت عددا منهم بعد فترة.

في ما يتعلق بالولايات المتحدة، يبدو أن قطاع العقارات هو المرشح الأول للأزمة.

فقد بلغت ديون العائلات الأمريكية 17 تريليون دولار في مارس الماضي، منها 12 تريليون دولار ديون رهن عقاري. في الربع الأول، بلغت قروض الرهن العقاري الجديدة، بما في ذلك عمليات إعادة التمويل 324 مليار دولار (وهو ما يمثل انخفاضا حادا)، وإذا استمرت نفس الديناميكيات بقية العام، فسوف تعمم المعدلات المرتفعة الجديدة على القروض الجديدة التي تبلغ حوالي تريليون دولار.

لقد ارتفع متوسط سعر الفائدة على الرهن العقاري في الولايات المتحدة الأمريكية من 3.22% في بداية عام 2022 إلى حوالي 7% الآن، ولن يتمكن جزء كبير من أصحاب الرهون العقارية من تسديدها.

وبطبيعة الحال، فإن انخفاض القدرة على تحمل تكاليف الرهون العقارية يؤثر على الطلب والمبيعات، ممّا يؤدي إلى انخفاض أسعار المساكن، وهو ما يؤدي بدوره إلى قيام البنوك بتقديم مطالب للمدينين لزيادة مقدم الضمان، لأن الضمانات السابقة (العقارات نفسها) لم تعد كافية بعد انخفاض الأسعار.

وقد تضاعف عدد عمليات سحب العقارات السكنية من قبل البنوك لحساب الرهون العقارية المتأخرة على السداد على مدار العام بمقدار الضعف تقريبا، ورغم أنها لا تزال عند مستوى منخفض نسبيا (0.6%)، فإن هذه الأرقام مرتبطة بالفترة التي سبقت الأزمة المصرفية والزيادة الحادة في كلفة القروض، ونتوقع نموها عدة مرات.

لكن المشكلة الرئيسية مع ذلك هي في العقارات التجارية.

بلغت مديونيات العقارات التجارية في عام 2022 مقدار 5.62 تريليون دولار.

والانخفاض في الطلب والأسعار في هذا القطاع أكبر بكثير من العقارات السكنية، ذلك أنه بعد الوباء، يواصل كثيرون العمل عن بعد، بالإضافة إلى أن الركود الاقتصادي وتسريح العمال من ذوي الياقات البيضاء أدى إلى تقليل الطلب على العقارات المكتبية. وعلى مدى السنوات الثلاث الماضية، انخفض عدد الموظفين في مكاتب نيويورك بنسبة 50%.

في رأيي المتواضع، يمكننا أن نتوقع زيادة حادة في حالات إفلاس الرهن العقاري في غضون شهرين أو ثلاثة أشهر، مع ما يترتب عن ذلك من تداعيات على البنوك والاقتصاد.

ينطبق كل ما سبق على أي نوع آخر من الديون، سوى أن الدين المدعوم بأوراق مالية أقل عرضة للخطر، حتى يبدأ سوق الأسهم في الانخفاض. ولكن، مع بداية الركود (وهو ضروري للحد من التضخم)، ستضاف مشكلة الضمانات إلى مشكلة ارتفاع أسعار الفائدة.

وقد بلغ الدين العالمي 305 تريليونات دولار في الربع الأول من هذا العام، ويؤثر ارتفاع مدفوعات الفائدة على معظم هذا الدين، لذلك فإن أزمة الديون ستكون عالمية بسرعة كبيرة، بل والأرجح أن تصبح عالمية منذ البداية.

يضاف إلى ذلك احتمال التخلف عن سداد ديون الحكومة الأمريكية، في غياب موافقة الديمقراطيين والجمهوريين على رفع سقف الدين. أو بالأحرى، فأنا أشك بشدة في احتمال التخلف عن سداد الديون، والذي سيكون انتحارا، ولا أعتقد أن السياسيين الأمريكيين أغبياء بما يكفي للسماح بحدوث ذلك.

أظن أن الحديث قد يدور عن أزمة في الميزانية، أي أن مدفوعات الديون ستستمر، وسيتم تقليص البرامج الاجتماعية المصممة لتزويد بايدن بدعم الناخبين. إلا أنه، وفي كلتا الحالتين، ستضرب أزمة الميزانية الاقتصاد، ممّا سيؤدي إلى تفاقم الأزمة المالية.

الشارع الثقافي

العدد 362 - من الثلاثاء 6 إلى الاثنين 12 جوان 2023 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

56 عاماً مرّت على هزيمة 67 ... ماذا بقي في ذاكرة العرب؟

مفكّرون تونسيون يحلّلون...

عبد اللطيف الحناشي

عبد الجليل بوقرّة

عمار العربي الزمزمي

محمد فوزي المستغانمي

وقفة

تشابه الحجر الصحي والحجر اللغوي في سلامة المحجور

بقلم :
د. محمود الذوادي

تراث مادي

تسجيل صفاقس بقائمة التراث العالمي لدى «اليونسكو»:

صفاقس تسيء الى ملفها، وقد تصبح غير جديرة بالتسجيل العالمي... !

بقلم : د. رضا القلال

وقفة

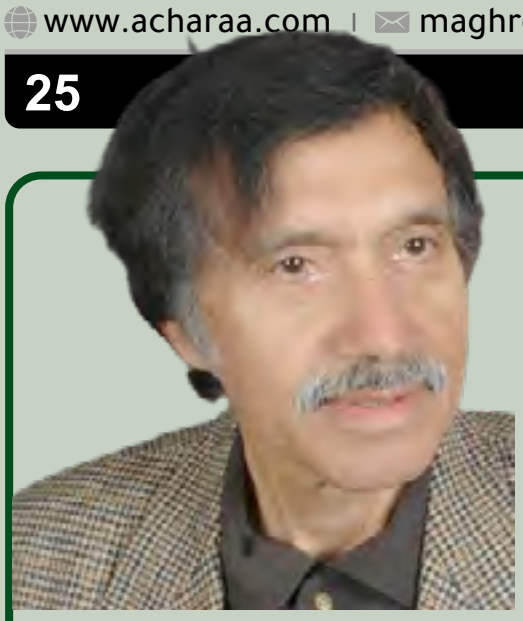

تشابه الحجر الصحي والحجر اللغوي في سلامة المحجور

الأستاذ الدكتور محمود الذوادي - عالم الاجتماع - تونس

يطرح هذا المقال فكرة لا تكاد تخطر على بال الخاصة ناهيك عن العامة. تفيد الملاحظات الميدانية بوجود تشابه بين الإجراءات الصحية الشديدة ضد تفشي فيروس جائحة كورونا (الابتعاد الاجتماعي ولباس الكمامات وغسل اليدين والعزل المنزلي...) والإجراءات اللغوية المتمثلة في استعمال اللغة الأم أو الوطنية فقط في التدريس في المراحل الثلاث للتعليم : الابتدائية والإعدادية والثانوية.. يتمثل هذا التشابه في كون أن كلا منهما يؤدي بمن يلتزم بالكامل بتلك الإجراءات إلى حظ أكبر في تحاشي الإصابة بفيروس كورونا، من جهة، أو تحاشي تفشي المزج اللغوي بين لغة الأم أو اللغة الوطنية واللغة الأجنبية في الحديث والكتابة، من جهة أخرى. يمكن تطبيق هذه الفكرة على أكثر من نظام تعليم في المجتمعات العربية. لكن نقتصر هنا على إلقاء الضوء على نظام التعليم التونسي. لقد تبنى نظام التعليم في المدارس التونسية نمطين في لغة التدريس: -1 التدريس بلغتين هما العربية اللغة الوطنية والفرنسية كلغة أجنبية استعمارية في مراحل التعليم الثلاث المذكورة. -2 التدريس بلغة واحدة هي اللغة العربية في تلك المراحل الثلاث.

مواصفات العلاقة السليمة مع اللغات

تتمثل العلاقة السليمة مع اللغات الوطنية أو لغات الأم في استعمال أي منهما فقط شفويا وكتابيا في كل شيء. فالمجتمعات الأوروبية، مثلا، تدرس جميع المواد العلمية وغيرها بلغاتها الوطنية حتى نهاية مرحلة التعليم الثانوي على الأقل. أي أن طبيعة الأشياء تنادي بصوت عال باستعمال لغة الأم أو اللغة الوطنية وأن استعمال غيرهما أمر غير طبيعي: أي أنه عبارة عن إقامة علاقة غير سليمة مع اللغة الوطنية أو لغة الأم. وبالتالي، يمكن اعتباره سلوك غش نحوها وللوطنية اللغوية نفسها.

الحجر اللغوي والعلاقة مع العربية

نذكر مثالين للعلاقة السليمة أو غير السليمة التي ينشئها الحجر اللغوي أو فقدانه مع اللغة العربية في المجتمع التونسي بعد الاستقلال:

-1إن خريجي التعليم التونسي في ما يسمى ‹شعبة أ› في مطلع الاستقلال في المجتمع التونسي مثال للآثار الايجابية للحجر اللغوي على العلاقة مع اللغة العربية/الوطنية. لقد درس هؤلاء الخريجون كل المواد باللغة العربية فقط من المرحلة الابتدائية حتى السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية.

-2أما خريجو بقية التعليم التونسي – وهم اليوم أغلبية المتعلمين التونسيين- فهم فاقدون للحجر اللغوي، أي أنهم درسوا أو يدرسون باللغة الفرنسية بعض المواد أو معظمها في تلك المراحل الثلاث المذكورة:

أ- قد هيمنت اللغة الفرنسية في المدرسة الصادقية الثنائية اللغة (الفرنسية والعربية) قبل الاستقلال كوسيلة لتدريس التلاميذ التونسيين المواد المختلفة بما فيها تدريسهم أحيانا حتى النحو العربي باللغة الفرنسية خاصة من طرف بعض المُدرسين الفرنسيين.

ب- همّشت مدارسُ البعثات الفرنسية بطريقة شبه كاملة تدريس اللغة العربية وثقافتها واستعمالهما. يمثل الخريجون من هذه المدارس عينة تونسية مرشحة أكثر من غيرها لتبني ثنائية لغوية يكاد يغيب فيها استعمال الكلمات العربية لأن هؤلاء الخريجين هم شبه أميين بالكامل في اللغة العربية. فبحوث العلوم الاجتماعية ترى أن مثل ذلك التكوين اللغوي الثقافي الفرنسي يُحدث غربة جسيمة بين المتعلمات والمتعلمين التونسيين ولغتهم وثقافتهم العربيتين فطالما ترتبك لديهم وتتشوه تصوراتهم الصحيحة إزاء لغتهم وثقافتهم بحيث يصبحون مرشحين للنظر إليهما بقليل أو بكثير أو ما بينهما من التحقير. يجوز القول إن التعليم في كل من مدارس البعثات الفرنسية والمدرسة الصادقية هو تعليم مرشح لكي يمهد لقبول وحتى الترحيب بالاستعمار اللغوي الثقافي الفرنسي لدى عديد التونسيات والتونسيين. ويعود ذلك أساسا إلى فقدان خريجي تلك المدارس إلى ما نسميه في هذا المقال الحجر اللغوي.

2 - أما النظام التربوي التونسي منذ الاستقلال، فقد كرّس ويكرّس تواصل فقدان الحجر اللغوي. وهكذا، فالأجيال التونسية المتعلمة منذ الاستقلال هي أجيال لم تطبق الحجر اللغوي ومن ثم يستمر مرض فيروس عدوى استعمال اللغات الأجنبية بين معظم فئات المجتمع التونسي. ومما يزيد الطين بل في اتجاه معاكس للحجر اللغوي أن التلاميذ التونسيين يدرسون اليوم أسبوعيا مادة اللغة الفرنسية لمدة 8 ساعات و6 ساعات فقط لمادة للغة العربية.

غياب الحجر اللغوي بعد الاستقلال

إن ما يجمع بين شخصيات العهد الأول للاستقلال أن تعليم معظم المتعلمين التونسيين هو تعليمهم ثنائي لغة التدريس(العربية والفرنسية) أي أنه نظام تعليم فاقد للحجر اللغوي. وهكذا، فموقف أغلبية التونسيات والتونسيين اليوم يساند نظام التعليم التونسي الثنائي اللغة ويعتبر إيجابيات هذا النظام التعليمي مسلمة من المسلمات غير قابلة للمسائلة والشك في أفضليتها. التعليم الثنائي، رغم أن عددا ضخما من خريجيه ليست لهم علاقة سليمة مع اللغة العربية/لغتهم الوطنية التي طالما يعتبرونها نفسيا وفي الاستعمال في شؤونهم الشخصية والمجتمعية وكأنها لغة ثانية أو ثالثة.فالتعليم التونسي الثنائي اللغة لا يكاد يحمي التونسيات والتونسيين من معالم الاستلاب اللغوي، كما سنرى لاحقا. فخريجو المدرسة الصادقية الثنائية اللغوية ونظراؤهم المتعلمون في المدارس والمعاهد والجامعات التونسية في عهد الاستقلال يشكون من معالم الاستلاب اللغوي بسبب فقدانهم لنظام تعليم يكون فيه الحجر اللغوي هو الأساس الطبيعي كما تفعل أنظمة التعليم في المجتمعات المتقدمة على الخصوص.

الحجر اللغوي في كيباك

لا تكاد تُحصى أمثلةُ المجتمعات المتقدمة التي تُستعمل فيها اللغات الوطنية أو لغات الأم وحدها في كل شيء. على سبيل المثال، فالوطنية اللغوية في مقاطعة كيباك الناطقة بالفرنسية في كندا جعلت استعمال اللغة الفرنسية فقط في الكتابة أمرا إجباريا في كل شؤون الحياة في المقاطعة. فقوانين السياسة اللغوية في هذه الأخيرة تطبق بقوة الحجر اللغوي الكامل. فتمنع نتيجة ذلك كتابةُ كلمة (وقوف) باللغة الانكليزية (Stop) في الشوارع والطرقات وتُكتب هذه الكلمة بالفرنسية فقط (Arrêt).

الحجر اللغوي والتقدم العلمي

كما أكدنا، فالعلاقة الطبيعية/السليمة مع اللغة الوطنية تتطلّب استعمالها في كل الميادين بما فيها تدريس العلوم. فمثل هذه السياسة اللغوية لا تخدم تطبيع العلاقة مع اللغة العربية فقط في المجتمع التونسي والمجتمعات العربية الأخرى، وإنما تخدم أيضا نهضة العلم فيها جميعا. ترى نتائج بحوث الكثيرين أن البلدان تحتاج إلى تعليم العلوم باللغة الوطنية أو لغة الأم كي ترسي الأساس الضروري لما يسمى البيئة المنتجة للعلم. أي أن البيئة الاجتماعية المساندة لإنتاج العلم هي تلك التي ينتشر فيها العلم بين عامة الناس ولا يقتصر على النخبة فقط. وبالتعبير السوسيولوجي ، يُكتب للعلم بأن يصبح ظاهرة اجتماعية واسعة لمّا ينسجم العلم مع الثقافة العامة للمجتمع ويتفاعل معها أفقيا. ويعني ذلك أن تعزيز العلم في أي بلد يتوقف كثيرا على مدى انفتاح الثقافة العامة على العلم. ووفقا لرؤية علم الاجتماع، فذلك مستحيل ما لم تكن لغة العلم والثقافة العامة لغة واحدة. أليس هذا إنجازا نبيلا للحجر اللغوي؟

السلبيات النفسية والثقافية لغياب الحجر اللغوي

يشخص مؤلف كتاب العقل العربي 1983 رفاييل بتاي آثار التعليم الثنائي اللغة (استعمال لغتين كوسيلتيْ تدريس) كما هو الحال في نظام التعليم التونسي. فوجد أن التعليم الثنائي اللغة يؤدي عموما إلى الأعراض التالية لدى خريجيه: 1 ـ الانتماء إلى ثقافتين دون القدرة على تعريف الذات بالانتماء الكامل لأي منهما.2 ـ التذبذب المزدوج: رغبتهم كسب علاقة حميمة كاملة مع الغرب ومع مجتمعهم في نفس الوقت دون النجاح في أي منهما. 3 ـ يتصف خريجو ذلك التعليم بشخصية منفصمة ناتجة عن معايشة عاملين قويين متعاكسين: الارتباط بالثقافة العربية والانجذاب إلى الثقافة الغربية 4 ـ عداء سافر للاستعمار الفرنسي يقابله ترحيب كبير بلغته وثقافته.

الحجر اللغوي وحمايته الكبرى

يُقسم الاستعمار إلى صنفين: -1 الاستعمار الرسمي:الاحتلال العسكري والإدارة العسكرية والحكم السياسي.-2 يأتي ما يسمى ‹الاستعمار اللاحق› بعد زوال الاستعمار رقم 1 مثل استعمال من كانوا مستعمَرين لغة المستعمِر وتفضيلها على اللغة الوطنية. المؤكد أن دعاة الطلاق بين العربية وتدريس العلوم في المجتمعات العربية ينتمون إلى الاستعمار اللاحق. قد يجادل هؤلاء وغيرهم في المجتمع التونسي أن الكثيرين من التونسيين خارج نظام الحجر اللغوي يتقنون اللغة العربية مثل خريجي المدرسة الصادقية وهذا صحيح، لكن الإتقان لا يعني بالضرورة وجود علاقة سليمة مع اللغة الوطنية (استعمالها وحدها شفويا وكتابة في كل شيء والدفاع عنها والاعتزاز بها قبل أي لغة أخرى). هل تدل السلوكيات اللغوية التالية لهؤلاء على علاقة سليمة مع لغتهم الوطنية ؟ : -1 يكتب معظم التونسيين شيكاتهم البنكية بالفرنسية. -2 تنطق أغلبيتهم الأرقام بالفرنسية و-3 لا يكاد يحتج أحد على اللافتات المكتوبة بالفرنسية فقط.

وفي الختام يساند المفكرون أهمية الحجر اللغوي في حماية حدود وهويات وحدود الشعوب. يجمع أهل الذكر بهذا الصدد على الأولوية الكبرى بالنسبة لتمسك المجتمعات بلغاتها لأن من يخسر لغته يكتب غيره مسيرة مستقبله. وهذا ما يعبر عنه هؤلاء بقولهم: فشعب بدون لغته الأصلية ما هو إلا نصف أمة. فيجب، إذن، على الأمة حماية لغتها أكثر من حمايتها لأراضيها إذ اللغة أمتن وأقوى حاجز حام لحدودها من الغابات والجبال والأنهار والبحار.

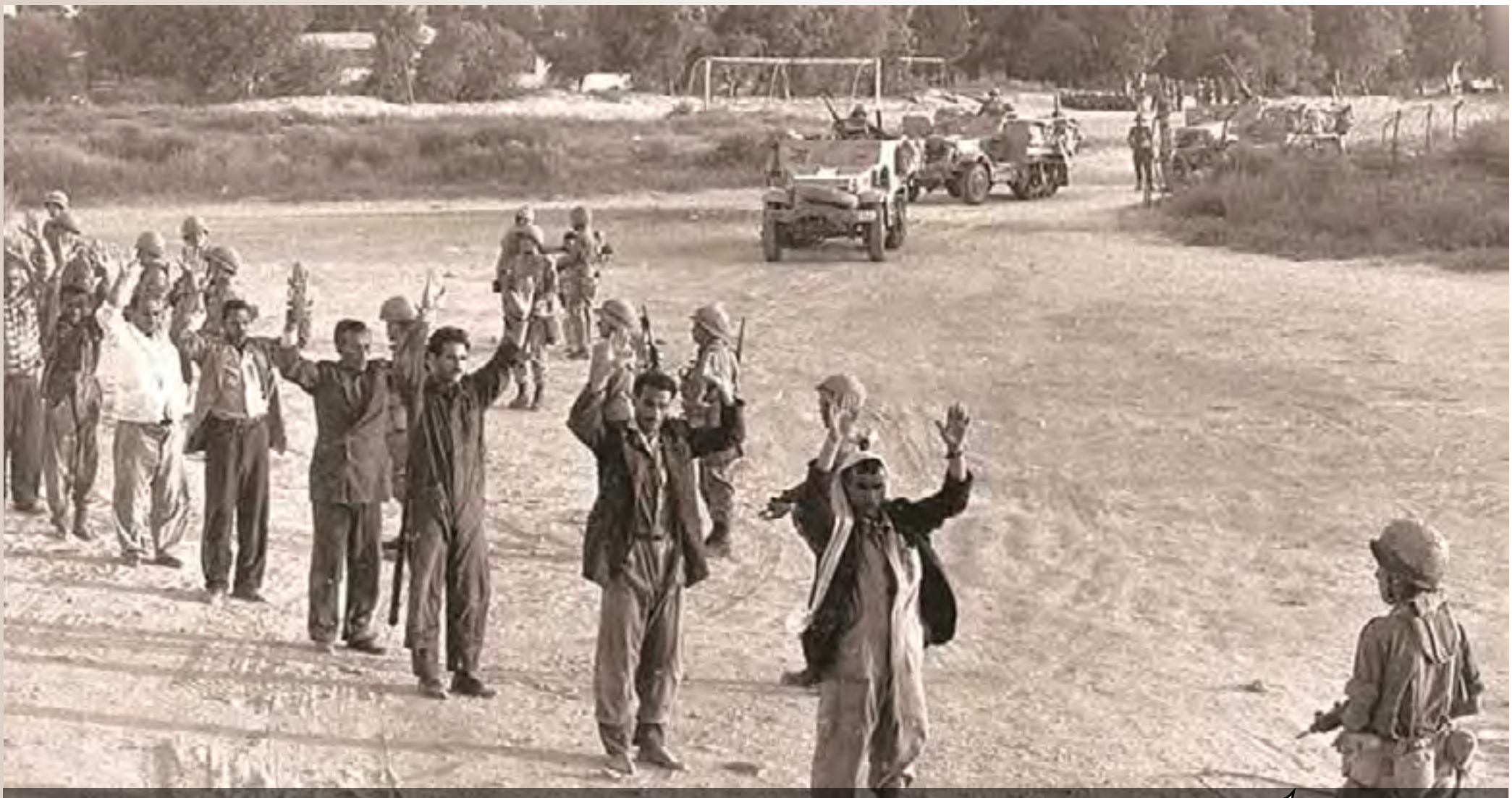

56 عاماً مرّت على هزيمة 67 ... ماذا بقي في ذاكرة العرب؟

عواطف البلدي

شهدت البلدان العربية في الخامس من جوان 1967، تحولًا دراماتيكيًا وحاسمًا في تاريخها، حيث تعرّضت إلى هزيمة أصبحت تعرف في ما بعد بـ "نكسة 67". وتعدّ هذه النكسة منعطفًا تاريخيًا يصعب تجاوزه، لما لها من تأثير كبير على الوعي الوطني والقومي في البلدان العربية. ولم تكن تلك "الأيام الستة" مجرد هزيمة عسكرية فحسب وإنما كان لها تأثير عميق ومتعدّد الأبعاد على المجتمعات والثقافات العربية. اليوم ومع تطور الثقافة الجديدة لا تزال نكسة 67 تمثّل مصدر إلهام ومادة للإبداع الفني تنعكس في أعمال المثقفين والفنانين. فماذا بقي من هذه الذكرى؟

صدمة حادة لم تكن متوقّعة لدى المتحمّسين والمنساقين وراء شعارات جمال عبد الناصر التي وصفها نزار قباني في قصيدته بالـ"عنتريات" وقال عنها الرئيس بورقيبة مثلما جاء في حوارنا مع المؤرخ عبد اللطيف الحناشي بنفس العدد "دعاية مكثّفة وتقمّص مواقف بطوليّة مزيّفة وتهديدات جوفاء..". هزيمة 67 أدت إلى نمو الوعي الوطني والقومي لا سيّما في المجال الثقافي الذي تأثر بالأحداث، وقد تجلى ذلك في الأدب والفن والموسيقى والسينما. وظهرت أعمال فنية تعبّر عن الألم والخيبة والاحتجاج تسعى إلى إعادة تقييم وتجديد الهوية الثقافية العربية. ورغم مرور الزمن، ما زال للنكسة 67 تأثيرها وبصمتها في الوسط الثقافي حتى يومنا هذا، بما أن تلك الكتابات والاعمال الفنية لم تمر دون تجاوب مع الأحداث القاسية والصدمة التي رافقتها. فقد طرحت الاعمال الفنية قضايا ثنائية مثل "الصراع والخيبة" والهوية والانتماء" الى جانب الكتابات في مسألتي "التحليل النقدي والتأمل" اللذين تجسّدا في العواقب العميقة للنكسة شعرا وأدبا ومسرحا وسينما.. ولا ننسى انتاجات الفن المرئي والتجسيد البصري انذاك الذي تأثر بالنكسة.

الوعي بالهزيمة

"لأن ما نحسه.. أكبر من أوراقنا.. لا بد أن نخجل من أشعارنا.. إذا خسرنا الحرب.. لا غرابة.. لأننا ندخلها.. بكل ما يملكه الشرقي من مواهب الخطابة.. العنتريات التي ما قتلت ذبابه.. ". كلمات خطّها الشاعر السوري الراحل نزار قباني بُعيْد "النكسة" في مجموعته الشعرية "هوامش على دفتر النكسة" وثّقت اللحظة باختصار وبوعي تام وباقتناع كبير. نزار شاعر المرأة الذي ذهب الى الكتابة في الشعر السياسي انتقد السلطة السياسية انذاك، وكشف عوراتها خصوصاً في مجموعته تلك معتبرا أن العرب "أسياد العنتريات والدعاية الزائفة" التي لا توصل الا الى الخسارة.

مشهد الهزيمة وألم الخسارة نتيجة حرب رآها البعض آنذاك خاسرة منذ البداية، لم يتقبلهما شعراء آخرون مثل المصري أمل دنقل الذي صدح بأعلى صوته في قصيدة شهيرة بعنوان "لا تصالح". تلك الهزيمة حملت معها بذور اليقظة في الادب والشعر عموماً. كما تجلت تلك المفاهيم في روايات وكتب نقدية عديدة على غرار "الكرنك" لنجيب محفوظ وأثر كتاب صادق جلال العظم " النقد الذاتي بعد الهزيمة" الكبير في اختراق المفاهيم السائدة والكشف عن أسباب الفشل وتخلف العقلية الحاكمة، حتى أصبح الأدب المعبّر الأول عن أحزان الشعوب العربية وجراحاتها باعتبار أن ما حصل ما هو إلا محطات عبور نحو الغد والتحرر. ولا ننسى رواية حبيب بركات " ستة ايام" التي فضح فيها الاهتراء والجهل الكامنين في نفوس وعقلية المتورطين في الحرب ومن بين المجموعات القصصية التي علقت بالبال منها "سبعة قصص فلسطينية" و"وجوه في الحجر" لغسان كنفاني اللتين تعبران عن تجارب اللاجئين الفلسطينيين وحياتهم بعد نكسة 1967.. وغير ذلك الكثير من الاعمال الادبية حول النكسة التي مازالت الى يومنا هذا لها تأثير كبير على مجريات الاحداث السياسية والتفكير العربي وتوجيه بوصلة الادب الى المرتكزات الحقيقية في تناول القضايا الوطنية، التي انصبت على الحريات والديمقراطية. ورغم ذلك ظهرت آثار النكسة بشكل أسرع في المجالات الأيديولوجية والسياسية والثقافية بمعناها العام. ففي عام 1974 دعا توفيق الحكيم في كتابه "عودة الوعي" الى مراجعة حصاد تلك المواجهة مع اسرائيل إضافة إلى كتاب "تاريخ بلا وثائق" للكاتب إبراهيم عبده الذي قال فيه "مواجهة الاستعمار جنون مطبق" ومن هنا وضع مثقّفون عرب الأساس الأيديولوجي لتراجع فكري شامل عن قضايا التنمية مقابل معاداة الاستعمار والالتزام بقضايا التحرر العربي وغير ذلك والتي انبثقت عنها حركات مقاومة كثيرة منها حركة المقاطعة (BDS) التي تعتبر جزءًا من الحركات النضالية التي نشأت بعد هزيمة 1967 ومن بين اهدافها تحقيق العدالة للفلسطينيين عن طريق مقاطعة إسرائيل اقتصاديًا وثقافيًا وأكاديميًا .

يقول الشاعر عمار العربي الزمزمي في نفس السياق "ستة وخمسون عاما مرت أمس على هزيمة العرب في ثالث مواجهة بينهم وبين الكيان الصهيوني الغاصب." نكسة 67" تضاف إلى " نكبة 48" . يا له من إبداع في تشخيص الهزائم ! على المستوى الرسمي ظهرت في أعقاب " حرب الأيام الستة" مقولة "خسرنا معركة ولم نخسر الحرب". وفي أوساط المثقفين تمت المراوحة بين جلد الذات والمراهنة على المقاومة الفلسطينية التي أنقذت الشرف العربي في ليل الهزيمة" .

وأضاف الزمزمي "بعد "حرب الاستنزاف" جاءت مواجهة 73 التي كانت حرب تحريك لا تحرير لترد الاعتبار للجيوش النظامية وللنظام الرسمي إلى حين لأن نصف الانتصار أو نصف الهزيمة لم يستثمر في تحسين شروط

المؤرخ عبد الجليل بوقرّة :

بعد هزيمة 67 امتنعت الدّول العربية كعادتها عن كشف أرشيفها، والمؤرّخ لا يعثر الا على مذكّرات فردية وتقارير صحفية غالبا مغلوطة

التفاوض بل أفضى إلى مستنقع اتفاقيات مخيم داوود وخروج مصر كأكبر دول الطوق من المواجهة .وكانت قصيدة "لا تصالح" التي كتبها أمل دتقل سنة 76 من أبرز التعبيرات الثقافية عن رفض التطبيع قبل قيامه لكن الانهيارات تلاحقت فكان غزو لبنان وترحيل المقاومة الفلسطينية ثم مشاركة بعض العرب في غزو العراق "، لافتا الى أن " الشعب الفلسطيني تُرك يواجه منفردا محاولات قبر قضيته لكنّ كفاحه التحريري انبعث في شكل جديد فكانت الانتفاضة الأولى ثم الثانية لكنّ اتفاقيات أوسلو وما أعقبها من مفاوضات عبثية وقيام سلطة تنسق أمنيا مع العدو كلها عوامل نسفت مكاسب الانتفاضتين. ومع ذلك انتعشت ثقافة المقاومة التي رسخها اضطرار الكيان الصهيوني للانسحاب أحادي الجانب من جنوب لبنان ومن غزة" .

وتابع "جاء الربيع العربي الموهوم ليوفر الأرضية الملائمة لركوب أكثر من نظام عربي قطار التطبيع برعاية أمريكية .فهل معنى ذلك أن الصراع حُسم لصالح الكيان الصهيوني؟ بالطبع لا. فرغم التطبيع الرسمي والاختراقات الحاصلة هنا وهناك في صفوف المثقفين والفنانين فإن التطبيع على المستوى الشعبي ما زال عصيّا بعيد المنال .وروح المقاومة لم تمت في الشعب الفلسطيني رغم تخلي سلطته عن الكفاح المسلح والانقسام الحاصل بين فصائله والاستقطاب الحاد بين فتح وحماس كأكبر فصيلين ". خالصا بالقول الى أنه "لا مستقبل للكيان الصهيوني تاريخيا .فقد فقد رغم ترسانته العسكرية الهائلة قدرته على الردع وأصبح كل شبر من فلسطين المحتلة في مرمى صواريخ المقاومة بعد أن كان يحسم لصالحه حروبا خاطفة يخوضها على أراض يحلم بالتوسع فيها . وأصبح يحيط نفسه بجدار عازل بعد أن كان لا حدود له. وبدأت وحدته الداخلية تتصدع والضعف يدب في داعميه الذين لا حياة له بدونهم بفعل ما يشهد العالم من تغيرات جغراسياسية ورفض لهيمنة أمريكا كقطب وحيد".

إضافة الى الادب والشعر تناولت أعمال ثقافية أخرى تعلّقت بالنكسة العديد من القضايا المتنوعة التي تؤثر على المجتمعات العربية. وطرحت مواضيع حارقة مثل الهجرة واللجوء، والهوية الثقافية والانتماء، والحرب والصراعات السياسية، وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية. تسعى هذه الأعمال إلى توثيق وتأريخ الأحداث وتوفير رؤى عميقة حول تجارب الأفراد والمجتمعات في ظل النكسة وما تلاها.

ففي الفن التشكيلي لا أحد من ذلك الجيل ينسى أعمال لوحة الفنان الفلسطيني ناجي العلي خاصة لوحته الشهيرة "نكسة 1967" التي تصوّر العذاب والألم اللذين تعرض لهما الشعب الفلسطيني بعد النكسة. وأيضا معرض "النكسة وبعدها" للفنان التشكيلي اللبناني شربل روحانا الذي تناول تأثير النكسة والصراع على الفنان والمجتمع. وفي المسرح نذكر مسرحية "نكسة 67" للمسرحي الفلسطيني محمد صلاح العرندس التي طرحت قصة أسرة فلسطينية تعيش في ظل النكسة وتواجه التحديات والمشاكل. ومسرحية"سهرة سمر من اجل 5 حزيران (جوان)" للكاتب المسرحي سعد الله ونوس وغيرهما..

مذكّرات فردية وتقارير متضاربة

في ساعات قليلة انتهى كلّ شيء وتغيّر تاريخ منطقة الشرق الأوسط جذريا وأدّت حرب جوان 1967 إلى تغييرات بنيوية على المستويات السياسية والاجتماعية وخاصّة الفكرية. لكن لماذا حصل كلّ ذلك؟ وما هي تداعيات تلك التحوّلات العميقة؟ سؤالان طرحهما المؤرخ عبد الجليل بوقرة قائلا "لئن كشفت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بعد نصف قرن عن جزء كبير من أرشيف وقائع تلك الحرب، وكشفت روسيا عن جزء من أرشيفها، فإنّ الدّول العربية امتنعت كعادتها عن كشف أرشيفها، ولا يعثر المؤرّخ سوى على مذكّرات فردية لبعض الفاعلين في تلك الفترة وتقارير صحفية متضاربة وغالبا مغلوطة".

وأضاف بو قرّة : "عبد الناصر أقرّ ، في خطاب 23 جويلية 1967، بأنّ النّتائج فاقت كلّ التوقّعات، وعندما نواصل الاستماع إلى خطب عبد الناصر بعد الحرب وخاصّة خطابي 23 نوفمبر 1967 أمام مجلس الأمّة المصري و25 أفريل 1968 بالجامعة المصرية، نكتشف ناصر جديدا. في خطبه الجديدة لما بعد الحرب بدأ عبد الناصر الواثق من القضاء على دولة إسرائيل والمتمسّك بحلّ "تحرير فلسطين من النهر إلى البحر" يختفي تدريجيا ليترك مكانه إلى عبد الناصر القابل، ضمنيا، بالتعايش مع إسرائيل والموافق على الحلول "المنقوصة" مثل قرار الأمم المتحدة 242 المؤرّخ في نوفمبر 1967، وهو حل تراجعت فيه الأمم المتحدة عن ما سبق لها أن منحته للعرب في القرار 181 المؤرّخ في نوفمبر 1947، والذي رفضه عبد الناصر، قبل الحرب، واتّهم الحبيب بورقيبة بالخيانة والعمالة بسبب دفاعه عن ذلك المشروع في خطاب أريحا الشهير.".

وختم قوله "اكتشفنا، أيضا وخاصّة، بداية اختفاء عبد الناصر القومي العربي ليترك المكان تدريجا لعبد الناصر الوطني المصري، وشكّل ذلك انقلابا للموازين في مسار الفكر السياسي العربي وانتصارا للفكر الوطني على حساب الفكر القومي العربي وتحوّل في الاستقطاب الفكري الثنائي من "قومية عربية" و"إسلام سياسي" إلى "وطنية" في مواجهة "الإسلام السياسي".

يبدو أن تأثير نكسة 1967 في الأدب والشعر والفن لم يظهر ـ بكل أبعاده ـ إلا متأخرا. بينما اقتصرت النكسة ـ تقريبا ـ على وقائع الهزيمة العسكرية والسياسية ومحاولة التصدي لها بحرب الاستنزاف وحشد القوى لتصحيح أخطاء النظام. أما اختمار نتائج النكسة، خاصة في المجالين الروحي والنفسي، وهما مادة الإبداع الأدبي، فقد استلزم وقتا طويلا، لتصبح الهواجس والشكوك والأسئلة شيئا من صميم الروح العربية.

نكسة حزيران (جوان) 1967
بريشة الفنان الفلسطيني
ناجي العلي

الشاعر عمار العربي الزمزمي:

على المستوى الشعبي ما زال التطبيع عصيّا بعيد المنال وروح المقاومة لم تمت...

هوامش على دفتر النكسة

نزار قباني

1
أنعي لكم يا أصدقائي، اللغة القديمة
والكتب القديمة
أنعي لكم :
كلامنا المثقوب كالأحذية القديمة
ومفردات العهر، والهجاء، والشتيمة..
أنعي لكم..
نهاية الكفر الذي قاد إلى الهزيمة.

2
مالحة في فمنا القصائد
مالحة ضفائر النساء
والليل والأستار، والمقاعد
مالحة أمامنا الأشياء..

3
يا وطني الحزين
حولتني بلحظة
من شاعر يكتب شعر الحب والحنين
لشاعر يكتب بالسكين..

4
لأن ما نحسه
أكبر من أوراقنا..
لابد أن نخجل من أشعارنا

5
إذا خسرنا الحرب ، لا غرابة
لأننا ندخلها
بكل ما يملكه الشرقي من مواهب الخطابة
بالعنتريات التي ما قتلت ذبابه
لأننا ندخلها
بمنطق الطلبة والربابة..

6
السر في مأساتنا
صراخنا أضخم من أصواتنا
وسيفنا..
أطول من قاماتنا..

7
خلاصتة القضية
توجز في عباره
لقد لبسنا قشرة الحضارة
والروح جاهلية...

المؤرخ أ.د عبد اللطيف الحناشي لـ «الشارع المغاربي»:

بورقيبة أرجع أسباب هزيمة 67 الى استبداد مصر بالرأي والى افتقاد القادة العرب التخطيط المحكم

• التطبيع في عمقه يتناقض ومشروع الايديولوجيا الصهيونية وكيانها الذي يستمد وجوده من استمرار الحرب والمظلومية

حاورته عواطف البلدي

هو مختص في التاريخ السياسي المعاصر والراهن صدر له مؤخرا كتاب «بورقيبة والقضية الفلسطينية وامتداداتها العربية 1938-1978 واقعية ريادية أم تنكّر للقضية؟» إضافة الى إصدارات أخرى منها كتاب «تونس: من الثورة التائهة إلى الانتقال الديمقراطي العسير» وكتاب «تطور الخطاب السياسي في تونس ازاء القضية الفلسطينية 1920 - 1955 «. هو المؤرخ أ.د عبد اللطيف الحناشي الذي حدثّنا عن أسباب هزيمة 67 حسب بورقيبة وموقفه منها.

وافق أمس الاثنين الذكرى 56 لنكسة 67 . وبصفتك مختصا في التاريخ السيسي الراهن واشتغلت على القضية الفلسطينية في أكثر من اصدار.. ماذا بقي من تلك النكسة؟

صحيح ان الهزيمة رسّخت في وجدان العرب ان «اسرائيل» لا تُهزم غير ان ظاهرتان ساهمتا بتفاوت في زعزعة وتقليص هذه الصورة . وقد تمثل الحدث الاول في حرب 1973 فرغم محدوديتها ازالت الكثير من حجم التصور الذي كان سائدا عن قوة الكيان خاصة عند «جيل الهزيمة».

أما الثاني فتمثل في نهوض الثورة الفلسطينية وتخلّصها من هيمنة الدول العربية وتحررها من الوصاية التي فرضتها تلك الأنظمة وذلك منذ معركة الكرامة 1968 التي اشّرت الى دخول الفلسطينيين إلى «مسرح التاريخ» واستمرار المواجهة مع الكيان بأشكال مختلفة. وبعد اخراج المقاومة من الاردن ثم من بيروت سنة 1982 وخروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان تم نقل الصراع والمواجهة الفلسطينية من الخارج إلى الداخل فانطلقت المواجهة في غزة والضفة الغربية في 1987 باندلاع انتفاضة الحجارة الكبرى مع استمرار المواجهة في الداخل الى اليوم بأشكال مختلفة سواء في الضفة او في غزة. بالنهاية يمكن التأكيد على ان الجيل الفلسطيني الذي ولد بعد هزيمة 67 هو الذي قاد كل المواجهات مع الكيان فهو وأبنائه هم الذين حملوا «الآر بي جي» وأطلقوا الصواريخ وحفروا الأنفاق، وصنعوا الطائرات المسيّرة...

كما يمكن التاكيد على ظاهرة تنظيم حزب الله، هذا التنظيم الذي حيّر وقهر وانتصر في عدة معارك على دولة الكيان الصهيوني وأرغم الجيش الصهيوني من الانسحاب ذليلا من الجنوب اللبناني سنة 2000 وصولا لمعركة 2006 وضرب دولة الكيان في العمق..

على المستوى التونسي لا اعتقد ان الكثير قد بقي خاصة عند الاجيال الجديدة التي لم تعاصر الحدث او تلك التي لم تسمع به اصلا اقصد هنا غالبية جيل التسعينات والعقود التي تلته، أمر تأكد لدينا عند تدريس مادة تاريخ القضية الفلسطينية منذ فترة طويلة...غير ان تضامن وتفاعل التونسيين من اجيال ومستويات اجتماعية وثقافية مختلفة مع القضية الفلسطينية.. امر ثابت ومؤكد .

لنعد بالذاكرة الى الوراء وتحديدا الى أيام النكسة الستة كيف كان موقف بورقيبة من حرب 1967؟

تحرك المرحوم الرئيس الحبيب بورقيبة بعد نحو يوم من انطلاق الحرب واتّخذ عدّة قرارات من ذلك :استقباله لسفراء الدول الإفريقيّة المعتمدين في تونس ودعاهم لإبلاغ حكوماتهم رسالة تتعلّق بالأحداث التي جرت في منطقة الشرق الأوسط وأكّد أمامهم على النقاط التالية:

- إنّ الدول الإفريقيّة معنيّة بالفاجعة التي حلّت بالشرق الأوسط مذكّرا بأنّ تونس جزء من القارّة الإفريقيّة. وإنّ الجمهوريّة العربيّة المتّحدة هي أيضا بلاد افريقيّة.

- أبرز الصبغة الاستعماريّة لـ«إسرائيل» التي عملت وتعمل من أجل إحلال اليهود المطرودين من أوروبا محلّ الشعب العربيّ والحال أنّ العنصريّة لا أثر لها عند العرب.

- أبدى اسفه لتأخّر منظّمة الوحدة الإفريقيّة عن مناصرة قضيّة فلسطين سيّما وأنّ أمينها العامّ لم يُدْلِ بأيّ بيان في هذا الخصوص.

- أبدى الأمل في أن تقف الوفود الإفريقيّة والعربيّة صفًّا واحدا في الجمعيّة العموميّة للأمم المتّحدة لنصرة القيم الأخلاقيّة والعدالة واحترام الكرامة البشريّة.

وماذا عن قراراته السياسية آنذاك؟

اتّخذ جملة من القرارات السياسيّة تمثلت في إرجاع عضويّة تونس للجامعة العربيّة (قاطعت تونس أشغال الجامعة العربيّة في أكتوبر 1967). وإرجاع العلاقات الدبلوماسيّة مع القاهرة التي كانت قد قطعت في 3 أكتوبر 1966. كما أرسلت وزارة الخارجيّة التونسيّة برقية إلى الجامعة العربيّة تعبّر فيها على تأييد تونس لكلّ الدول العربيّة ومساندتها في حالة تعرّضها إلى أيّ عنف أو هجوم من «إسرائيل». إضافة الى إرسال فيلق عسكريّ من الجيش التونسيّ تحت قيادة الرائد الشابي مع وفد صحّي غير أنّه وقبيل اجتياز الحدود الليبيّة تلقّى أمرا بالرجوع إلى قواعده وذلك بعد إعلان وقف إطلاق النار بين مصر و«إسرائيل». وللتذكير فإن ذلك الفيلق تجوّل في شوارع العاصمة ثم سوسة مرورا بصفاقس وقابس ومدنين... إلى أن تمّ الإعلان عن وقف النار.

وكيف شخّص الزعيم أسباب الهزيمة؟

أرجع الرئيس بورقيبة أسباب الهزيمة آنذاك الى عميقة أولا حيث اعتبر أنّ لمشكلة الشرق الأوسط جذور ومرتكزات توجد في تصريح بلفور عام 1917 وحرب 1948 مرورا بالعدوان الثلاثي وحرب عام 1967 ما أدّى الى: « تشريد مليون من البشر أُطْرِدُوا من وطنهم ومن ديارهم ومن أراضيهم وأصبحوا يعيشون في محتشدات من الخيام ويقتاتون من الصداقات الدوليّة..». ورغم كلّ ذلك يعتبر بورقيبة أنّ ما يبدو له خطيرا وأساسيا وذا أهميّة بالغة هو القرار البريطاني المجحف بعرب فلسطين (وعد بلفور) والذي ليس له ما يبرّره أصلا من

حيث حقوق البشر، أكسبته المجموعة الدولية الصبغة الشرعيّة مرتين فالمرّة الأولى غداة الحرب العالميّة الأولى أثناء مؤتمر سان ريمون والمرّة الثانية في عام 1947 على يد الأمم المتّحدة. ففي الأولى تمّ تجاهل الأربعة عشر نقطة التي تضمّنها بيان ولسن، والثانية اتّخاذ الأمم المتّحدة قرار رقم 181 لسنة 1947 القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين والقرار الأمميّ رقم 149 الداعي إلى عودة اللاجئين إلى ديارهم. بأغلبيّة ساحقة شملت الدول الكبرى الخمس والحال أنّه مناقض لميثاقها المبنيّ على الاعتراف للشعوب بحقّ التصرّف في شؤونها وتقرير مصيرها.

أما الأسباب المباشرة فقد حمّل فيها بورقيبة الدولة المصرية مسؤوليّة الحرب إذ اعتبر أنّ «إسرائيل» كانت قانعة بالحدود المرسومة عام 1956 ولم تكن تطالب بكامل مدينة القدس ولا بالضفّة الغربيّة للأردن ولا بنصف قناة السويس ولا بالمناطق التي تحتلّها في شبه جزيرة سيناء لذلك يرى أنّ ردّ «إسرائيل» كان متوقّعا لا بل إنّه كان منتظرا كجواب على الدعاية المكثّفة التي قيل إنّها ستمحو دولة «إسرائيل» من الوجود. بورقيبة لام أيضا الدول العربيّة التي «شنّت» الحرب دون إشراك بقيّة الدول العربيّة وحمّلها مسؤوليّة نتائجها في الوقت الذي رفض أن تكون تونس بعيدة عن القرار أو أن تُعَامَلَ معاملة دونيّة. كما رفض الانسياق وراء سياسات لا تساهم في صياغتها ويطالب أن تعامل تونس معاملة الندّ دون أن تفرض عليها القرارات. واعتبر بورقيبة أن العدوّ كان أكثر عدّة وأكبر قوّة وأن الأخطاء في التقدير تسبّبت للبلدان العربيّة فيما نعانيه اليوم من انتكاس واحتلال لأجزاء أخرى من ترابها.

بورقيبة لاحظ أيضا ان أحد الاسباب الهامة التي ادت الى الهزيمة انما تكمن في حذق اسرائيل للعلوم الجديدة والتكنولوجيا الحربية واعتبر ان «المعركة بين العرب والصهيونية هي قبل كل شيء قضية تفاوت علمي وتكنولوجي..». بالإضافة الى استبداد مصر بالرأي واتّخاذ القرار دون استشارة الدول العربيّة.». .

ثم إن بورقيبة كان يرى أن القادة العرب كانوا يفتقدون للتخطيط المحكم لمواجهة «إسرائيل» ويعالجون المشكل الفلسطيني، منذ عام 1948 « بطريقة أو بشكل أحمق أو أخرق لم يهتموا بالمستقبل وليس لديهم لا تخطيط ولا منهج. وأنهم وظّفوا القضيّة الفلسطينيّة بطريقة أنانيّة ويمكن القول بطريقة إجراميّة..». دون ان ننسى طبعا موقفه من الدعاية المكثّفة التي دفعت العدوّ للاستعداد وردّ الفعل من قبل العدوّ.

وماذا عن علاقة بورقيبة بجمال عبد الناصر أيامها؟

تداخلت في طبيعة هذه العلاقة عوامل ذاتية وأخرى موضوعية وأحيانا تفاعل كلا العاملان مع بعضهما البعض. فبورقيبة لا يتوانى، عادة، في إبراز تميّزه وفرادته خاصّة إن تعلّق الأمر بمقارنته بالرؤساء العرب. ولا يتردد في ابراز دونيّتهم وعدم احترامه لهم . كان يقول عنهم: «السّياسيّون بالشّرق الأوسط أغبياء» وقد يفسّر الأمر أيضا بموقف الرؤساء العرب من بورقيبة ، قال عنهم أيضا : «..مرتابين منّي، وحسّاسين جدّا وبطريقة غبيّة، إنّهم يشكّكون فيّ شخصيّا..» وهو نفس الأمر الذي ركّزت عليه دعاية المعارضة التونسيّة في القاهرة لاحقا وكذلك الإعلام المصريّ الذي أشاع خيانَةَ بورقيبة وعَمالَتَه للغرب وكُفْرَهُ بالعروبة والإسلام.

ويقصد بورقيبة بتلك الاوصاف تحديدا جمال عبد الناصر ويقول أنّه: «..تقمّص المواقف البطوليّة المزيّفة، و[لوّح] بتهديدات جوفاء لمحق اليهود والركون للحلول العسكريّة.. ممّا أدّى إلى تنكّر العالم لنا برغم حقّنا المغتصب..». كما اتّهمه بعدم القدرة على اتّخاذ القرارات الجريئة والانسياق وراء عواطف الجماهير.

يبدو موقف بورقيبة هذا من الرئيس جمال عبد الناصر نوعا من «تصفية الحساب» على خلفيّة موقف عبد الناصر المساند لصالح بن يوسف من ناحية ولما يحتلّه عبد الناصر من شعبيّة ورمزيّة لدى الجماهير العربيّة ومنها التونسيّة، من ناحية اخرى، أمر لا يتحمّله بورقيبة وهو يؤكّده أحمد المستيري الذي قال:»...وكما يعرف الخاصّ والعامّ ، فالرجلان لا يطيقان بعضهما البعض ، وبينهما حسابات قديمة إضافة الى قضيّة إقامة صالح بن يوسف والمعارضة التونسيّة ومسألة محاولة اغتيال بورقيبة التي اتُّهم فيها صالح بن يوسف والحكومة المصريّة1(1)، في حين يرجع الشاذلي القليبي الخلاف إلى رفض بورقيبة زعامة عبد الناصر العربيّة وباختلاف المنهجيّة المعتمدة من قبل الشخصيّتين بخصوص القضيّة الفلسطينية إضافة لاختلاف ثقافة وطباع كلا الرجلين وأيضا بالعقليّة2. (2) إضافة إلى شعبيّة عبد النّاصر الواسعة في العالم العربيّ وتونس وهو ما يزعج بورقيبة، على ما يبدو، ويعتبر ذلك تحدّيا له... امر يؤكده الشاذلي القليبي3. (3)

أمّا الباجي قائد السبسي فيرى أنّ ما أعطى للخلاف الحدّة بين الرجلين هو:» الموقف من ألمانيا التي كانت، آنذاك، تقطع علاقاتها مع كلّ من يتّصل بألمانيا الشرقيّة واتخاذ مصر قرارا بضرورة أن يقطع العرب علاقاتهم مع ألمانيا ولكن بورقيبة لم يقبل بهذا الموقف وهو ما كان سببا في تصاعد المواجهة بين مصر وتونس4(4)».

ومهما كان الامر لم يكن بورقيبة بنرجسيّته المطلقة التي شكّلها لنفسه (وشُكِّلَتْ له أيضا) كـ«مجاهد أكبر» و«باعث أمّة» و«مؤسّس دولة»...قادرا على تحمّل شخصيّة منافسة له ذات كاريزما كالتي يملكها الرئيس جمال عبد الناصر بأطروحاته الوحدويّة وبانحيازه للفقراء وبطريقة اتّصاله بالجماهير. شخصيّة اعتمدت نفس الأساليب تقريبا التي اعتمدها بورقيبة لكنّها أوسع أفقا منه وبإمكانات موضوعيّة أكبر... لقد كانت عقدة عبد الناصر الزعيم القائد تتحكّم وتوجّه الكثير من مواقف الحبيب بورقيبة الذي كان يسعى للتميّز عن عبد الناصر بتبنّي مواقفه ولكن بطريقة مغايرة أمر أكّده بعض من وزرائه...

هل ادت النكسة الى التطبيع أم عمّقته أكثر وكيف ذلك؟

ليس بالضرورة. فكم من دولة طبّعت بعد 56 سنة من الهزيمة رغم كل الضغوطات الامريكية والأوروبية؟ والواقع يشير الى ان المعارضة العربية للتطبيع تبدو قوية وواسعة . ففي البلدان التي طبّعت مع الكيان الصهيوني ظل التطبيع ضيّقا حتى في الاطار الرسمي، في حين نجد رفضا عاما فرديا او من خلال اغلب الاحزاب والمنظمات الشعبية العربية (خاصة في الدول التي توجد فيها مثل تلك الاجسام الوسيطة). كما تواصل الاحزاب ومنظمات المجتمع المدني ضغطها في الجزائر وتونس والكويت وغيرها من البلدان من أجل تجريم كل أشكال التطبيع مع النظام الصهيوني. اضافة الى رفض عدد هام من الرياضيين والمثقفين المشاركة في الفعاليات التي تضم مشاركين صهاينة اسرائيليين وأفضل مثال هو ما عبّرت عنه الجماهير العربية في مونديال كرة القدم الذي جرى في دولة قطر من مناصرة قضية فلسطين (رفع اعلام فلسطين وادانة الكيان الصهيوني) ورفض التعامل مع الصحافيين الصهاينة امر يؤكد ان التطبيع التي قامت به بعض الدول العربية لا يجد صدى لدى قطاعات واسعة من المجتمعات العربية نخبة وعامة الشعب... والحقيقة الثابتة ايضا هو ان التطبيع في عمقه يتناقض ومشروع الايديولوجيا الصهيونية وكيانها الذي يستمد وجوده من استمرار الحرب والمظلومية. امر يتأكد يوميا منذ اتفاقية اوسلو 1993 ورفض المبادرة العربية للسلام مارس 2002...

• بورقيبة رفض الانسياق وراء سياسات لم تساهم تونس في صياغتها

• الجيل الفلسطيني الذي ولد بعد هزيمة 67 هو من قاد كل المواجهات مع الكيان

• لم يكن بورقيبة بنرجسيّته المطلقة كـ«مجاهد أكبر» و«مؤسّس دولة» قادرا على تحمّل شخصيّة منافسة له ذات كاريزما كالتي يملكها جمال عبد الناصر

• تضامن وتفاعل التونسيين من اجيال ومستويات اجتماعية وثقافية مختلفة مع القضية الفلسطينية أمر ثابت

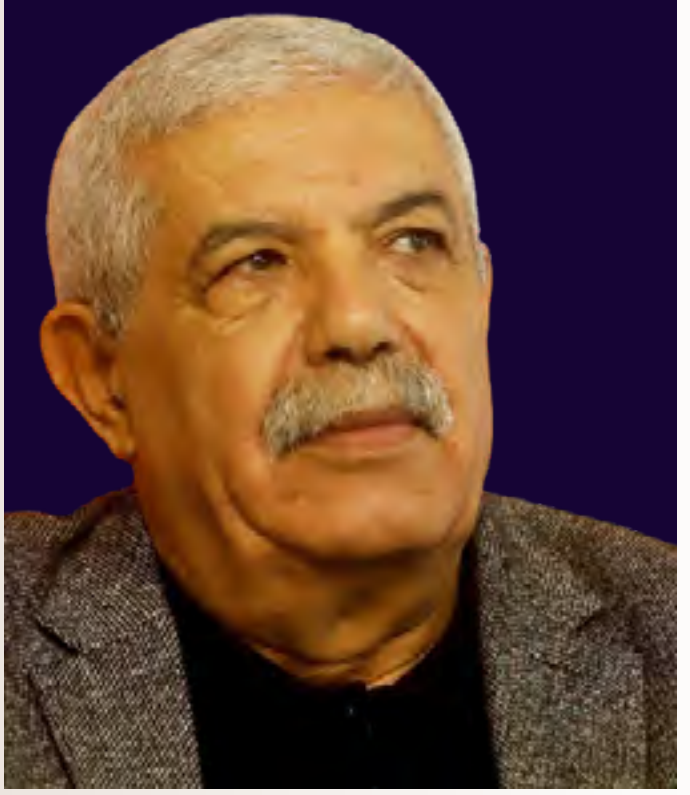

1 - المستيري(أحمد):شهادة للتاريخ، دار الجنوب تونس 2011 ، ص156.

2 - القليبي(الشاذلي):أضواء من الذاكرة :الحبيب بورقيبة ،الكلمة الحرّة ديمتر ،تونس ،ص173-170.

3 - المرجع نفسه،ص 173-170.

4 - الشروق عدد يوم يوم 18 - 06 - 2005،الباجي قائد السبسي في شهادته التاريخية (2): «خطاب أريحا» بريء من الخلاف البورقيبيّ الناصريّ و«ألمانيا» كانت سبب الزوبعة.

وثيقة نادرة حول خلية لدعم القضية الفلسطينية بطبربة في جوان 1948

محمد فوزي المستغانمي

شاركت مع أستاذ علم النفس الاجتماعي والباحث التونسي عبد الوهاب محجوب (1953-2020) في ملتقى بطبربة تحت عنوان «مجردة من أنت؟ «وادي مجردة : بين العوامل الطبيعية وفعل الانسان» وذلك في 19-18مارس 2019 بعد ذلك اتصل بي لاساعده على قراءة رسالة لم تبقى منها سوى نسخة مصورة وفي حالة سيئة فوافقت دون تردد لدماثة اخلاق الرجل وطيبته توصلت بالوثيقة وهي عبارة عن رسالة من والد صديقي المدعو خميسي بن المحجوب بطبربة موجهة الى المدعو محمد العيادي بصفاقس ويتمثل فحواها في امكانية التنسيق بين الخلايا النضالية الداعمة لفلسطين في بعض المناطق بالبلاد التونسية.

وقد أتت الرسالة تزامنًا مع موجة المساندة لفلسطين، حيث اندلعت في تونس تحرّكات احتجاجية عديدة منذ اعلان قرار التقسيم في 29 نوفمبر 1947 من بينها الاضراب العام الذي شنه طلبة الزيتونة في 2 دسمبر. فالتحركات سبقت اعلان قيام الدولة الصهيونية في 14 ماي 1948 لتعم تدريجيا الحركة الاحتجاجية وتشمل مختلف فئات المجتمع التونسي. لم يتوقف دعم التونسيين للقضية الفلسطينية على الاحتجاج بل تعداه الى الحشد وتشكيل وحدات قتالية تتابع تنقلها الى المشرق عبر وسائل مختلفة ففي تقرير للمقيم العام الفرنسي تم إيقاف حوالي 2500 متطوعا على الحدود في جويلية 1948. كما افادت تقارير أخرى تمكن العديد من التونسيين من الوصول الى الجبهات ومنها الجبهات الأمامية والتحموا في مواجهات مع الصهاينة واستشهد من التّونسيّين 11 متطوّعًا. وفي هذا الاطار تشير التقارير الى تشكل خلايا وطنية اشرفت على التعبئة وتشحيذ المقاومين وتوفير التكاليف اللازمة للتوجه للجبهات ومن بين الخلايا النشيطة المتمركزة بصفاقس وكان يقوده شباب وطني على رأسه محمد عياد أحد نشطاء الحزب الدستوري والذي كان مكلفا في نفس الفترة بجمع التبرعات لدعم المساجين السياسيين من قبل الزعيم الهادي شاكر واليوم وفاء لصديقي المرحوم عبد الوهاب أنشر هذه الرسالة التي خاف على تلفها لننشرها للجميع لتجد طريقها للمعرفة والدراسة من قبل الباحثين.

نص الوثيقة

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

حضرة الماجد السر الاعز الوطني الغيور سيدي محمد العيادي حرسه الله أمين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد تعلمون ولا شك أنّ قضيّة فلسطين صارت الشغل الشاغل للأفكار في كافة البلاد العربية وأنّه بفضلها قد أتمّ الله نعمته على هذه البلاد فأصبحوا من أهلها إخوانا كل يسعى لتحريرها وهدفه طرد أولائك الأرجاس الأدنياء عنها ومن البلاد العربية التي تغلغل فيها حبّ الدفاع عن فلسطين تونسنا العزيزة كما لا يخفى فبذلت الجهود، وعرض الشباب ارواحهم لفدائها، ورغم العقبات فقد بلغنا أنّ بلادكم الناهضة كانت في هذا المجهود المشرف سيّدة الموقف، فبارك الله في أنفاس أهلها الميامين، إذ أنّ المشاع عندنا أنّ هنالك جماعات من أصحاب النخوة والغيرة أوقفوا مجهوداتهم في إعانة فلسطين بكل الوسائل حتى أنّ كل من «طاقت» (تاقت) نفسه لاعلاء كلمة الله واعزاز العروبة وأراد أن (..يهاجر..) وجد في صفاقس العربية الزاهرة معينا ونصيرا وحيث أنّ كثيرا من الشباب بطبربة صار يهيم وجدا لإنهاء تسلط الفجار بفلسطين العربية وأن وسائل النقل عندنا غير معروفة فقد فكرت بنية في اعانة فلسطين التي عبدكم أحد أفرادها بالبحث عمن ينوبها بمدينتكم ليتم تسهيل إجراءات السفر لمن سنرسلهم فلم نجد من هو أجدر وأولى منكم بهذه المهمة الوطنية لذا فالرجاء من إخوتكم تعريفنا حالا هل يمكن لنا أن نوجه لكم الفوج الأول وعدد أفراده ثلاثون ويتولى جنابكم توجيههم عن طريق البحر لمرسى مطروح وإذا كان هذا في الأمكان فالمطلوب تعريفنا بمصاريف الركوب كم يلزم للفرد الواحد ومتى يمكن السفر وفي ترقب جوابكم السريع سيدي لكم أفخر تحياتي القلبية والسلام محرره الفقير إلى ربّه خميسي بالمحجوب بالنيابة عن لجنة إعانة فلسطين بطبربة.

تحريرا في 26 رجب 1367/4 جوان 1948

المايل المرسل من قبل المرحوم

Abdelwahab Mahjoub <abdelwaheb.mahjoub@yahoo.fr>

À :Faouzi Mosteghanemi

mer. 16 oct. 2019 à 23:42

Bonsoir cher Faouzi, j'espère que tu va bien ainsi que toute la famille. je m'adresse à vous pour un service: Je t'envoi une copie d'une lettre, l'original à disparue et je n'arrive pas à lire la copie, je m'adresse à vous pour demander une transcription de la dite lettre évidemment si cela ne te dérange pas. Un grand merci de me répondre

Dr. Abdelwahab Mahjoub

السينما المصرية وهزيمة جوان 67

إعداد : منير الفلاح

مضت ست وخمسون عاماً على الهزيمة الأكبر في التاريخ العربي الحديث وما يزال الجرح العربي غائراً حتى اليوم. ففي الخامس من جوان من كل عام، يستعيد العرب ذكرى نكسة 1967، وهي التي ألحقت الخسارة الفادحة بالبشر والحجر، في معركة غير متكافئة، دارت على محاور عدة، كان مركزها درة بلاد الشام، فلسطين العربية.

ألقت هزيمة جوان 67 بظلالها على أغلب مشاهد المجتمع المصري لا المشهد السياسي وحده، وبالتأكيد تأثر المشهد السينمائي، ففي الوقت الذي كانت تدار فيه أنبل المعارك والمواجهات على الجبهة في حرب الاستنزاف، كان بعض صناع السينما يقدمون معارك من نوع آخر، فكرية تناقش أسباب الهزيمة من أجل عودة الانتصار، بينما لم تكن المعارك في سيناء ولا على صفحات الجرائد فقط وإنما على شريط الفيلم السينمائي.

يقول الناقد السينمائي طارق الشناوي،:"كان هناك توجه من الدولة مباشرة بزيادة مساحة هامش الحرية بقرار من جمال عبدالناصر شخصيا، بدليل انتقاد أو هجوم بعض أفلام هذه الفترة على الاتحاد الاشتراكي، وقد كان من المقدسات ولا يجرؤ أحد على انتقاده، إلا إذا كان جمال عبدالناصر قد أذن بذلك، لكن الأخير بدأ مراجعة سياسية، بعدما أيقظته الهزيمة لأهمية الديمقراطية وفتح الباب للصحافة وصناع السينما وبالتالي انعكس ذلك على السينما"، مضيفا أنه "كان من ضمن توجهات القيادة السياسية أيضا الاتجاه للأفلام الكوميدية لتخفيف وقع النكسة".

أفلام تحدثت عن الهزيمة وأسبابها

يمكن أن نتوقف أمام بعض أفلام يرى الكثيرون أنها ناقشت هزيمة جوان 67، سواء بشكل مباشر أو من خلال إيماءات وإسقاطات...والبداية تكون بفيلم القضية 68 الذي فرض نفسه كاحد أهم أفلام ما بعد النكسة.

القضية 68» هناك شرخا في جدار الوطن

فيلم "قضية 68"عرض عام 1968، بطولة حسن يوسف وميرفت أمين، ومن إخراج صلاح أبوسيف، وتدور قصة لطفي الخولي وسيناريو على عيسى حول إنشاء سكان الحارة لجنة لفض المُنازعات بينهم، ولكن يختلف توجه كل واحد منهم، ما بين ذلك الذي يسعى للمُصالحة والتوفيق بين المختلفين، وذاك الذي يرى القانون هو سيد القرار وهو الفيصل، والأخير الذي يشعر أنه حتى القانون يجب العمل على تغييره وتطويره.

يرى الناقد السينمائي محمود قاسم في تصريحاته أن: "فيلم القضية 68 هو أبرز الأفلام التي تتحدث عن النكسة، وفيه حاول صلاح أبوسيف أن يقول، إن هناك شرخا في جدار الوطن لابد من ترميمه، هذا الشرخ يطال جميع الناس، وكل شخص يفكر في علاجه بطريقته، ويلفت النظر إلى أنه تمت مناقشة نفس الموضوع في فيلم أخر هو"الناس اللي جوا".

"ميرامار" و"يوسف شعبان" عضو الاتحاد الاشتراكي:

بالرغم من أن العام 1969 بدأ بفيلم "الحلوة عزيزة" وانتهى بـ«"لصوص ولكن ظرفاء"، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود أفلام جيدة تناقش الهزيمة، سواء بشكل مباشر مثل "ميرامار" لنجيب محفوظ وكمال الشيخ الذي انتقد الثورة متمثلة في شخص الانتهازي "سرحان البحيري/يوسف شعبان" عضو الاتحاد الاشتراكي، أو غير مباشر مثل "المومياء" لشادي عبدالسلام وعلاء الديب.

صدر فيلم "ميرامار" في يوم 13 أكتوبر 1969، وتدور قصته حول هروب (زهر شادية)

من بلدتها الصغيرة بعد أن ضغطت عليها أسرتها للزواج من ثري عجوز، فتوجهت إلى مدينة الإسكندرية وعملت هناك في فندق صغير، وفي الإسكندرية بدأت تقابل شخصيات مختلفة في الفكر والحياة، منهم (حسني علام/ أبوبكر عزت) الثري العابث، و(منصور باهي/ عبدالرحمن علي) الشاب المناضل المثقف والذي تتعرف عليه زهرة محاولًا مساعدتها في تعلم القراءة والكتابة.

ثلاثية يوسف شاهين

استغرق المخرج يوسف شاهين سنتين لاستيعاب النكسة، وما إذا كانت مجرد هزيمة عسكرية أم كانت أكبر من ذلك، ثم قدم رؤيته عن النكسة والهزيمة وأسبابها في المجتمع.

وفي عام 1970 قدم يوسف شاهين أول أفلام ثلاثيته عن النكسة، وهو فيلم الاختيار، وفي فيلمه المثير للجدل "العصفور" (من إنتاج 1972) قدم فيه خطاب التنحي والاستعدادات العسكرية في سيناء، ورمز فيه لمصر عبر شخصية "بهية" التي تجتمع ببيتها فئات مختلفة من الشعب المصري.

وقد صنعت أغنية أكتوبر الشهيرة "رايحين شايلين في إيدنا سلاح" لهذا الفيلم؛ من أجل حث السلطة على الحرب، وتم منع عرض الفيلم لمدة عامين لمهاجمته ثورة جويلية والفساد الذي أدى للنكسة، وتم السماح بعرضه عقب نصر أكتوبر.

كما يحكي برنامج "خارج النص" -على قناة الجزيرة في حلقة فيلم العصفور- أن الرقابة لم تعترض سوى على جمل بسيطة في الفيلم، لكنها رأت أن الفيلم يسيء لسمعة مصر، وجاء قرار المنع من وزير الثقافة يوسف السباعي الذي هدد بحرق النسخة الأولى للفيلم، كما تم اتهام صناع الفيلم بتلقي أموال من الخارج؛ حيث كان إنتاجا مشتركا مع الجزائر.

أما فيلم "عودة الابن الضال" (1976) فقد كتبه يوسف شاهين مع صلاح جاهين، وقدم فيه رؤيته للشباب المطالب بتناسي أحداث النكسة والاستمرار في تحقيق أحلامهم، وغنت فيه ماجدة الرومي "الشارع لمين..الشارع لنا..احنا لوحدنا..الناس التانين مش مننا".

أغنية على الممر

بعد نحو 5 سنوات من النكسة؛ عرض فيلم "أغنية على الممر"، وهو أحد أهم الأفلام التي قدمت نكسة جوان من خلال عيون الجنود المصريين، وقد أخرجه علي عبد الخالق ولعب بطولته محمود مرسي، مقدما الهزيمة وإصرار الجنود على القتال؛ حيث يتم احتجاز مجموعة من الجنود في ممر جبلي.

ويحكي مخرجه أن الفيلم كلف 19 ألف جنيه، ودعمه الجيش بـ15 ألف جنيه، وخلال عرضه كانت سيارات الإسعاف تتواجد بجانب دور العرض بسبب حالات الإغماء لتأثر الجمهور.

فيلم " الكرنك"

في فيلم "الكرنك" المأخوذ عن رواية نجيب محفوظ

ناقش المخرج علي بدرخان القضية ذاتها، وأفرد مساحة واسعة لأسباب النكسة، من وجهة نظره، ووجهة نظر كاتب السيناريو ممدوح الليثي، وبالقطع كانت الإدانة هي العنوان العريض للأحداث كافة، بما فيها خلفيات السجن والاعتقال والتعذيب، التي وضعت داخل السياق لتربط بين الهزيمة أو النكسة، والممارسات السياسية الخاطئة حينئذ، ويُمثل "الكرنك" ذروة النقد الإبداعي للسُلطة الناصرية في مرحلة الستينيات، وأجرأ الرؤى السينمائية تناولاً وطرحاً للقضية السياسية الخاصة جداً، وأكثرها رواجاً اعتماداً على عنوان الرواية واسم كاتبها وحيثيته الأدبية الكبرى. وعملاً بحق النقد المُباح عزفت أفلام أخرى على الوتر نفسه، كفيلم "صياد اليمام"المأخوذ عن رواية الكاتب إبراهيم عبد المجيد، الذي كتب له السيناريو السيناريست علاء عزام، وهو أيضاً الذي كتب سيناريو فيلم "خريف آدم"للمخرج الراحل محمد كامل القليوبي بالرؤية ذاتها المجابهة لفترة الحكم الناصري ورموزها.

فيلم "أحلام صغيرة"

من الأفلام المهمة التي وضعت أحزان نكسة جوان بين قوسين، وكشفت عن مواطن الألم والحسرة في قلب الشخصية المصرية، التي أشير إليها بدور الفنان صلاح السعدني، فيلم "أحلام صغيرة" من إخراج خالد الحجر الذي شارك في بطولته كل من ميرفت أمين وسيف عبد الرحمن، واعتبر من أكثر الأفلام إدانة لما حدث، رغم التوجه الفكري المنحاز للفترة الناصرية، من جانب البطل صلاح السعدني، إلا أنه لم يستطع أن يصرح عبر دوره المحوري بغير الحقيقة، وهي أن الأخطاء السياسية التي أدت للنكسة كانت فادحة، ولا بد من الاعتراف بها، وفي هذا السياق جرت بعض الانتقادات الصريحة لبعض المفاهيم، التي كان من بينها التعامل العاطفي مع الحدث الكبير وإحداث ردود أفعال أخذت كلها الطبيعة العاطفية نفسها، كالتمسك بوجود الرئيس عبد الناصر في السُلطة، ورفض الشعب المصري لفكرة التنحي رفضاً تاماً، والخروج في الشوارع بشكل هيستيري للمُطالبة ببقائه وإثنائه عن قرار التنحي الذي اتخذه في لحظة انفعال حسب الرؤية العامة للفيلم، الذي اختلط فيه مفهوم المحاكمة العادلة للمرحلة بالحنين الجارف للزمن الناصري، ومحاولة تنشيط الذاكرة الوطنية بمشاهد المقاومة والنضال والرفض الشعبي الكامل للهزيمة، واعتبارها مجرد نكسة وفق ما كتبه في حينه الكاتب الصحافي محمد حسنين هيكل في توصيفه لما حدث

فُسحة لغويّة مع عبارةٍ عاميّةٍ شائعةٍ 8

فقرة «فسحة لغويّة مع عبارة شعبيّة» هي فقرة تأتي على العبارة من مختلف جوانبها، كأصل استعمالها وعلاقتها باللّغة الفصحى نحوًا وبلاغةً وما تكتسبه من معنى حسب المقام الّذي قيلت فيه. كلّ ذلك يرد بأسلوب طريف ظريف بعيدًا عن التّقعيد النّحويّ والتّنظير البلاغيّ أو الإطالة المُملّة، ليجد القارئُ نفسَه في فسحةٍ لغويّة جديرة بالاهتمام، يتذكّر خلالَها مقولةً شعبيّةً أو عبارةً متداولةً ويغوص أحيانا في بعض المدلولات دون أن يبتعد كثيرا عن شاطئ واقعه بكلّ تفاصيله ورهاناته.

"المليانة ما تتكلّمش" وفي رواية أخرى "المليانة ما تقربعش"

هشام الهرّابي (كاتب)

عبارةٌ جاريةٌ على ألسنة النّاس يستعملونها كلّما استوقفتْهم مواقفُ تستدعي الاستحسانَ أو الاستهجانَ.

- نحويًّا: "المليانة ما تتكلّمش" هي جملة اسميّة تتكوّن من مبتدإ وخبر. "المليانة" أو (الملآنة)، كما هو أصل اللّفظة في الفصحى. وقد انقلبت الهمزةُ ياءً لثقل نطقها، فالمتكلّمُ، كما نَعْلَمُ، ميّالٌ إلى اليُسر لا إلى العسر.

إذن "المليانة" هي نعتٌ لمنعوتٍ مَحذوفٍ تقديرُه "القِربةُ أو الجَرّة أو غيرهُما مِن الأوعية الّتي يمكن أن تُمْلأ بالسّوائل. فأصلُ المبتدإ أو المتحدّث عنه إذن هو "القربةُ الملآنةُ" وهو تركيبٌ نعتيٌّ.

و"ما تتكلّمش" هي الحديثُ أو الصّفةُ أي الخبرُ ومُرادِفُها في الفصيح "لا تتكلّمُ" والمقصودُ هنا ليس الكلامَ الحقيقيَّ، وإنّما إصدارُ الصّوت والضّجيج والجلبة وكلّ جعجعة بلا طحين.. وقد ورد الخبرُ مركّبًا إسناديًّا فعليًّا.

إذن الإسنادُ (العُمدةُ) في الجملة تشكّلَ مِنْ لفظة (المليانة) وهي المُسْنَدُ إليه ومِنْ (ما تتكلّمش) وهي المُسْنَدُ. والمُسْنِدُ هو المتكلّمُ.

- بلاغيًّا: هي عبارةٌ خرجتْ عن معناها الأصليّ وهو الإخبار لتفيد معنًى بلاغيًّا. بل هما معنيان بلاغيّان على النّقيض. ويُعرَف كلّ معنى انطلاقا من السّياق، فإن نَسَبَ المتكلّمُ العبارةَ إلى نفسه فهي بمعنى الافتخار. وإن وصف بها الآخرَ فهي بمعنى الهجاء.

لقد صارت هذه العبارةُ مقياسًا للتّفريق بين كلّ نقيضين، العَالِمِ الحقّ ومدّعِي العلم، الرّصين والمتهافت، الشُّجَاع والجَبَان، الأصيل والهجين، المكتنز والأجوف، المثقّف الحقيقيّ وشبه المثقّف أو المثقّف الزائف، العميق والسّطحي، وقِسْ على ذلك من الثّنائيات..

فالعِبَارَةُ تُسْتَحْضَرُ في مثل هذين المقامين، مقام مُعبِّرٍ عن الّذي عُبِّئَ عِلْمًا ودِرايةً وتَفَوُّقًا وحِكْمَةً ورَصَانَةً، فَتَوَاضَعَ ومَقَامِ مُعَبِّرٍ عن الّذي تَعَالَمَ وادّعى المعرفةَ أو الشَّجاعةَ وتفاخرَ، أمام كلّ ملأ، بما لا يملك وتظاهر بأنّه دواءٌ لكلّ داء، فَتَطَاوَسَ.

وهذان المقامان ينسحبان على الإنسان أينما كان في كلّ اختصاص وميدان.

لنا أن نقول إذن، إنَّ الاطمئنانَ للإنسان الّذي يُغالي في المباهاة بنفسِه مُضَاهٍ للاستماع لجعجعة الطّاحونة الفارغة. فلتَكُن إذن الأفعالُ وحدَها ناطقةً شادهةً.

صورة تتحدّث

خصائص المنزل الصفاقسي بالمدينة العتيقة

يتكون المنزل من عدة غرف تعرض كل واحدة نماذج من حياة مدينة صفاقس التقليدية خاصة داخل الأسرة. فنجد غرف النوم، والاستقبال، بيت المِونة، المطبخ ، وبيت الأكل. أما الطابق العلوي فنجد فيه بيوت النوم تفتح على رواق يطل على الوسطية من خلال دربوز خشبي. وقد هيات هذه الغرف لتصبح قاعات عرض تتماشي مع وظيفتها الاصلية بالاساس لعرض العديد من المجموعات التقليدية التي تعرف بالحياة الاجتماعية للصفاقسية بمختلف مجالاتها.

وفي هذه القاعات، وخاصة قاعات الطابق السفليّ، بعضها حافظ على محتوياته الاصلية والبعض أعيد فيها تشكيل مشاهد من الحياة اليومية، المطبوعة بطابع الثنائية الحضريّة - الريفيّة، حيث أنّ سكّانها يقضّون جانبا كبيرا من السنة في أجنّتهم (مفردها جنان) وقد كانت إلى عهد قريب تحيط بالمدينة. يتميز المتحف بثراء معروضاته التي جمعت العديد من القطع التي تصور حفلات العرس الصفاقسي واللباس والحلي والأسلحة والخشب المزخرف والرسوم البلورية، التي تصور مختلف الفنون والحرف التي كانت رائجة في المدينة.

يتحلى المنزل الصفاقسي بالاخشاب النحوتة والمخروطة والملونة التي تستعمل في واجهات اسرة النوم وواجهات المقاصر واسقف الغرف وصناديق حفظ الملابس ومرافع البلور الزخرفي. وكان للدهانين براعة يدوية فائقة وحذق كبير في اعداد الالوان وتنسيقها وتنويع الاشكال الهندسية والزهرية التي تحاكي الاس والورد والقرنفل هذه الازهار التي كانت بساتين صفاقس تنتجها. كما كانت تلون وتخزخرف المعلقات البلورية تحتوى على ايات قرانية وادعية واحاديث نبوية ونجد كذلك صور الاساطير الشعبية كقصة سيدنا علي وراس الغول وبراق الرسول وسفينة اهل الكهف والعيساوية وكانت هذة اللوحات والمعلقات تحلي دكاكين الحلقين وغرف الجلوس خاصة وقد كانت لها وظائف وقائية عند الصفاقسية بفضل ما تحمله من ايات وادعية.

انعكاسا لما عرفته صفاقس من ثراء تجاري وتطور للمهن التقليدية وانفتاحها على البادية فقد عرف المطبخ الصفاقسي تنوعا تعكسه المواد والادوات التي تبينها مختلف القطع المعروضة في قاعة المطبخ بالمتحف.

المصدر: المعهد الوطني للتراث

الأمّ كوراج خديم الله

كمال العيّادي (الكينغ)

ها مرّت اليوم مائة يوم بالتّمام والكمال، على رحيلك. وكما وعدتك، سأحرص على كتابة برقيّات ، أطمئنك فيها على حال البلاد والعباد وقططه وأبناءك.

ضاع القط الأحمر وأخته عادت ببطن منتفخ. والشيطان وحده يعلم لمَاذا عاد بطنها مُطبقا على عظامها، كما كان. أحوال البلاد. غامضة...

أمّا بقيّة الحال، فعلى ماهوّ عليه. وطارازان ينطّ من شجرة لشجرة والحال زفت...

أردت فقط أن أرفع لك بتقريري المختصر هذا في ذكرى مرور 100 يوم على رحيلك. وسأداوم على مدّك بالجديد، كلّ ثلاثة أشهر ، بما يعدّون.....

... ها قد مرّ الآن 55 يوم وقططك وحيدة، ترابط عند باب الحوش، لا تريد أن تصدّق أنّك هناك في السّماء. ولأنّ القطط عنيدة، وتُحرّك مزاجها قوى غيبيّة غامضة، فيمكنك أن تطمئني عليها، فيما يخصّ أكلها وشربها، فابنك الأوسط فتحي، يعتني بها كلّ يوم، بل أنّه توقّف منذ رحيلك عن نشر جمله الإيرلنديّة المبتورة، وأصبح ينشر صورًا لقططك وهي تتطلّع صوب نجمة بعيدة، أظنّها بيتك الجديد. أمّا بكر أولادك، يوسف خديم الله، فهو يتعمّد كعادته إخفاء دمعة تشوي خلف ابتسامته المّرّة السّاخرة. هوّ عنيد، كما تعرفين، ولكنّني أجزم بأنّه هوّ من أشار للقطط لموقع بيتك الجديد في السّماء. وحدّد لها النّجمة. حوشك المضيء. وأمّا منصور ، أصغرهم، فأنت تعرفين أن طريقته في إظهار حزنه الدّفين، أنّه يلوذ بصمت ثقيل ويأكل قلبه وهو يتابع برامج لا تعنيه إطلاقا بقنوات لا يشاهدها عادة. ولكن تلك طريقته. بل تلك طرق أولادك الثلاثة في التعامل مع حقيقة أصبحت شبه أكيدة الآن، بعد مرور 55 يوم على رحيلك. وهي أنّك فعلا رحلت وللأبد هذه المرّة. وأنّك سلّمت للأرض أغراضها وسلخت عنك ثوب الطّين...

بالمناسبة، الآن عرفت إسمك القديم. وقد كنت كتبت لك رسالة يوم رحيلك قبل 55 يوم ، ومن المؤكد أنّ مشاغل ترتيب رحلتك لبيتك الجديد في السّماء، شغلتك عن قراءتها...وقد نذرت أن أكتب لك كل ثلاثة أشهر رسالة، أحيطك فيها علما بكلّ جدد يخصّ قططك وأولادك وتونس والعالم العربيّ وكوارث السّاحة الثقافيّة والسيّاسيّة، وأنا على ثقة بأنّ فضولك كبير الآن لمحاولة فهم ما يدور في الأرض من مهازل، تتابعينها انت من السّماء مبتسمة وكأنّك تشاهدين عرضًا مسرحيّا من البلكون الباروكي..... وهذه كانت الرّسالة الاولى التى لم تطّلعي عليها يا أمّ كوراج:

– لا أعرف إسمكِ الأصليّ بصراحةٍ، فأنا لم ألتق بكِ بعدُ، ولكنّني أعرفك عن بُعد، وفقط باسم (الأمّ كُوراج)، وأتتبّع أخبارك، منذ أكثر من ثلث قرنٍ. وقد كنتُ أكلتُ من خزائن (بسِائسكِ)، في زمن بعيد، كأنّه البارحة والله، مع إبنك منصور (إطار ثّقافي وسينمائي، الآن). وضحكت من نوادرك مع إبنك فتحى (القاضى بمحكمة التّعقيب، حاليًا). وتهيّبتُ جلال حضورك وعزيمتك، مع إبنك البِكر يوسف (الشّاعر، ومازال شاعرًا). فقد حدث يا أمّ كُوراج، أنّني تقاطعتُ فعلا مع أولادك الثلاثة جميعا (ثالوث آل خديم الله)، كما كُنتُ، ومازلتُ أسمّيهم، وتعرّفتُ إليهم، في فترة مُبكّرة من شبابي. في القيروان وفي تونس. رغم أنّك في صفاقس، حيث أنجبتهم، وحيث كبروا في حضنك... تعرّفتُ إلى إبنك يوسف خديم الله بالقيروان سنة 1985، كان هوّ أستاذا للّغة العربيّة بمعهد المنصورة (معهد عقبة)، وكنت أنا ما زلتُ تلميذا في السّنة الخامسة ثانوي بنفس المعهد الثانوي. وكنت شُعلة من نارٍ. ولا تكاد الأرض تسع طموحي والله يا أمّ كُوراج. وأوّل كأس نبيذ تذوّقته، كان في ذلك الوقتِ وتلك السّنة المُبكّرة من حياتى، كان مع إبنك الأستاذ يوسف خديم الله، الشّاعر الشّاب آنذاك. لذلك فله مكانة خاصّة في قلبي يا أمّ كُوراج.....وأمّا إبنك الثالث منصور خديم الله، فقد شاء القدر أن يكون رفيقي الذي يُشاركنى الغرفة لمدّة سنتين، بمبيت نهج التّازاركى بباب الخضراء بالعاصمة، حيث كنت أدرس المسرح وكان هوّ بالمعهد العالى للتّنشيط الثّقافي، وكلانا كان حديث عهد بالعاصمة المُخيفة ، والنّدّاهة التى كانت تبتلع كالغول كلّ الأحلام الطريّة، وكلانا كان يحلم آنذاك بالعدالة وبوطن نفديه ونحميه، من تجهّم ومخالب الإخوان وعبدة الموت والسّواد المُتربّصين في الخفاء آنذاك. ونلوّن سماءه بكلّ ألوان البهجة والحماسة والأمل... الأخضر والأزرق والأصفر والأبيض والأحمر طبعا يا منصور، هكذا كنتُ أذكّره حين يشتدّ بنا اليأس والقنوط. وحينها، كنّا نكفّ عن التّظاهر بالنّوم ونهبّ بحماسة جبّارة لنأكل كلّ ما تبقى من (البسيسة / النّوَوِيّة)، التى كان إبنك منصور يُخفيها في خزانته الحديديّة. وحال شعورنا بالشّبع، حدّ التكوّر في السّرير من جديد، كنّا ننخرط تلقائيّا في موجات من الضّحك من محاولات تخمين مُكوّنات هذه البسيسة الجبّارة، التى تقهر جوع الذّئاب الذى كنّا نعانيه ويحرمنا من النّوم... مرّة ألححتُ على إبنك منصور أن يكشف لنا سرّ البسيسة التى كنتِ تُزوّدينه بها كلّ شهر، يا أمّ كُوراج، فعدّد لنا أكثر من عشرة مواد . بسيسة قمح / زيت زيتون / عسل / لوز /شاميّة / مكسّرات / حِلْبة / جلجلان / توابل خاصّة / أعشاب مُجفّفة ومطحونه / سكّر / تمر /.....وكنّا نضحك بعدها حدّ الفجر... سامحك الله يا أمّ كُوراج، كم كنّا نضحك بسببك بالدّموع وجلالة ربّي...ولم أشبع من أكلة طيّبة، أيّام الفقر والحاجة والجوع الأزرق، المُوحش، كما شبعتُ من بسيسة منصور إبنك الذي كان يلحقنا بها، حين ينتصف الشّهر وتتراكم الدّيون ويكبر الجوع الوحشيّ حتى تجحظ بسببه العيون وتنتفخ الأوجاع ويتورّم الحنين في القلب فيفيض على شكل سوائل بدائيّة مالحة، نسمّيها الدّموع التّلقائيّة الخائنة آنذاك، ونحن نقف بحماسة الشّباب، يسار كلّ تداعيّات وأسباب وأنواع المشاعر الجيّاشة، ما لم تُوظّف لخدمة القضيّة والمُثل الإنسانيّة المُستوردة من روسيا وضواحيها. ولذلك، فأنا مدين لكِ يا أمّ كُوراج العظيمة. ومدين بالطّبع لابنك منصور خديم الله، فضلا على أنّه حافظ أسرارى ورفيقي وصديقي، وهو من أكثر من عرفت نقاء وثقافة موسوعيّة.... وأمّا إبنك الأوسط، فتحى خديم الله. فقد عرفته أيضا في أواخر الثمانينات، عن طريق شقيقه منصور، وكان يزوره في المبيت حيث نسكن ونتقاسم الغرفة، وجمعنا الإنتماء لنفس الخطّ اليساريّ وعشق السينما والفنون. وقد استمرت علاقتنا، حتّى اليوم، أكثر من ثلث قرن يا أمّ كُوراج، وستستمرّ، مع كلّ أولادك الثلاثة، مهما أخطؤوا في حقّي... سأبقى قريبا منهم، ثلاثتهم، وأعدك بأنّنى سأحرص على ذلك يا أمّ آل بيت خديم الله...

والآن إسمحى لي أن أقوم ...وأن أخرج للحديقة البافاريّة القريبة...لأبكيك وحدى، دون أن تنتبه ابنتي ياسمين. أو زوجتى الألمانيّة لدموعي المحتبسة منذ زمن طويل.... إسمحى لي أيّتها الأمّ العظيمة، أن أكمل لكِ هذه السّطور الأخيرة فقط وأنهيها على عجَل، ثمّ أخرج، لأبكيك بحرقة يا أمّ كُوراج، أيّتها الأمّ المناضلة العظيمة....وسأنتهز الفرصة وأبكى في رحيلك أمّى الحاجّة فضيلة العيّادى وكلّ الأمّهات اللّواتى غادرن، فجأة، بعد تأديّة الأمانة، ولبّين نداء السّماء الأرحب والأبقى، حيث تحوّلن إلى نجوم مُضيئة تتابع نُموّنا واقترابنا من العلامة والنّداء... فشكرا يا أمّ كُوراج. ووداعا، يا أمّى... سأدعو أحبّتى اليوم للتّرحّم على روحك الطّاهرة الزّكيّة، يا أمّ (آل خديم الله) التى رحلت عنّا هكذا فجأة. ولا أعرف والله اسمها الحقيقيّ بعد ....

الملامتيّة في التّراث الصّوفي

صلاح بوزيّان: باحث في الحضارة العربيّة الإسلامية

لا نبالغ إذا قلنا إنّ المتأمّل في أحوال أهل التّصوف وسيرهم ، أو في قطوف من حياتهم، يجد العجيب من فنون الأذواق والمذهل من ألوان التّبرز في الطّريق ، وإنّ من يداني تآليفهم وتصانيفهم يظفر ببعض الإجابات لمقتضيات الحفر والإصغاء. ونحاول في هذه الورقة البحثية أن نبحث في الملامتية ونستعمل ماجاء عنها في كتب المتصوّفة، لنتبيّن معالم هذه الفرقة الصّوفية التي ظهرت في النّصف الثّاني من القرن الثّالث الهجري بنيسابور بخراسان،ونحدّد أسباب هذه التّسمية ونفهم أسس هذا المنزع الزّهدي ، وهل هو منزع زهديٌّ أم صوفيٌّ؟ ذلك أنّ التّصوف في طوره الأوّل كان زهدًا ، ولعلّ ما كُتب عن هذه الفرقة وسلوك أصحابها ومبادئهم ينبئ عن مقوّمات فلسفتهم ويكشف جوانب هشاشة هذه الفرقة أو عمق تجربتها الرّوحية ويعلن عن مميزات هذا المسلك في الآفاق ، ويطلع الباحث على ضوابط هذه الفرقة الزّهدية في علاقة بالقرآن والسّنة.

أوّل ما لفت انتباهنا هو الاسم الذي اختارته هذه الطّائفة(الملامتية أوالملاميّة)، وهو اختيار خطير لا يقف معناه عند حدود العنوان، بل هو تأسيس لمسار في الزّهد يتّخذ من اللوم وردًا يرتّله وذكرًا يردّده متّهمًا النّفس زاجرا لها حَذِرًا من شِرَاكهَا، أتكون النّفس هذه اللطيفة المُودَعة في القلب الجسماني أين تحلّ الرّوح أيضا،منفذًا للتّرقي والإقلاع في مدارج القرب من الله؟ وهل تكون تزكيتها باللّوم فلاح السّالك /مريد الله؟ سنحاول اكتشاف الدّلائل على ما ذهبنا إليه. لقد اشتقّ القوم الاسمَ من الملامة واللّوم، ولعلّه مأخوذ من الآية(وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ)1، فالمؤمن يلازم لوم نفسه ومعاتبتها وتأنيبها2، والنّفس عند الصّوفية والملامتيّة هي اللّطيفة المودعة في القلب وهي مستودع الأخلاق الذّميمة والأفعال الشّنيعة،وإذا صدقت فرضية أنّهم أخذوا الاسم من القرآن فإنّ هذا الانتقاء يمنح فرقة الملامتية مشروعية لتوجههم الزّهدي الجديد، ولا غرابة في ذلك فمنذ بدايات تشكّل ملامح حياة العُبّاد الزّهدية كان الصّوفية يؤصّلون توجّهاتهم الرّوحية وتجاربهم الذّوقية في القرآن والسّنة وبذلك يخضعون خضوعا تامًّا للشّريعة في أحوالهم وأقوالهم ومؤلّفاتهم.اتّقاء تهمة الابتداع ورغبة في التّنزيه والتّرقي وسلامة الدّين.ونحسبُ اختيار الملامتية لاسمهم هذا وهُمْ من جنس المتصوّفة، ضربا من الخروج عن السّائد الصّوفي، وثورة على فقهاء ومتصوفة عصرهم ،ونتج عن هذا الانشقاق أن اختصّ صوفية خراسان باسم (الملامتيّة) مُعرضين عن صوفية العراق الذي اكتفوا باسم(الصّوفية أو الصّوفي) نسبة إلى تقمّص الصّوف والتّحلي بالصّفاء. فهل طوّر الملامتية تجربتهم الرّوحيّة مبكّرا وأرجعوها إلى منابتها الأولى وكانت لهم هذه الخيرة؟ أم أنّ تبدّلات البيئة الإسلامية وعدم رضاهم عن المتداول بين الصّوفية والعلماء ، هي من الأسباب التي ساهمت في تحديد هذا الاختيار؟ وهل هذا الاسم يخصُّ هذا الصنف من الصوفية ويقتصر عليهم وعلى حالهم وزمانهم ومكانهم، أم أنّ الاسم أضحى قسمة في تقاليد الصّوفية في لاحق القرون من بعد هؤلاء الملاتيين الأوائل؟ وبماذا نفسّر ما طرأ على سلوك المتأخّرين من الملامتية في القرن الخامس هجري في بغداد، كإسقاط بعض الفرائض واستمالة الذّل والهوان؟

إنّ الحديث في أحوال وشؤون هذه الفرقة الزّهدية الملامتيّة يستوجب استدعاء الحجّة والدّليل، ورغم أنّنا لم نعثر لهم على كتبٍ وتآليف تضبط طريقة مستقلّة بحدود وأسس ومصطلحات ومفاهيم وتكشف عن أتباع ومريدين ينتظمون وفق تصوّر صوفي متين مثلما ألفينا ذلك عند عبد القادر الجيلاني(471هـ ـ561ه) مؤسّس الطريقة،وأحمد الرّفاعي وأحمد بدوي وأبي الحسن الشاذلي وعبد السّلام الأسمر وأحمد التيجاني وأبي مدين التلمساني وأحمد زرّوق وعبد العزيز المهدوي ومحرز بن خلف وأبو علي النّفطي ووأبو القاسم المسراتي وعبيد الغرياني والمختار بن أحمد الكنتي، وغيرهم من المشايخ، فإنّنا وسنبيّن جوهر هذه الفرقة انطلاقا من رسالة مهمّة موسومة ب(رسالة الملامتية)لأبي عبد الرّحمان السلمي(ت 366 ه)، ولعلّ قول كبير الملامتية وأحد مؤسّسي فرقتهم حمدون بن أحمد بن عمارة النيسابوري القصّار(ت271ه)3 ، يضيء لنا السّبيل ويوجز لنا تعريف توجّه هذه الفرقة الصوفية،يقول:(ترك التّزين للخلق بحال وترك طلب رضاهم في نوع من الأخلاق والأحوال وألاّ يأخذك في الله لومة لائم)4. وتبدو هذه النّفس اللّوامة التي ألمحنا إليها آنفا كأنّها هي النّفس الكاملة في تصوّر كبير الملامتيّة، إلاّ أنّنا نشير إلى بداية تشكّل المصطلحات الصّوفية الخاصّة بالملامتيّة وعدم دقّتها، فكيف تكون نفسا لوّامة وتوصف بأنّها النّفس الكاملة؟ هل اللوّم الذي يبدو قريبًا من مصطلح المراقبة يكفي لتكون النّفس اللّوامة نفسًا كاملة؟ إنّ هذا التّوصيف الذي قدّمه الملامتيون كما تبدو في تجاويف (رسالة الملامتية)، يعتريه خلط ويفتقر إلى الدّقة المفهومية والصّرامة الاصطلاحيّة ولعلّه وجه من وجوه التجريب الصّوفي الملامتي. ونجد توضيحا صريحا قدّمه الشّيخ عبد القادر الجيلاني(471هـ ـ561ه)،يكشف عن جهد صوفي علمي تحقّق على يدي هذا الفقيه الحنبلي والشّيخ الصّوفي، أنقذ به التّصوف من دسّ الأغراب وغثّ الأشباه، وأصّله في القرآن والسّنة، ونقله إلى فضاء الزّاوية ثمّ إلى أوساط المجتمع وفق أحكام وقوانين الغاية منها حفظ تعاليم وآداب الدّين وإحياء السّنة النبوية والحثّ على العمل وكفّ المشاغبين عن الجدل، فلقد أصلح الـتّصوف، وضبط الطّريقة ، وجعل التّنافس في الأخلاق متوازيا مع التّنافس في العبادات والأعمال، وبذلك دخل التّصوف إلى المجتمع بينما رموز الملامتيّة يستأثرون بالتّصوف لأنفسهم لأنّهم يعتبرون التّصوف تجربة فردية ذوقية، في حين أنّ الجيلاني (56ه) قنّن الطّريقة وضبط المقامات الصّوفية،و سيّج الجسم الصّوفي وجعله منيعًا انطلاقا من القرآن والسّنة والموروث الصّوفي لكبار المشايخ والفقهاء، وما يهمّنا في هذا المقام هي الأنفس التي قسّمها الشيخ عبد القادر إلى سبع، لكلّ (نفس/ مقام) ذكرٌ منقطع النّظيرعن غيره ،وأمّا ترتيب هذه الأنفس والذي نكشف به خلط الملامتيّة بين الأنفس والمقامات، فهي:1) النّفس الأمّارة 2)النّفس اللّوامة3)النّفس الملهمة4)النّفس المطمئنّة5) النّفس الرّاضية6)النّفس المرضية 7)النّفس الصّميمة5.

وكيف تبدو الملامتية من خلال (رسالة الملاتيّة) للسّلمي؟

هو أبو عبد الرّحمان السّلمي(325هـ ـــ 410ه) شيخ خراس وكبير الصّوفية،ومن أبرز تلامذته القشيري صاحب الرّسالة(375ه ـــ 465ه). وتنقّصَهُ شمس الدّين الذهبي(673ه- 748ه/1274م-1348م) ونعته بالقرمطة والكذب، وهما تهمتان خطيرتان إن سَلِمَ صاحبهما من القتل فإنّه لن يسلم من السّجن والجلد، ولكن هيهات، قال فيه:(وقد بلغت تآليف السّلمي ألْفَ جزء وحقائقه قرمطة،وما أظنّه يتعمّد الكذب، بل يروي عن محمّد بن عبد الله الرّازي الصّوفي، أباطيل وعن غيره)6. ويستوقفنا تعريف السُّلمي التّصوفَ،يقول:(التّصوف ملازمة الكتاب والسّنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والدّوام على الأوراد)7.أوردنا هذا القول علّنا نفهم سبب تأليفه هذه الرّسالة ، وسنزيد سببًا رئيسا هو في نظرنا الدّافع إلى تحريرها هذه الرّسالة ، فقد ذكرت المصادر أنّ السُّلمي صحب -حينما كان فتى- شيخ الملامتية أبو عثمان الحيري في نيسابور وأخذ عنه طريقته،و صار مقرّبًا منه وآثره الحيري على غيره، وقال فيه:» أبو عمرو خلفي من بعدي»8. وقال:» يلومني النّاس في هذا الفتى، وأنا لا أعرف على طريقته سواه»9. وفي ضوء مقول القول الأوّل والثّاني لا ريب أنّ السّلمي ملامتيًّا، وما دفاع عنه واختياره خلفا له إلاّ حجّة لا يطالها شكّ على أنّه ملامتيّ التّصوّف،إلاّ أنّنا حينما ننظر في الرّسالة نجد أثر الانتساب بيّنًا، فقد قسّم السّلمي أرباب العلوم والأحوال إلى ثلاث طبقات وضبط للملامتيّة خمسة وأربعين أصلا، وأمّا الطّبقات فهي:الطبقة الأولى وهُم علماء الشرع وأئمة الدّين، وقد وصف السّلمي الفقيه منهم بأنّه لا يخلط عمله برغبات النّفس في جمع شيء من متاع الدّنيا، ولا يستعمل علمه بالدّين للحصول على مكاسب وتحقيق مغانم، ولا يتلطّخ بالسّلطان وإلاّ سقط عنه الاقتداء. والطّبقة الثّانية هم الخواصّ أهل الله ،خصّهم الله بمعرفته، وقطعهم عمّا شغل غيرهم، فكانوا لله وبه وإليه،ظاهرهم مقيّد بسنن الشّرع، وباطنهم مشغول بالغيب. الطبقة الثّالثة « وهُم الذين لقّبوا بالملامتيّة، وهم الذين زيّن الله تعالى بواطنهم بأنواع الكرامات من القربة والزّلفى والاتّصال.. فلمّا تحقّقوا في الرّتب السّنية من الجمع والقربة والأنس والوصلة، غار الحقّ عليهم أن يجعلوا مكشوفين للخلق، فأظهر للخلق منهم ظواهرهم والاشتغال بأحكام الشّرع وأنواع الأدب وملازمة المعاملات فيسلم لهم حالهم مع الحقّ، وهذا من أسنى الأحوال ألا يُؤثَرَ الباطن على الظّاهر»10.و من أصولهم أنّهم اعتبروا التّزين بالعبادات شركا والتّزيّن بالأحوال في الباطن ارتدادا ، واتّهموا النّفس في الأحوال كلّها، وأنّ الأذكار أربعة ضروب، ذِكر باللّسان وذِكر بالقلب، وذِكر بالسّر وذِكرٌ بالرّوح،و نلاحظ عمق هذا التّقسيم الذي لا نجد له أثرًا في بعض الكتب الصّوفية، وإن وجدنا ذلك فلا يتجاوز صنفين من الذّكر، ذكرُ اللّسان، وذِكرُ القلبِ فقط. ولكلّ ذكر عند الملامتية آفة ، وأقلّ النّاس قيمة عند الملامتيّة من يريد أظهار ذِكْرِه إلى النّاس، طمعا في إقبالهم عليه بذلك أو بشيء منه،ويعتبرونه أخسّ الطّبع وأدونه11. واستخدم السّلمي هذه المفردات والّتي هي مصطلحات صوفيّة ملامتيّة، ورتّبها كالآتي :1الرّوح،2السّر،3القلب،4النّفس.واللاّفت أنّ القشيري في رسالته خالف أستاذه السّلمي بل إنّه خالف مشايخ الملامتيّة ،ورتّب هذه القوى ترتيبًا عجيبًا وحدّد مفاهيمها وضبط وظائف مدلولاتها، وهذا ينمّ عن تعمّق تجربته الذّوقية ويكشف ملامح بدايات نشأة جهاز مفاهيمي صوفيّ فَصَل بين المعنى والمدلول ، وأصّل القول في أسباب هذا التّرتيب ومقتضياته، وإنّنا نسجلّ سمات أفق صوفيّ مختلف ،يشدّ الباحث ليتأمّل الرّسالة القشيرية مقارنة بما قبلها من تآليف صوفيّة وما بعدها، وكان ترتيبه على هذا النّحو: 1السّر،2الرّوح،3القلب،4النّفس، وهي مقامات للتّرقي تنتهي بوصول السّالك إلى حال الرّوح أين تحصل له المكاشفة والمشاهدة. من أصولهم أيضا مخالفة لذّة الطّاعات اجتنابا لسمومها، وحُسن الظّن بالله لأنّه غاية المعرفة، وسوء الظّن بالنّفس فهي أصل المعرفة بها. ونلاحظ حضور النّفس الأمّارة بالسّوء والتّحذير منها.وتلتقي هذه أصول الرسالة الخمسة والأربعين في معنى مركزي هو الإخلاص، فالملامتيُّ حفيظ على سرّ الله يكتم في نفسه ما بينه وبين ربّه، ويتّقي إظهار الكرامة، هكذا تبدو الملامتيّة في رسالة السّلمي.فهل يمكن أن يكون معنى الملامتية غير مقتصر على صوفية نيسابور بالنّظر إلى أصول هذا الاتّجاه الصّوفي ؟ لعلّنا نجد الإجابة عند الشّيخ محي الدين بن عربي الذي رفع الملامتيّة إلى أرفع درجات الولاية ، ووسّع معناها وأطلقها من أسر فرقة نيسابور، فجعلها في كلّ مكان وزمان ، وعدّ نفسه واحدا منها12. ولكن هل يمكن اعتبار الأصول الخمسة والأربعين بمثابة المبادئ العامّة التي تحدّد معالم هذا الاتّجاه الملامتي، أم أنّها مجرّد فروع لعدد قليل من المبادئ ، خاصّة وأنّ الملامتيّين اعتمدوا المشافهة وسيلة لبثّ جوهر مسارهم الزّهدي واكتفوا بالآداب والصّفات ، وتركوا التّأليف؟ ولكن بماذا نفسرّ قول شيخ الطّائفة أبو القاسم الجنيد واصفا أحد شيوخ الملامتية أبا حفص النيسابوري، قال:(كان رجلا من أهل الحقائق ولو رأيته لاستغنيتُ، وقد تكلّم من غور بعيد)13؟

---

1 – القيامة، الآية2

2 – تفسير القرطبي ص 577.

3 – الذهبي(شمس الدين)،سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان،2004،ج13،ص54 .

4 – السلمي (أبو عبد الرحمان) ، رسالة الملامتية ، ص

5 –الجيلاني(عبد القادر)، الفيوضات الرّبانية في المآثر والأوراد القادريّة، ج إسماعيل بن السّيد،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي وأولاده بمصر، ص 34،[د ـ ط].

6 – الذهبي(شمس الدين)،سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان،2004،ج 17، ص 247.

7 – مص.س،ج 17، ص 247.

8 –السبكي،(تاج الدين)،طبقات الشافعية،هجر للطباعة والنّشروالتّوزيع،تح محمد الطناجي ومحمد الحلوط2، 1993م ،ج2 ،ص 189 .

9 – مص.س، ج2 ، ص 190 .

10 – العفيفي(أبو العلاء)،الملامتيّة والصّوفية،(رسالة الملامتيّة)للسّلمي، توجد في القسم الثّاني من الكتاب،أقلام عربية للنشر والتّوزيع ،2019،ص 85.

11 – ن. مص ، ص 100.

12 – بن عربي (محي الدين) الفتوحات المكية ، ج2 ص21، ج3 ص44 .

13 – البغدادي(الخطيب) ، تاريخ بغداد ، ج 12 ، ص 221 .

جدل فكري

في الجائزة وأوهامها*

محمد المثلوثي (كاتب)

قد يخدش الأمر النرجسية الشاعرية للمثقفين، لكن واقعة لا يمكن القفز عليها، حتى وإن فتحنا عينا وأغلقنا الأخريات، ومهما تسامينا عن «وسخ دار الدنيا»، وهي أن آليات التداول الثقافي تقع حتما ضمن دائرة أشمل: آليات التداول البضاعي.

وفي عالم المركنتيلية الساحر،يتأجج الوهم الليبرالي كلما كانت القوانين المنظمة لدنيا المنافسة عادلة وشفافة، كلما كانت «اللعبة» بسيطة القواعد (دعه يعمل، دعه يمر)، والربح فيها يعود للأجدر، للأكثر كفاءة في إدارة مواجهته اليومية للمنافسين. ولعل «التشكيك» الذي يطال هذه اللعبة يأتي كتشكيك، لا في اللعبة نفسها، بل في مدى احترام فاعليها للقواعد والقوانين.

نظام الجوائز، والجوائز الأدبية بالتخصيص، يقوم على نفس ذلك الوهم. فمدى مصداقية الجائزة يعود لمدى احترام «منظميها» لقواعد المنافسة. والربح «الشريف» يعود للعمل الأدبي «الأجدر».

وهكذا فكلما تم «تتويج» كتاب بجائزة يتوجه الكتاب والمثقفون الى التساؤل، لا عن نظام الجائزة بما هو لعبة ليبرالية، بل عن مدى مصداقية هذه الجائزة، عن مدى جدارة الكتاب الفائز بفوزه، ويبحثون عن «الأطراف» التي يمكن أن تكون قد وقفت وراء هذا التتويج، من مؤسسات سياسية ومالية ومن دور نشر...الخ.

طبعا فمثلما أن الليبرالية «النموذجية» تبقى من نحت خيال الاقتصاديين الرسميين، فإن نظام الجوائز الأدبية «المثالي» حيث لجنة التحكيم «محايدة» وصاحبة كفاءة أدبية عالية، وحيث ما من تأثيرات سياسية أو من لوبيات سوق النشر، وحيث «المؤسسة الراعية» راعية لوجه الله للأدب والأدباء،هو أيضا من نحت خيال المثقفين. وهكذا فإن احتجاجهم من حين لآخر، خاصة مع الإعلان عن نتائج مسابقة ما، يتعلق أساسا بشبهات، مؤكدة أو مفترضة، بانحراف الجائزة عن ذلك النظام النموذجي الذي ابتدعوه.

لكن لو نظرنا للأمر بعين تعوزها الرومنسية المتعففة ظاهرا، المتكالبة فعلا، فبمثل ما أن الوهم الليبرالي يصيغ الأفراد ويعيد صياغتهم يوميا لإدماجهم الطوعي في نظام المنافسة، وبالتالي تحويلهم الى ذرات فردية متنافسة، فإن نظام الجائزة يصيغ الكتاب والكتابة وفق ذلك الوهم الليبرالي بالذات. فطالما أن لا أحد يضع نظام المنافسة موضع السؤال تبقى كل التوترات، التشكيكات من هذا الطرف فيذاك، الاحتجاجات اللينة منها والراديكالية، تبقى ضمن دائرة نظام الجائزة نفسه، أي ضمن الوهم الليبرالي العام وقد تم سحبه على المجال الأدبي.

واذا كانت الجائزة الأدبية في العهود السابقة لليبراليتنا السعيدة تقوم في اطار مشخصن وعار من كل تنميق، حيث يقف السلطان أو الملك بصفته تلك ممثلا مباشرا لمصالحه السلطوية، فإن الجائزة الليبرالية تختفي خلف حجاب المنافسة النزيهة، ويختفي السلطان خلف مؤسسة خفية الاسم معلومة الأهداف التسويقية. واذا كانت الجائزة الأميرية تشترط بكل صفاقة أدبا فصيحا في تمجيدها العلني والمباشر، فإن نظام الجائزة الحديث يترك اشتراطاته الى مداولات سرية للجنة «محايدة» لا تجد حرجا في كونها الرابح الأول ماديا ورمزيا. ولا شك أن سلطان الأزمنة الغابرة، والتي لم تغبر بعد، صار مختفيا خلف مؤسسات سياسية أكثر حرفية وأبعد نظرا، وبذلك صارت عملية صياغة سياق الكتابة أمرا مكتوما، بتواطئ ضمني في الغالب، وحيث يتم توجيه الكتابة الى هذه الوجهة أو تلك لا بإكراه خارجي بل بآلية مستبطنة.

لكن أصابع أخطبوط الجائزة لا تلتف حول الكتابة فحسب، بل إنها توقع في حبائلها القراءة أيضا. وبمثل ما أن الشركات التجارية تتسابق للحصول على شهادة «ايزو» لطمأنة ضمائر الحرفاء المتشككة، فإن إشارة من نوع «حائز على جائزة...» فوق غلاف كتاب كافية لحسم أمر القراءة، لا من حيث الشراء فحسب، بل من حيث اخماد أية نعرة نقدية ممكنة لدى القارئ. لتصبح بذلك الجائزة الواسطة التي يكتب عبرها الكاتب ويقرأ القارئ بدون اكراهات مصطنعة، طالما أنها كيفت مسبقا سياق التداول الثقافي ضمن السياق الأشمل للتداول البضاعي.

وما من شك فتكييف النشاط الإبداعي ضمن دائرة المنافسة الليبرالية المعممة، إضافة لكونه يضرب في العمق أهم سمة ثورية وهدامة للإبداع بما هو نشاط حر ضد وخارج دائرة العمل المغترب، فإنه يجعل من هذا النشاط الفني مجرد أيديولوجية متسامية للنظام الاجتماعي السائد، بل يجعل من سيادته الاجتماعية أكثر تواريا وخفاء، بحيث يصوغ وعيا جمعيا عميقا يستبطن المنافسة، وقيم السوق، وكل أساطير الخلاص الفردي.

طبعا فنظام الجائزة المحلي عندنا قليلا ما يرتفع حتى الى مستوى الليبرالية، لأنه ببساطة لا يزال نظاما أميريا محتكرا ضمن لوبيات المصالح الثقافية كما ضمن الرهانات السياسية في أكثر أشكالها ابتذالا.

الجائزة ليست رشوة، إنها أخطر، هي تصيغ أدبا على صورتها

* هذا تحريض على التفكير خال من كل دهون تصفية الحسابات المركنتيلية

من الأخطار المحدقة بالوجود الاجتماعيّ

النّكوصُ الحضاريُّ

منصور الشّتويّ (باحث ومتفقد عام للتعليم الثانوي)

النّكوصُ، في علم النّفسِ التحليليّ، حيلةٌ نفسيّةٌ لا شعوريّة (غير واعية) يلجأ بها الفرد إلى مرحلة عمريّة سابقة أو طور قديم من أطوار تكوّن شخصيّته. ويكون هذا اللّجوء، أو الهرب، في مواجهة إحباط يعانيه في الرّاهن ولا يجد له حلّا فيبحث في ماضيه القريب أو البعيد عمّا يعوّض عجزه من نجاح ولو كان بسيطا أو وهميّا. وهو في كلّ هذا يبحث عن الإحساس بالأمان هربا من الاضطراب واختلال التوازن اللّذين يعانيهما في الواقع. وترتبط حدّة هذا النّكوص بتكوين الفرد الذّهنيّ من جهة وبدرجة تعقّد الواقع الّذي يواجهه من جهة أخرى.

لكنّ هذا النّكوص، هذا الهرب أو اللّجوء، لا يخصّ الأفراد في حياتهم الشّخصيّة فحسب بل تعيشه المجتمعات والشّعوب أيضا بدرجات متفاوتة وبحدّة متفاوتة ويعقُب عادة هزيمةً أو عدوانا أو استعمارا أو استبدادا داخليّا أو يعقبها جميعا إن اجتمعت كلّها على المجتمع. فكما يلجأ الفرد، حين يعيش إحباطا من الواقع، إلى مرحلة عمريّة مّا لتُؤويه ويشعر فيها بالأمان، ينكُص المجتمع، أو مجموعة أفراد فيه أو جماعات محدودة، لجوءا إلى حقبة مّا أو طور مّا من أطوار التكوّن التاريخيّ بحثا عن الأمان النفسيّ والحضاريّ هربا من الإحباط الذي يسبّبه عجزٌ عن تغيير الواقع نحو الأفضل أو عن التأقلم مع مشكلاته المعقّدة. وهذا هو «النّكوص الحضاريّ». وهو من أخطر المظاهر الدالّة على بلوغ الواقع الاجتماعيّ أشدّ حالات التّدهور والتّعقيد حتّى أنّ عددا غير قليل من أبناء المجتمع قد يعيشون حالة نكوص نحو أطوار أبعدَ فأبعدَ في الماضي السحيق بحثا عن طمأنينة ولو وهميّة. فمنهم من يلجأ إلى الطّور القبليّ ومنهم من يلجأ إلى الطور العشائريّ أو الأسريّ. ولا يكون الارتباط بهذه المستويات من التّطوّر الاجتماعيّ وهذه الأطوار حالة نكوص إلّا إذا اقترن بعداء للأطوار الأعلى. فيتمسّك الأفراد، أو المجموعات، بالطور القبليّ أو العشائريّ في مقابل العداء الصّريح لطور الأمّة عداءً يتجلّى في مظاهر متنوّعة كأن تُعادَى اللغة المشتركة أو يُمزّق الرابط الثقافيّ الموحّد وصولا إلى تمزيق الأرض الواحدة إلخ. وبهذا يتحوّل هذا النّكوص الحضاريّ من كونه نتيجة لمشكلة «تخلّف» معقّدة إلى كونه جزءا من مشكلة جديدة تعيق حلّ مشكلات التّنمية أي تعيق استئناف الحركة الجدليّة نحو المستقبل أي نحو تطوير المجتمع بل يصبح خطرا وعدوانا على المجتمع ذاته. ولا شكّ أنّ كلّا منّا يرى حوله مظهرا أو أكثر من مظاهر هذا النّكوص الحضاريّ الّذي يمثّل دليلا قويّا على الخطر الـمُحدق بوجود مجتمعنا ذاته وليس بتطوّره فحسب.

نقول كلّ هذا ونحن نعلم أنّ النّكوص الحضاريّ كالنّكوص الفرديّ حالة لاشعوريّة (غير واعية) يعيشها الإنسان الفرد أو المجموعة دون إدراك لها. غير أنّ هناك اليوم من يدرك ذلك فيحاول توظيف هذه المشكلة النفسيّة الاجتماعيّة ويوهم النّاكصين، بوسائل وآليّات دعائيّة دقيقة عالية التأثير وتقنيات برمجة ذهنيّة معقّدة، أنّهم في وضع سويّ وأنّهم واعون مناضلون من أجل حقّ. فتتكوّن الجمعيّات والهيئات «المدافعة» عن تلك «المطالب المشروعة». وقد يلتبس الأمر على الرائي لأنّ أصحاب هذه الدعايات يرفعون أنبل الشعارات. غير أنّ المؤشّر الذي أشرنا إليه سابقا هو الذي يساعدنا على تمييز الحقّ من العدوان. ذاك المؤشّر هو موقف هؤلاء من الطّور الجديد الّذي بلغه المجتمع. فالنّاكصون الموظّفون في العدوان سيظهرون عداءهم لطور الأمّة وفي المقابل لا عداء لديهم للاستعمار ولا لتجزئة المجتمع ولا للحركات العنصريّة العالميّة. نقول هذا حتّى لا تشتبه علينا الخيوط.

واضح، إذن، أنّ هذا النّكوص الحضاريّ، كنكوص الفرد، ليس حالة سويّة ولا موقفا سليما من مشكلات الواقع. ذلك أنّ عمر الإنسان لا يسير إلى الوراء فلا يعود طفلا بعدما صار كهلا، وكذلك أطوارُ المجتمع لا تعود القهقرى. فلا ترجع القبيلة أسَرا ولا الشعوبُ ولا الأممُ قبائلَ. وذلك الرجوع إلى الوراء لا يكون إلّا بعدوان خارجيّ (تمزيق) أو بعدوان داخليّ (تجزئة). وهو في الحالين ضدّ حركة التّاريخ. ولذا فلا يمكن أن نعتمد آراء النّاكصين في البحث عن حلول للواقع. فلا يمكن أن يكون الحلّ هو التقهقر إلى الأطوار السّابقة أوّلا لأنّ هذا يصبح مستحيلا بعد بلوغ الطور الاجتماعيّ الجديد وثانيا لأنّ في تلك الحلول تمزيقا لروابط ثقافيّة واجتماعيّة كوّنها التاريخ فعلا وهذا التمزيق شبيه بتمزيق الجسد الواحد الذي ترابطت أعضاؤه بعروق وشرايين وأعصاب وخلايا إلخ. إنّه قتل للجسم الاجتماعيّ الذي تكوّن بالتاريخ واستوعب الأطوار السابقة وأدمجها في كيان جديد هو ذاته سيبلغ مرحلة أرقى منه حين يستنفد الناسُ إمكاناته في حلّ مشكلاتهم وهكذا في حركة لا نهائيّة نحو مستقبل جديد. وهذا النموّ في الأطوار الاجتماعيّة محكوم بأنّ الطور الأعلى إضافة إلى الطور الأدنى وليس انتقاصا منه ولا عدوانا عليه بل إنّ الطور الأعلى يرث خصائص من الأطوار التي سبقته ويضيف إليها من المشترك الاجتماعيّ الجديد.

إنّ آراء النّاكصين، إذن، ليست حلولا لمشكلات الواقع بل هي ناقوس خطر يجب أن يحرّك الواعين نحو حركة سريعة لحلّ أولى مشكلات الواقع التي لا تحتاج استفتاء شعبيّا: إنّها مشكلات العجز عن تطوير الواقع بالقدرات الحقيقيّة للمجتمع، وهذه المشكلات هي التي يسمّيها الاقتصاد السياسيّ «مشكلات التخلّف». فكما أنّنا لا نستفتي النّاكصَ الفرد إن كان يرغب في البقاء في طور النّكوص أم لا، فإنّنا لا يمكن أن نستفتي الناكصين الحضاريّين في ما إذا كانوا راغبين في وحدة المجتمع أم لا. ثمّ إنّ المعروف أنّ حالة النّكوص لدى الفرد إن استمرّت ولم تُعالج عادة ما تنتهي إلى اكتئاب حادّ وهو الحالة الذهنيّة الوحيدة التي أثبت العلم أنّها تؤدّي فعلا إلى الانتحار. إنّ القبول بهذا النّكوص كما لو كان موقفا سويّا سيؤدّي حتما، إذن، إلى «اكتئاب حضاريّ حادّ» نتيجتُه الحتميّة «انتحار حضاريّ» لأنّه ضدّ حركة التّاريخ المتقدّمة حتما نحو المستقبل. وحين نضيف، ما أضفنا سابقا، أنّ هناك «أياديَ» تستثمر هذا النّكوصَ نفهم درجة الخطر المُحدق بالمجتمع.

رواية «خبايا الرماد» للكاتب الفلسطيني جهاد الرنتيسي

نبيل درغوث

يثابر الكاتب الفلسطيني جهاد الرنتيسي على مواصلة كتابة رباعيته الروائية التي تحكي ملحمة تغريبة الفلسطيني بالكويت في بدايات الخمسينات من القرن الماضي والتاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي الفلسطيني المعاصر المسكوت عنه والمصاعب المعيشية وخيبات الفلسطيني في نخبته السياسية وانكساراته النفسية, بعد الجزء الأول من الرباعية رواية «بقايا رغوة» يطلّ علينا الكاتب بالرواية الثانية الموسومة ب»خبايا الرماد» (دار البيروني للنشر والتوزيع الأردن-عمّان 2023).

في هذا المقال السريع لن أتناول الجانب المضموني للرواية بل سأعرج على جانبها الفني من خلال تناول فنيات الوصف في «خبايا الرماد».

«خبايا الرماد» والوصف البصري

الوصف في المعجم العربي هو التجسيد والإبراز والإظهار. والوصف ملازم لكل الأجناس السردية إذ يقول الناقد الفرنسي جيرا جينات: «فليس ثمة عمل سردي خال تماما من البعد الوصفي». فالوصف أداة أساسية في القص إذ ينقل السرد الأحداث أما الوصف فموكول إليه تقديم الأشياء والشخصيات. وللوصف أهمية خاصة في تأثيره في المتقبل باعتباره أداة إيهام بالواقعية.

وهذا ما بدا لي من خلال قراءتي لرواية «خبايا الرماد» للكاتب الفلسطيني جهاد الرنتيسي فالوصف في كتابته مكون أساسي من مكونات السرد

أنصّ على هذا المقطع كمثال:

«بين باب الفندق والرصيف المقابل للمقاهي درج حجري لم يألفه بعد، يكور كفيه الى قبضتين، يضعهما في جيبي سترته الجلدية، ينزل الدرجات حذرا من المفاجآت، يلازمه حذره مع عبوره شارع الهاشمي الى الجانب الآخر، يغويه لمعان أشعة الشمس على الماء المتسرب من بقايا كتل جليد تذوب على الرصيف، يحكم الأزرار العلوية من سترته بعد نسمة باردة تلفح المكشوف من صدره، يحاول عبثا تفادي مجريي ماء رفيعين بتوسيع خطوته».

قد تراوح الوصف البصري بين نقل صورة المكان والأشياء. وهذه الموصوفات صورت بجزئيتها الدقيقة عبر عين الراوي الذي بدوره نقلها للقارئ مضخما إياها تضخيما متعمدا. هذا الوصف لا يخفي استنارته بتقنيات عدسة «الكاميرا» التي تستعمل في هذا المشهد تقنية «اللقطة العامة» التي تقدم مجموعة صور مسترسلة تصورها الكاميرا مرة واحدة في ديكور واحد. فعبر هذه التقنية المسماة «الكاميرا القلم» نقل الرنتيسي بعض المشاهد بلغة سينمائية من خلال تركيزه على تقنيات «عدسية». لالتقاط مواضيع الوصف. وهذا الرسم باللغة وبالكلمات يمكّن القارئ من متابعة المشاهد وكأنها صورة بصرية فلذلك الوصف هو أداة التمثيل الرئيسية الذي لا يمكن أن يؤديه السرد.

جهاد الرنتيسي

إن حسن توظيف جهاد الرنتيسي لفنيات وجماليات الكتابة الروائية يدل عن وعيه وإحكامه المسك والتلاعب بخيوط السرد في «خبايا الرماد». مؤكدا مقولة الروائي ماريو بارغس يوسا: «في كل رواية يكون الشّكل –أي الأسلوب الذي تكتب به وترتيب ظهور الأحداث المسرودة- هو ما يحدّد ثراء وعمق حكايتها».

أربعينية فقيد الجامعة التونسية الأستاذ عبد الفتّاح براهم

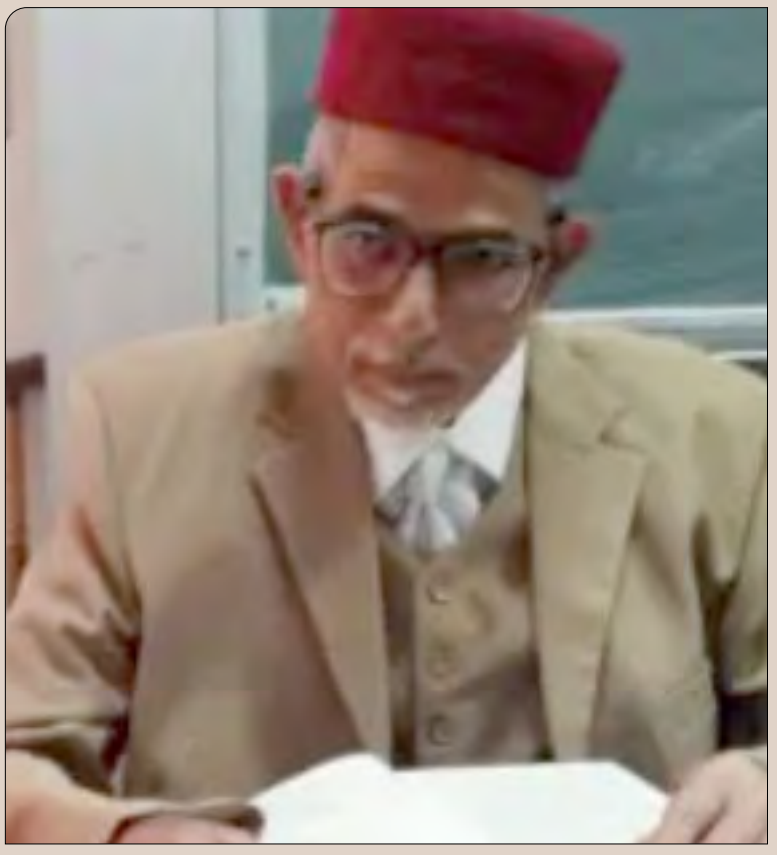

احتضنت دار الثقافة حمّام سوسة مساء يوم السبت 4 جوان الجاري أربعينية فقيد الجامعة التونسية الأستاذ عبد الفتاح إبراهم الباحث المتميّز في اللسانيات وعلوم الدلالة، وصاحب المساهمات الرائدة في النقد وتحليل الخطاب، أيضا المترجم البارع الذي ترجم كتبا ومصار مرجعية مهمّة في مباحث اللغة والدلالة والعلوم اللسانية. وقد أصدر المعهد الوطني للترجمة، عددا مهمّا منها. أيضا عرف الأستاذ عبد الفتّاح براهم بكونه ذوّاقا للفنّ في مجال الرسم والتصوير والموسيقى، بل مارس فنّ الصورة والتقاط المشاهد الجميلة والمعبّرة.

وقد تولّى الأستاذ رفيق بن حمودة تنسيق عقد هذه الأربعينية التي حضرها وشارك فيها جمع مهمّ من الأساتذة؛ على الأخصّ منهم الأستاذة زهية جويرو مديرة معهد تونس للترجمة، والعميد السابق لكلية الآداب والفنون منوبة الأستاذ عبد السلام العيساوي، أيضا عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان الأستاذ رضوان البريكي، كذلك عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سوسة الأستاذ كمال جرفال. وأسماء جامعية أخرى عرفت بوفائها وتقديرها للأستاذ عبد الفتاح إبراهم ولعلمه، مثل الأستاذ جميل بن علي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة والأستاذة منانة، كلية الآداب القيروان...

د. محمد الكحلاوي

خطاب الهامش والمهمّش في رواية «نيّرة» لكلثوم عياشية

عبد الله المتقي

بين يدي نص روائي لليافعين، صدر مؤخرا عن « دار خريف للنشر « للروائية التونسية كلثوم عياشية، اختارت له «نيرة» عنوانا رئيسيا، لينضاف إلى روايتها للكبار « مدن ولا سراويل « والحائزة على جائزة توفيق بكار في دورتها الأولى .

ولا يسع المتتبع للمشهد الثقافي التونسي إلا أن يثمن هذه السيولة في تونس لقصص وروايات اليافعين، والاهتمام بها من قبل المبدعين، ودور النشر التي لا تتردد في نشر هذا النوع من الكتابة، إضافة إلى حصول بعض العناوين على جوائز عربية .

تلج قصة «نيّرة» في الفجوات المسكوت عنها، والقضايا الأكثر سخونة وحساسية، فتغوص في عمق جراح القطة «نيرة»، وتختزل واقعها المرير الذي تعيشه في نفق من التقاليد، بين أحضان مجتمع مازال يتخبط في دوامة الجهل وأشكال التمييز، بسبب لونها الأسود .

والمتصدي لقراءة ومقاربة هذا النص القصصي لليافعين، يجده أمام دهشة ومتعة غلافه، فالدفة الأولى للغلاف تعرفنا على اسم الكاتبة « كلثوم عياشية» منتجة قصصية، ثم العنوان الرئيسي ، نيرة» الذي جاء مكتوبا بخط كبير بارز وبلون أبيض بقصد إثارة انتبته القارئ، واسما علم مؤنث يشير إلى الضياء والنور عكس العتمة.

وبخصوص صورة الغلاف نلفي قطة سوداء، تمثل نصا بصريا حالكا تساوقا مع لون الغلاف، مما يجعل القارئ أمام طباق يجسده الأبيض المنير الذي يحيل عليه اسم القطة « نيرة» ، والسواد الذي يمثل الشر (السلطة الاجتماعية والمُهمِّش) ، وهذا من شأنه إنجاب لإفشاء سر النص ل وتفاقم الفضول لدى المتلقي، ومن ثم، إثارة اشتهائه السردي .

تأخذ رواية « نيرة « جملة من دوائر الحكي يمكن تتبعها كالتالي :

الدائرة الأولى : عبارة عن حدث صغير يتجلى في استجداء «سحر» لأمها باكية للإبقاء على القطة داخل البيت بدل الاستغناء عنها بسبب لونها الأسود، بالرغم من استغرابها ومحاولة إقناع أمها .

الدائرة الثانية: مغادرة « نيرة « بعد تهديدها بمكنسة الأم ولجوؤها إلى ساحة إحدى المدارس وتعاطف الحارس معها، وبعدها معاناتها من العطش والفراغ

الدائرة الثالثة: إنقاذ القطة « نيرة « وتحولها للعيش في كنف السيدة ولتصبح مركز اهتمامها بالرغم من معارضة الزوج وتوتره وتشاؤمه من لونها الأسود .

الدائرة الرابعة : زيارة الطبيب البيطري، والاهتمام بمخاضها، وحتى أثناء الوضع

الدائرة الخامسة : توتر العلاقة بين « نيرة» وجارة السيدة وابنها ، وتشريد تخلص الزوج من « نيرة « وأطفالها ليعيشوا حياة صادمة ومختلفة

6الدائرة السادسة : أوبتها لبيت السيدة والاحتفاء بها

إن سرد هذه الدوائر الحكائية يتم عبر ضمير المتكلم الفردي، حيث منحت القطة « نيرة « كامل الحرية لتحكي عن نفسها بضمير الأنا، وتعبر عن تجاربها وعاشتها للأحداث .

وبعد الاقتراب من هذه الدوائر الحكائية للقصة، نلاحظ هيمنة ضمير المتكلم الفردي ، كما يمكن القول إن القصة كانت جريئة في تعرية ومناهضة أشكال التمييز والتصنيفات القبلية المختلفة، وهذا دور تنويري يحسب لها ، خاصة أن التمييز في اللون مازال ساريا في أوساطنا، كما تفجر مجددا حتى ضد المواطنين من أصول إفريقية، وأقلية هائلة من تنظر في المرايا لتكتشف ندوب هذا السلوك العنصري في محيطه.

وعليه، تحضر «نيرة « القطة السوداء بصفتها شخصية رئيسة في القصة ، بحيث أتيح لها التعبير بانفعال عن رفضها وعن موقفها من المجتمع الذي يهمشها بسبب لونها ، نقرأ في الصفحة الأخيرة مقولها عن زوج السيدة : « إذا حسب لوني رمزا للنحس فعلام يركب سيارته السوداء الفارهة بفخر، ويخشى عليها فيحرص على سلامتها «، ونقرأ أيضا لـ«نيرة» : «ألا يمكن أن يكون الشر أبيض أو برتقاليا أو أزرق أو أخضر ؟ هل للشر لون ؟»

كما تحضر شخصيات أخرى انقسمت إلى شخصيات مساندة ومخترقة لأسيجة الذوق التي نصبها المجتمع لحماية خرافاته وأوهامه، كشخصية «سحر»، نقرأ في الصفحة الثامنة :

«قالت سحر :

كم أجد حديثك عجبا، هو مجرد قط صغير كغيره من القطط !

لا ! هو قط أسود، أنهت الأم الحديث في حسم :» إما أن تخرجيه أو أتكفل بذلك «

وكشخصية السيدة التي تكفلت ب»نيرة « بعد العثور عليها وعاملتها برأفة، ويتجسد هذا السلوك الإنساني والحضاري في الانتصار لها ضد انفعالات الأب، والأكثر منه، زيارة البيطري اهتماما بمخاضها :

« قالت الأم يوما :

لا بد أن نحمل « نيرة إلى البيطري، قد تحظى قريبا بأول أطفالها !»

كما تحضر شخصيات أخرى متوترة ومتطيرة من السواد درجة أ سطرته كشخصية زوج السيدة :» لم تجدي سوى هذا الأسود من بين الحيوانات التي سيتعلمان منها المسؤولية ؟ يا للاختيار!» ص 16، وشخصية جارة السيدة التي لا يمكن أن ننسى شؤمها من الكلاب والقطط السوداء ، نقرأ في حوار لها مع ابنها :

« استوضحها في استغراب :

جني ؟ !

نعم !

يلبس الجني الشرير الحيوان، فيظهر في الكلاب والقطط السوداء « ص : 389

هذ الدونية والتعنيف للقطة « نيرة « اقتضى لغته التمييزية والجارحة التي تمثلها السلطة التي تمارس تهميشها، وهي هنا السلطة الاجتماعية بالدرجة الأولى، لغة خرافية ونابية تخدش الكرامة، وتكسر لغة الرأفة بالحيوانات الأليفة التي تواضع عليها المجتمع، من قبيل :

« لا هو قط أسود «ص

« مايزال هذا المشؤوم هنا « ص10

هذا فضلاً عن البيئة المكانية وعنفها وتجسدها أوبة « نيرة « للخلاء الذي يشبه الجحيم ومختلف عن رفاهة بيت « السيدة « :» ذات صباح، خرجت من قناة متروكة اندسست في جوفها مع قطط أخرى اتقاء الحر والغبار» ص 53

وبقي أن نشير أن لسان القطة – البطلة « نيرة « يهمين على المحكي القصصي، التي تؤدّي دور البشر مع الحفاظ على خصائصها الحيوانية مما يثر ذهن المتلقي كي يعتقد أنّ الحيوان هو إنسان في الحقيقة، حيث تعزى أغلبية الأفعال والأقوال إليها، قناعاً يشفّ عمّا وراءه، ورمزاً يومئ إلى المرموز إليه، وما ينطوي عليه من غايات أخلاقية ودروس اجتماعية وتربوية ومضامين ناقدة بطريقة الرمز والتلميح .

وتبعا لما سبق، تحمل قصة « نيرة « حدثا يتكرر دائما يجسده التطير من اللون الأسود ، مما يستوجب التدخل بقصد الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي، وتفنيد كل الخرافات المنتصرة لهذا التمييز في الألوان، إذ لكل الألوان جماليتها ونكتها، وبمجموعها وجوه متعددة لوجه واحد، نقرأ على لسان « نيرة : في قفلة القصة :» لا يمكن أن للشر أن يكون أبيض أو برتقاليا أو أزرق أو أخضر ؟ هل للشر لون «

كلثوم عياشية

ومثلما تباينت مستويات المعالجة، تباينت الأهداف والرسائل التربوية الموجهة للناشئين في الرواية :

تحفيزهم على القراءة وخلق ألفة بينهم والكتاب .

تسليتهم عبر غرس مجموعة من القيم والمبادئ الخلقية السليمة التي تساهم في تربيته

تعريفهم بمختلف المواقف وتتبعها والتأمل في معانيها، بغاية تمرينهم على الحوار الديمقراطي وإبداء الرأي

إيقاظ انتباههم لفيروس الخرافات والأوهام التي مازالت تعشش في بعض العقول

إكسابهم الكثير من المعلومات عن عالم القطط

إثارة انتباههم لعنصرية اللون من اللون أساس الشرور والأوهام لدى البشر .

بث العواطف النبيلة، وطبع الخلق الفاضل، وغرس نزعات كريمة في نفسياتهم

وبخصوص الاختيارات اللغوية جاء التركيب اللغوي في القصة كلمات عربية فصيحة، بعيدا عن الصعوبة والغرابة حتى يتأثر القارئ بما هو سليم وفصيح، أما الجمل فقصيرة لأن اليافع غالبا ما يستعجل التعرف على ما سيحدث لاحقا وقد أجادت الكاتبة توظيف جملها البسيطة مما يخدم روايتها ،وفي المقابل نجد جملا طويلة أحيانا كان السياق في حاجة إلى ذلك .

هذا علاوة على مد التركيب القارئ بمفردات جديدة تغني قاموسه اللغوية، وهذا ما نسجله في تذييل الكاتبة بعض الصفحات بشرح لبعض الكلمات وشرح معانيها .

وختاما، لا يسعنا سوى القول إن كلثوم عياشية وهي تكتب قصتها « نيرة «، كانت أشبه بطباخة ماهرة، وعالمة بمقادير توابلها، ومن ثمة كان وجبتها القصصية لذيذة وبسيطة، بيد أنها بساطة أليمة وبالغة الجرح، مما أعطى بعدا جماليا للمحكي وانزاحت به إلى الجدية والجرأة في طرح تيمة اللون والتمييز والتهميش التي لا نقرأها سوى في القصص الموجهة للكبار.

هويّة السّرد في أقاصيص "طرائد الذّاكرة" للمنذر العيني: جدل التّأصيل والتّحديث

سمير بية الشطي

إنّ ما حفّز اهتمامنا بأقاصيص هذه المجموعة القصصيّة هو ما لمسناه فيها من تنوّع داخل النّسيج السّرديّ الذي أنشاه السّارد وذلك انطلاقا من علاقة تفاعليّة بين المتن والمبنى أي بين المحتوى والخطاب، ولعلّ في توظيف الخطاب بآلياته المختلفة لاستقصاء الدّلالة من المحتوى ما يجعلنا نضيء بعض الجوانب الفنيّة في هذه المجموعة القصصيّة وعليْه جاءتْ مقاربتنا لأقاصيصها متتبّعة لمظاهر التّأصيل القصصيّ إضافة إلى مظاهر التّحديث فيها. وهو ما يفرض على القارئ- شأنه شأن الكاتب- أن يتسلّح بجملة من المعارف التي قد تعينه على تمهيد الطريق إلى الكشف عن هويّة السّرد بما هو محتوى/دلالة وخطاب/مبنى، لا يفوتنا هنا أن ننبّه إلى أنّ الفصل بين المبنى والمعنى إجرائيّ لا أكثر. فلا يمكن الحديث عن أحدهما في غياب الآخر، فأقاصيص هذه المجموعة لا يسعها أن تكتسب بناءها الخاص بانفصاله عن معناها. كما أنّ أصالة القصّ وحداثته صنوان لإبداع قصصيّ مميّز اختاره الكاتب منذر العيني لمجموعته فأداره وأجراه كما شاء وقدّر. فكيف انبنى عالم السّرد في هذه المجموعة؟ ما أوجه تفرّد العالم القصصيّ فيها؟

آليات اشتغال الخطاب القصصيّ:

1 - العنوان:

لا يختلف إثنان عن أهميّة العنوان فهو مفتاح القارئ للولوج إلى النصّ وعوالمه، وقد صار يحتلّ موقعا هامّا وبارزا بما فيه من طاقة تكثيفيّة وقدرة اختزاليّة لما سيرد في متن القصّة، ومن هنا صار العنوان المنتقى محمّلا بأبعاد دلاليّة تستدعي من النّاظر مساءلة وتأويلا لا يقلّان قيمة عن مساءلة المتن ذاته فطالما أنّ العنوان متصدّر الخطاب محتلّ موقعا بارزا من فضاء الصّفحة فهو جزء عضويّ من النصّ وعنصر قائم الذّات قابل للاستقراء والتّفكيك1

وهو ما لاحظناه في عنواين أقاصيص هذه المجموعة القصصيّة انطلاقا من عنوانها الرّئيس»طرائد الذّاكرة" فهي تتنزّل ضمن علاقة عضويّة توثّق الصّلة بينها وبين المحتوى، فالعنوان بما فيه من شحنة إيحائيّة واختزاليّة يسعى الكاتب الذي هو على درجة كبرى من الوعي بذلك من خلاله إلى التّلميح إلى خطوط النّصّ الكبرى وقد نجح الكاتب منذر العيني في الذّهاب بالعنوان إلى أقصى درجات الاختزال فحوّله إلى بؤرة كبرى لمجموعة من الدّلالات المركزيّة في متن القصّة. فالعنوان هو سؤال القصّة الأهمّ ومدخلها الأجلّ لتلمّس معالم النّسيج القصصي في هذه الأقاصيص والغوص في دلالاتها العميقة. وبما أنّ اختيار العنوان هو مهمّة الكاتب الأولى فقد يختار عنوانا جامعا مكثّفا أو عنوان إحدى الأقاصيص الأثيرة لديْه ليجعله عنوانا للمجموعة. ففي هذه المجموعة التي بين أيدينا اختار الكاتب عنوانا جامعا"طرائد الذّاكرة» وهو مركّب إضافيّ تكوّن من عبارة «طرائد» مضاف وعبارة «الذّاكرة» مضاف إليْه، هذا العنوان بدا طريفا غير مألوف وهو ما يخفّز القارئ على مساءلته واستقرائه بحثا في دلالاته واستقصاء لمضامينه عبر العالم القصصيّ المكوّن لأقاصيص المجموعة. وقبل أن ننْحُوَ نحوَ استحضار الدّلالة سننطلق من بناء العناوين في هذه المجموعة.

المنذر العيني

أ- بنية العنوان التركيبيّة:

العناوين المركّبة	العناوين المفردة
عنوان المجموعة+ 12أقصوصة=13	13أقصوصة

أردت الانطلاق من هذا الجدول لاستقراء اعتماد الكاتب على هذا الاختيار الذي جاء متوازنا بين العناوين المركّبة والعناوين المفردة، وهنا علينا أن نقف على ما وراء هذا الاختيار، فبما أنّ العنوان هو العلامة الكبرى للنصّ فالكاتب وظّف قدرة هذه العلامة على الاختزال والرّمز والإيحاء ليستفزّ حواسّ المتلقّي لفكّ شفرة العنوان من خلال متن القصّة، فطرائد الذّاكرة عنوان مختلف صادمٌ فالمضاف(طرائد) محسوس جمع لعبارة طريدة أمّا المضاف إليْه(الذّاكرة) فهو مجرّد وهنا تنشأ علاقة قائمة على المجاز وهذا يعمّق حيرة القارئ ويضاعف مساءلته لأقاصيص هذه المجموعة. فهل هي ذاكرة الكاتب تطارد قصصها الهاربة في الزّمان والمكان؟ هل هي ذاكرة الشّخصيّات التي بدت فاعلة في عوالم القصّ في هذه المجموعة؟ وبالنّظر في عناوين الأقاصيص نلاحظ أنّ العناوين ذات الصيغة المفردة وردتْ في أغلبها معرفة بالألف واللام ماعدا أقصوصتين»عياء» و»رسوب» للقارئ هنا أن يتساءل عن وظيفة هذا الاستعمال وبهذا الشّكل، أمّا في الأقاصيص ذات العناوين المركّبة فقد توزعت بين مركبات نعتيّة مثل(يوم أزرق/ عزلة مأهولة/بحث مستمرّ/الوليّ الصّالح/فيلم قصير/عزاء وارف/) ومركّبات إضافيّة مثل(مساء المدينة/حفرة الحبس/ رائحة الميّت/ساعة الطّلق/حكمة السيّدة الأولى)وهذا يقودنا إلى النّظر في وظيفة استعمال العناوين بهذا التوزيع.

ب- وظيفة العناوين في المجموعة:

إنّ العناوين في هذه المجموعة بشكليْها التّركيبيّيْن تشترك في سمة وهي الاسميّة وهنا يندرج الكاتب منذر العيني في تأصيل نصّه منذ علامته الأولى(العنوان) ضمن سلطة القصّ التّقليدي وهذا ليس استنقاصا بل استجابة واختيارا منه لشروط النّمط، يقول النّاقد محمّد عويس في كتابه»العنوان في الأدب العربي النّشأة والتّطوّر»:إذا كان العنوان سمة الشيء فإنّه إلى الاسميّة تابع غلبت عليه لتمكّنها في الدّلالة على معنى الشيء وقيمته وغلبة الاسميّة على العنوان غلبة تؤكّدها نظرة اللّغة إلى دلالة الاسم»2

ولعلّ أهمّ وظيفة استدعاها الكاتب منذ عنوان المجموعة «طرائد الذّاكرة» هيّ الوظيفة الإغرائيّة فالعنوان بدا مغريا للقارئ بما يحمله من كثافة معنويّة وما يختزله من عمق دلاليّ، وهذا يجعل المتلقّي يسارع إلى البحث في محتوى الأقاصيص الذي بإمكانه كشف هذا الغموض وإماطة اللّثام عن معناه من خلال تنزيل العنوان في سياق النّصّ العامّ. وهذه الوظيفة تتأكّد أكثر من خلال عنواين الأقاصيص، فعنوان مثل «الثّأر» بهذا التّعريف وبما يحمله من شحنة دلاليّة حتما تجعل القارئ يتساءل عن ماهيّته وظروفه وأسبابه إلى غير ذلك، أمّا في عنوان»عزلة مأهولة» لنا أن نسأل كيف تكون العزلة مأهولة؟ ولماذا جمع الكاتب بين نقيضيْن؟ أو عنوان»العودة من حافة الانقراض» عن أيّ انقراض يتحدّث الكاتب؟ وهل للانقراض حافة؟ كلّها أسئلة لابدّ للقارئ أن يعثر لإجابات عنها في النصّ.

أمّا الوظيفة التي قد نستشفّها من العناوين

1 – Gérard Genette,Seuils,op,cit,p.88.

2 –محمد عويس،العنوان في الأدب العربي النّشأة والتّطوّر

المعرّفة بالألف واللاّم وفي التّعريف تخصيص وتعيين لمعرّف في ذاته (شخصيّة: الخزّاف، أو شيء: الموقد، أو موضوع:الثّأر، الفُراق...) وتوجيه للقارئ نحو مركزيّة يقوم عليها السّرد في متن القصّة فهي الوظيفة التّوجيهيّة ولا تنتفي هذه الوظيفة عن العناوين التي وردت نكرة(عياء، رسوب) لكنّ مجال التّأويل فيها أوسع من العناوين المعرّفة.

استنتاج:

نستنتج من خلال ما تقدّم أنّ الكاتب منذر العيني من خلال مبحث العنوان كان واعيا في اختياراته فقد استطاع أن يوازن بين عناوين مجموعته على المستوى التركيبي والوظيفي ليكون بذلك مؤصّلا لنصّه القصصيّ متوسّلا في ذلك بابه الأوّل ألا وهو العنوان. ولا نزعم في خصوص هذا المبحث أنّنا أتينا على كلّ خصائص العنوان فيمكننا أن ننظر في لغة العناوين التي بدت في مجملها قريبة من الفهم وبعيدة عن لغة الترميز والمجاز.

2 - حضور الضّمائر في المتن القصصيّ وعلاقتها بمنظور السّارد:

لعلّ من أهمّ المداخل لفهم آليات اشتغال العالم القصصيّ في هذه الأقاصيص الضّمائر التي توسّل بها الكاتب في سرد قصصه ويمكننا أن نقف على نسبة حضور السّارد أو ما اتفق النّقاد على تسميته بالمنظور أو الرؤية، ومن هنا سننظر في حضورها ودورها ووظائفها باعتبارها عنصرا أساسيّا استطاع الكاتب من خلاله أن يُخرج نصّه إخراجا جديدا.

أ- حضور ضمير المتكلّم في السّرد:

أ1- سيطرة ضمير المتكلّم على الضمائر الأخرى:

يحضر ضمير الأنا بنسبة كبيرة فلا تكاد أقصوصة تخلو من هذا الضّمير. في أقصوصة بعنوان»المزار» يتفوّق ضمير المتكلّم على بقيّة الضّمائر مثل ضمير المخاطب أو ضمير الغائب المفرد أو الغائب الجمع فكلّ هذه الضّمائر تحضر بصفة عرضيّة بل إنّ وجودها يدور في فلك الأنا فالسّارد يترك السّرد بيد الأنا فيتحدّث ويتحرّك ويفكّر ويحلم ويقرّر فهو سيّد العالم السّرديّ من البداية إلى النّهاية. يقول السّارد في هذه القصّة: «تفرّستُ جيّدًا فيهِ رأيتُ نفسي أركبُ صهوةَ مُهرٍ تتجاوزُ كلَّ حدودِ المعنى لِترصُدَ الأعينَ التّي وهبتْ نَظرتها للنساءِ تطلبُ شفاعةَ الأنبياء. رَأيتُ أبي يموتُ ويحيا أمّا أُمّي رأيتها تُمسكُ بملاءتها حولي لِكيْ لا رأى أكثر مِمّا أرى» ويقول في موضع آخر من نفس القصّة: "اِنتبهتُ وأنا أَستفيقُ مِنْ حُلمي أسقطُ من الكنبةْ" فالكاتب لما هو بدا منعدم المعرفة أمام معرفة هذه الأنا السّاردة Je narrant والمسرودة Narré في نفس الوقت.

أ- 2 تداخل ضمير المتكلّم مع ضمائر أخرى:

تتداخل ضمائر الخطاب وضمائر الغائبة مع ضمير المتكلّم في جلّ الأقاصيص فتتقاسم الحضور في النّسيج السّرديّ من خلال عمليّة تبادليّة تفاعليّة فيما بينها، فالضّمائر تتبادل المواقع داخل النّصّ السرديّ لكلّ قصّة من قصص هذه المجموعة حسب ما يجريه السّارد ومن ورائه الكاتب من علاقات بينها فيعلو صوت أحد الضّمائر حينا على أو قد ينخفض وذلك ضمن صراع فنّيّ حتّمه وجودها داخل النّصّ. ففي قصّة «العودة من حافة الانقراض» تحضر الضمائر الأربعة الأنا والأنت والهو والهي، أو قد تحضر بصفة ثلاثيّة مثل قصّة»بوزل»(أنتِ/أنا/هي)، أوقصّة» حفرة الحبس» (أنت/هو/أنا)،وقصّة»بحث مستمرّ»(هو/أنا/أنت). وقد يكون الحضور ثنائيّا مثل ما جاء في قصّة»يوم أزرق»(هو/أنا)، أوقصة «سجين 365»(أنت/ أنا)، وقصّة»الدّاخليّة»(هي/أنا). هذا التّداخل بين الضّمائر يأتي ضمن استراتيجيّة السّارد ومعه الكاتب بجعلها أي الضّمائر تتبادل الأدوار وتقاسم الحضور داخل نسيج السّرد. ففي قصّة" يوم أزرق» يقول السارد: «ذات صباح شتائي غمرته نزوة التغيير قال : سألبس الأزرق. الأزرق أوساع السّماء لا تحدّ والأزرق لون البنفسجة حين تموت والأزرق تماهي البحر مع المدى والأزرق نسغ آهتي حين ألج الكلمات. ارتديت يومها بنطلونا جينز كنت قد اشتريته من بازار «ايجا انقلِكْ «أعجبني الإشهار فقادني إلى الكاسّةْ إلى آلة الجمع والطّرح. آهْ هذه المرّة لم يسعني ربّما أفرطت في شرب البّيرةْ. كنت أودّ أن أكون في مظهر لائق لا يهمّ.» فالأنا تتبادل الدّور مع الهو، بل هما وجهان لنفس العملة وهنا كأنّ السّارد والشّخصيّة رضيا بتقاسم الحضور والمعرفة بينهما. ولعلّ هذا التّداخل بين الضّمائر قد ساهم في تنوّع الشّخصيّات وأثرى حضورها فأضفى على السّرد حركيّة وحيويّة فإذا بأصوات الرّواة أو السّاردين تتعدّد فتارة يتحدّث السّارد بلسانه وأخرى يترك الحديث والفعل السّرديّ للشّخصيّة ذاتها. لذلك يُعتبر تداخل الضّمائر وتنوّعها من مظاهر التّحديث في هذه المجموعة القصصيّة وبذلك يتجاوز الكاتب منذر العيني القصّ الكلاسيكيّ من خلال تبادل المواقع بين مختلف الضّمائر. إنّ»تبدّل المواقع ينجُمُ عنْه تغيّر الرّؤى وزوايا النّظر من رؤية تقليديّة اصطلح على نعتها بـ»الرّؤية من خلف» أو التّبئير من الدّرجة الصّفر حينما يقع استعمال ضمير الغائب – وذلك في جلّ الأحايين لا في مطلق السّياقات- إلى رؤية مصاحبة أو تبئير داخليّ تضطلع فيه الشّخصيّة بالوظيفة السّرديّة ومعايشة الأحداث فترويها على لسانها»3

أ3- حضور ضمائر الغائبة بصفة مفردة:

تسيطر ضمائر الغائبة على العالم السّردي في جلّ أقاصيص هذه المجموعة وخاصّة في قصّة»الثّأر» وقصّة»الخزّاف» وقصّة»عياء» وقصّة «الرّحيل» فهنا يبدو حضورها بارزا مستفردا بالخطاب السّرديّ. يقول السارد في قصّة الثّأر التي يفتتح بها مجموعته:»كانت تراوغ حدّة الوقت بالصّمت، تُتلف اللّحظة الموجعة وهي تغزل صوفها تتحدّث عن أبيها كيف أعدمها ولم يرسل غير أخيها إلى المدرسة لم يكن وقتها ثمّة حاجة للدّراسة، الإبن الأكبر فوق الجميع، وجدت الأعذار تجدُها دائما" وفي موضع آخر من نفس القصّة: "تترقرق الدّمعة على وجنتي مراد لتينع من جديد أزهار الرّؤى فيلمح في الصّورة أباه بكدرونه البربريّ بوجهه الغائم وحاجبيه المعقوفتين وشاشيّته الحمراء متجهّما كوجه عقاب. تمرّ اللّحظات بينهما سليلة للمدائح لا يخفت صداها إلاّ حينما يشرع مراد في المذاكرة. سيصبح بعد عام رجل قانون. تأتيه بالقهوة بالشّاي بشهوته مقروضَه القيروانيّ تُزهر له أقباس النّار وتضع تحت رجليه جلود الخرفان حين يتّكئُ على كرسيِّ المكتب في هيأة ملك وتبقى بجانبه كبريد لصلوات القيامة تُذّكره بجرائر إخوتها كيف عنّفوها كيف سلبوا منها رزقها كيف فرضوا عليها أن تتزوّج من جديدٍ وتُسقط العلقة التّي في بطنها لكنّهم لم ينالوا ما أردوا ونالت هي مُرادها حبّا تليدا لرجلٍ هازئٍ بالأقدار"

من خلال هذين المقطعين بدا السّارد ومن ورائه الكاتب ناقلا لاختلاجات الشّخصيتيْن(الأمّ الزّهرة والابن مراد) ومشاعرهما وراصدا لحركاتهما وأفكارهما، فهو سيّد السّرد العارف للتّفاصيل المتحكّم في شخوصه كما يشاء، لتراه يختم قصّته كما أراد لها أن تنتهيَ(وقفت أمام عدالة المحكمة كان نجلها الأخضر مُحاميها الوحيد متحفّزا كعقاب ذات صباح قدسي. بعد المداولة التّصريح بالحكم : حكمت المحكة حضوريّا باسترجاع السّيّدة الزّهرة جميع أملاكها من أخيها الأكبر عبد الجبّار وإثباتها بدفتر خانـــــــــةْ.)

على سبيل الاستنتاجات:

من خلال مبحث الضّمائر تجلّتْ لنا خصائص جماليّة وفنيّة في هذه المجموعة القصصيّة تراوحت بين شروط القصّ التّقليديّ مرّة وبين علامات التّحديث والتّطوّر مرّة أخرى ولعلّ الضّمائر من أهمّ هذه العلامات الدّالّة على تخلّص الكاتب منذر العيني من سلطة النّمط وجنوح نصّه نحو حداثة قصصيّة تشي بقدرته على امتلاك بصمة خاصّة ترتفع بما يكتبه إلى مصافّ الإبداع. فتنوّع الضّمائر وتداخلها داخل النّسيج السّرديّ للأقصوصة يجعل وتيرة السّرد متنوّعة فلا تروم الاستكانة إلى إيقاع سرديّ واحد تشوبه الرّتابة، كما يساهم في تنوّع منظور السّارد وتبدّل مواقعه. وهنا يدخل مكوّن المفاجأة في تركيبة السّرد فيجد المتلقّي نفسه ينتقل من ضمير إلى آخر دون توقّف وهو ما يخلق جماليّة في النّسيج السّرديّ للأقاصيص ومتعة لدى القارئ.

---

3 – البشير الوسلاتي، فنّ القصّ عند يوسف إدريس، المطبعة الرّسمية للجمهورية التونسية، ط1، 2007 ص ص120،119

عروج الكشف والمعرفة في رواية «وميض» لعائدة عبد الحميد

ناصر التومي

مشكورة أرسلت لي الكاتبة عايدة عبد الحميد روايتها «وميض» خلال شهرجوان 2021 عن طريق البريد وأدهشني إهداؤها لي بهذه الصيغة»

« الحمد لله وباسم الله إلى الصديق العزيز الروائي المبدع « الناصر التومي « أهدي هذا العمل اعتزازا بما يقدمه من كتابات تثري الساحة الثقافية وتعزز موقع المثقف الذي يعيد بناء الانسان من جديد ليدفعه نحو الأفضل والأجمل والأكبر نفعا للأمة».

اطلعت على الرواية في حينها وحبّرت لها رأيي فيها بصورة مختصرة لتعلم أني لم أهمل هديتها الثمينة لكن في الآن نفسه لم أكن راضيا كليا عن نفسي لأني لم أحتفل بالرواية التي شدّتني إلى درجة أني أنهيتها في توقيت وجيز وبقي أثرها يوسوس لي بأن أنصفها حقا لا مجاملة بقراءة أسلّط عليها أضواء عما أثار في من تساؤلات ودهشة أحيانا في كامل مراحل رحلة بطلتها وهي بين اليقظة والحلم بين واقع وجدت فيه وأمل طموح ارتأته، وبين هذا التحول الميتافيزيقي والصوفي تبرز سمات الكاتبة الراوية وهي تفلسف الأشياء وتنشر التساؤلات في وعلى الكائنات الحية منها والميتة وتنتقد المسلمات والمبنية عن العادة والجهل وليس عن معرفة جوهرها.

ينطلق البوح والانتقال من حال إلى حال أو هو عروج إلى مقامات الصوفية بل هي إلى ملكوت الفردوس الأعلى أقرب، أو هو حلم بالأفضل بعيدا عن دنيا خداعة هكذا كانت الرحلة عبر محطات من أماكن وشخوص غريبي وعجيبي الأطوار، يفلسفون الأشياء يفاجئون بمنطق وفهم مخالف هو إلى الحكمة أقرب، يستقبلون العارجة إلى حالهم بالحب والنصيحة وتصحيح المفاهيم المعوجّة منها، يفتحون عليها عوالم ومسالك لم تألفها لكنها تستجيب لهم لأنهم غير أشرار بل هم أقرب لعالم الأرواح النورانية.

فضاءات العروج:

تنطلق الراوية من لوحة لقاء وهي تراقب البحر من الكورنيش الذي فاجأها بخروج حصان منه ضخم أسود أسطوري يصفع بحوافره الإسفلت وهو يركض، ومثل ما يحصل في تكاثف الأحلام تجد نفسها أمام كهف مظلم وخلال دورانها ترى نهرا جاريا وحقلا شاسعا فغابة كثيفة ومنه إلى نهر، فحقل شاسع فبيت غريب الأطوار. ودون تمهيد تجد نفسها على أرض من الطوب الأحمر فطاحونة وفي لوحة «إسراء» يتبين جليا العروج إلى فضاءات عليا لم تطأها من قبل وهي إلى الخوارق أقرب. وبعد رحلة في فضاءات الطبيعة تجد نفسها فجأة في مدينة كبيرة بناطحات السحاب توحي بأنها مدينة مثال الحرية الشهير وتسم الجزء التالي « بالعبودية» في حوار باطني بين الحرية والعبودية وسرعان ما تعود إلى الطبيعة إلى الغابة فمحطة

قطار رمز للسفر في هذا الترحال في عوالم غير مألوفة.

إن هذا الترحال والصعود بواسطة العروج الذي سلكه النبي أخنوخ وخاتم الأنبياء وبعض الص،وفية وحلم نحو الأفضل والأجمل والأعلم تم الإسراء بالراوية بحثا عن الخلاص إنه التوق إلى مراتب عليا ينعدم فيها النكد والجذب إلى الخلف والإحباط عالم جديد بريء طاهر من أي دنس.

لم تكن هذه الرحلة فقط لملامسة الفضاءات العلية الطبيعية والرمزية بل كانت للقاء شخوص فاعلة فاضلة تحرك فيها السواكن وتلهمها الصلاح والنظرة الصافية النقية من أي شوائب ما عاشته وقناعة سوية بمعتقد يريح النفس من تشظيها.

أول المشاهدات كان الحصان الأسود الضخم صاحب الرقبة الطويلة شعره الكثيف وهو يخرج من البحر في مشهد أسطوري خلاب فتنبهر به، تلتقي «بفيكتوريا أو انتصار « طويلة القامة ذات شعر أحمر نحاسي ترتدي سترة ضيقة من الصوف البني وكذلك كنزة الصوف بنية اللون هندامها يتناقض تماما عن الطقس والشمس لتتبين أن هذه الشخصية هي جزء منها.وتقتحم كوخا به امرأة ورجل يحاولان حبسها لكن لما وجهت لهما أشعة الشمس من خلال مرآة حتى تهاويا. قصدت الطاحونة وجدت فتاة وصفتها ب «الفقيرة» وهو مطلح يستعمله الصوفية لمريديهم « الفقرى» ويظهر في الأثناء شيخ مسن « زاهد» يرتدي ثيابا من الكتان الأبيض كالكفن وغطاء رأسه من القماش الأبيض وكل ما فيه يوحي بأنه من أهل الصوفية ويمد لها يده لكن لا يلمسها وتحيط به هالة من النور كنور القديسيين الأوائل. ولما تشكو الراوية عما تلفظت به الفتاة بقولها أنت «فقيرة» أجابها الرجل المهيب: وهل من غني غيره ما وقوفك على الباب إلا لفقرك. وقف في منتصف الحقل ورفع يديه إلى السماء يدور حول نفسه ورأسه يتجه إلى السماء فإذا بالقمح ينزل كالمطر ويتكوم في الحقل هي الخوارق التي تصدر عن ملهمي الحقيقة والعارفين بها من العباد الزهاد ويجبرها على الصعود إلى أعلى كل شيء سلالم صخرية خشبية صعود لا ينتهي إلى الأعلى هو العروج إلى أعلى.

تصل الطاحونة حيث رجل طاعن في السن نحيل إنه حال المتصوفة إضافة أنه رافض للزواج، عنوان جزء كان «الإسراء» وهو مرتبط بالمعراج دوما ويقع في الليل. وعندما تلج مطعما تجد امرأة شعرها أبيض وتلبس قميصا أخضر وتنورة أيضا خضراء وهما من الألوان المحببة للزهاد وتدخل معها في حوار عرفاني:

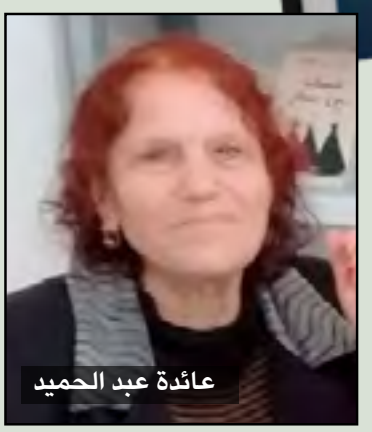
عائدة عبد الحميد

ـ أن تنظري ليس أن تري، عليك أن تبصري بقلبك كي تري.

في مدينة وتمثال الحرية يقترب منها سالم أسود البشرة يفاجئها باطلاعه على مكنونها ودواخلها:

ـ أنت لم تأتي سائحة ولست بحاجة إلى زيارة سياحية، أنت تحتاجين أن تدركي ما يعبر عنه هذا التمثال وأن تتبنيه بكل إرادتك ما يمثله التمثال هو معنى كوني ويعبر عنه بأشكال عديدة قد يكون من بينها هذا التمثال أو مكان ما أو شخص ما أو أسطورة أو ضحكة طفل أو لحظة معينة أو طيران نسر، كلها أشكال مختلفة تعبر عن نفس المعنى الحرية ولكن البشر يعبرون عنها بطرق مختلفة وفي فترات الانحطاط يكون التعبير عنها موارية بالتورية والإشارة»

وكل هذا التنوير من قبل سالم يدخل في بوتقة المعرفة والمخفي والحرية وهو من نفس جنس الزهد في المادة طلبا للصفاء الروحي الذي لن يتحقق إلا بالمعرفة الحقة ببواطن الكائنات.واسم سالم جاء ليفضي السلام والأمان وهو من ثقافات الزهاد في الديانات السماوية أو حتى الوثنية.

تلتقي في أحد الشوارع من اعتلت هامته هالة من النور الأصفر الخفيف يلبس كالمرة الأولى ثيابا بيضاء طويلة لا تكشف إلا وجهه المريح ويمسك بيده عصا في شكل غصن وبعد محاورته يحاول المغادرة فتمسكه ببرنسه المنسوج من الصوف الأبيض ويسير بسرعة غريبة شديدة أقرب إلى الطيران وهو لا شك من أصحاب الخطوة أصحاب الخوارق حيث يطوي الآفاق طيا.

تصل إلى بناية ضخمة من الرخام تصطدم بفتاة تمتلك مشطا عجيبا ولما تسأل الفتاة عن

قراءة في كتاب

طبيعة هذا المشط وأنى له كل تلك المزايا تجيبها الفتاة:

ـ كل شيء يقول كل شيء إذا أخذنا الوقت الكافي لنتأمله جيدا

والكاتبة هنا تحاول إقناعنا أن كل الكائنات تقول شريطة أن نتأملها والتأمل هو من شيم الزهاد وأصحاب الخلوة وطلبة الحقيقة والمعرفة الربانية.

في مشهد غابي يلتحق بها فهد أسود يرحب بها ويحاول أن يلفت انتباهها إلى جمال الغابة الذي جسد الكمال الكلي وهذا لا يحصل إلا في جنة الآخرة لا في جنة الدنيا. وعندما تغادر الغابة تقابلها بناية ضخمة يمين محطة قطار مهجورة بداخلها عجوز فقيرة ترحب بها وتعلمها أنها تنتظرها منذ زمن، وفجأة تكتشف أنها تعيل مجموعة من الأطفال الأيتام، وفي الآخر تحولت العجوز إلى صبية جميلة تذكرنا بقصص ألف ليلة وليلة، وفي نفس سياق الخرافة تلتقي بصياد وتصحبه إلى منزله فترى العجب وتلتقي بصائد الشمس ليتناولها قائلا:

ـ كل يوم له شمسه الشمس هدية يومية

قالت: الشمس ليست ملكا لنا إنها تشرق لجميع الناس ونحن سرقناها

فكانت إجابته: هذه الشمس شمسي كل منا له شمسه اليومية.

تلج حديقة غاية في الجمال عجيبة وغريبة توشّيها طاووسة آية في الجمال عندما تنشر ريشها تغطي زرقة السماء ومن حوارها بدت حكيمة وهي تمدح نفسها وتنكر غن ذلك كان غرورا قائلة: إذا كنت لا تحبين ذاتك حتى وإن أحببت الجميع إذا لم تحبي ذاتك فلن تستطيعي أن تحبي من يحبك.

استفاقت وهي أسفل سفح جبل يعترضها راعي يلبس قشابية من الصوف البني يسوق قطيع خرفانه يحذرها من طلوع الجبل حيث الذئب لكنها لم تأبه وواصلت طريقها إلى أن واجهت الذئب الذي التهمها لكن روحها بقيت تجوب المكان لتتفاجأ بكائن يلبس بنطلونا من الكتان الأبيض يعلمها أن بالتهامها أصبحت نورا تسافر به إلى أي مكان وهو دليل آخر على التوجه الصوفي في هذه الرحلة الماراطونية العروجية إلى تخوم المستحيل والمجهول والمأمول.

وفي أخر لوحة»يقظة» تفاجئنا الراوية أن كل هذه الرحلة هي مجرد خدعة حلمية استيقظت منه واستعادت جسدها واستعدت لتقوم بدورها الراقص على ركح المسرح التي تعمل فيه وتقوم بوصلتها على أفضل وجه لم يسبق له مثيل وغادرته من الباب الخلفي مع العزم على عدم العودة إليه بعدما ما شاهدته في عروجها إلى عالم آخر هو حلمها بعيدا عن زيف مسرح الدنيا.

كانت رحلة ممتعة بين عوالم متعددة بعضها شبيهة بالواقع المعيش وبعضها من صلب أحلام اليقظة والمنام هي رحلة نحو الأفضل والأسمى للإنسلاخ من الجسد الفاني والحياة الدنيوية إلى الروح الشفافة التي تجنح نحو عوالم متخيلة تحوّل من جنس أرواح الزهاد في الفيافي ومغارات الجبال ينشدون الصفاء والتوحد مع الخالق بعيدا عن نكد المخلوقات الدنيوية.

استغلت الكاتبة في هذا العمل الروائي روح التصوف حسا ومعنى في حلمها واستنجدت بالحكمة والفلسفة واستنجدت بروح أحداث وقصص ألف ليلة وليلة، جادلت الشخصيات التي اعترضتها بعقلانية وكانت ردة فعل هذه الشخصيات من نفس الجنس، نأت بنفسها عن ولوج عوالم جنسية مشينة كما يحلو لعديد من الكاتبات اليوم اللواتي لا يرين العمل الروائي الناجح إلا من خلاله.

جادلت الكاتبة الإنسان العاقل الحكيم والحيوان الحصان والذئب والطاووس واستوحت من الجماد البحر والجبل والمروج الخضر والورود والشمس.

لغة عايدة شاعرية وكذلك أسلوبها تتحول بك من لوحة إلى أخرى بسحر وانجذاب لمزيد الإطلاع، تسحبك منها وإليها لا تستطيع فراقها إلى النهاية، التشويق موزع على كل الأجزاء، عباراتها منتقاة بعناية لتواكب طبيعة الشخصية وتطوافها وأحلامها الوردية وقاموسها اللغوي المستغل منسجم مع طبيعة الرواية الحالمة بكل شيء جميل فلا تستفزك بعبارة ناشزة أو مشهد لا أخلاقي.

أبدعت الكاتبة في وصف الأمكنة والشخوص بشرا وحيوانات ما جعلها تضفي سحرا خاصا على مجرى الأحداث المتتالية التي رغم عدم ارتباطها ببعضها فقد حاكتها بأسلوب لا يجعلك تتفطن لذلك بل تسحبك بكل يسر إلى مجاراتها إلى حلمها وعروجها العجائبي.

انتصرت عايدة للقيم والمبادئ والجمال والحرية والإيمان بعبادة الله الحق واختيار التطهر مفضلة الانسلاخ من عالم زائف مشين إلى بديل متطهر من أدران الدنيا.

عائدة ببعدها عن الكتابة بعد مجموعتها القصصية « اشتقت إليك « حرمت الساحة الثقافية من إبداع نقي طاهر من الشوائب، ولعلها بعودتها إلى حضيرة الأدب بهذا العمل والذي يليه» أصداف جلب الحظ» الذي نأمل أن يصدر قريبا ومالها من طاقة ونضج ما يؤهلها أن تأخذ مكانها ضمن الكاتبات المرموقات.

صورة تتحدّث

مسجد المحرزية - نهج عبد الوهاب بالمركاض مدينة تونس العتيقة

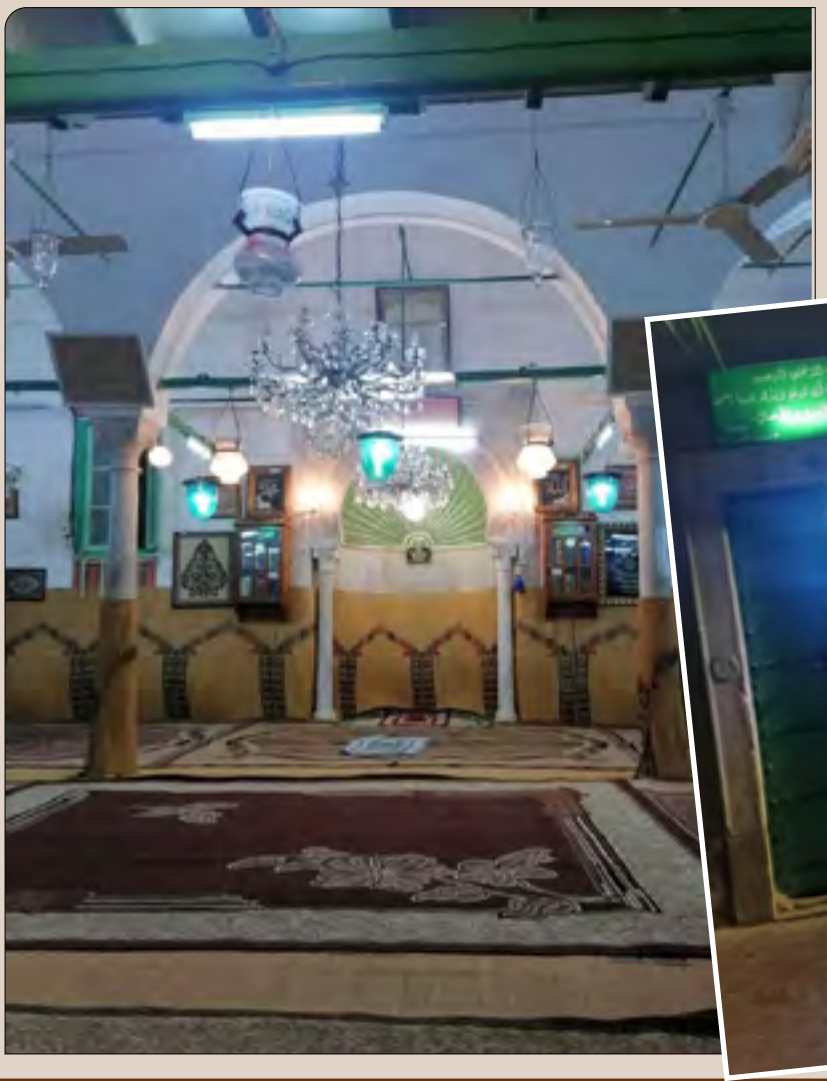

هو في الأصل مسجد الخلوة المحرزية المنسوب إلى الولي الصالح سيدي محرز بن خلف رحمه الله المتوفى سنة 1022 ميلادي حيث كان يختلي في هذا المكان للعبادة بالاضافة إلى عدد اخر من الخلوات سيأتي ذكرها على الصفحة ان شاء الله.

تناقل مؤلفو المناقب الصوفية الكثير من الأخبار عن هذه الخلوة منها استجابة الدعاء او عمارتها من الجن المؤمن.

تولى الوزير مصطفى خزندار إعادة بناء المعلم اواسط القرن الثامن عشر واكمله الباش حانبة عبد الوهاب الشارني جد المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب الملاصق لداره.

ومن المخزي ما قام به جار المسجد من إعلاء جداره على صومعة المسجد حيث اخفاء جهة كاملة منها، يا لها من جراة على بيت الله والله يمهل ولا يهمل.

يفتح صحن المسجد على باب ثانوي موجود بنهج الشاذلية.

من اشهر ائمة هذا المسجد الشيخ الرنة الذي بقي ذكره متناقلا لدى ابناء الحي وكان المشائخ الكبار يقصدون الصلاة ورائه في التراويح

«مذكّرات على طريق المستقبل» لفتحي كميشة سيرة ذاتية غير تقليدية عن مسيرة مهنية مبهرة

عبد الحفيظ الهرقام

صدر مؤخرّا عن منشورات نيرفانا كتاب للدكتور فتحي كميشة رجل القانون والمحامي والمحكّم الدولي البارز وعنوان المؤلّف الذي يقع في 147 صفحة«مذكّرات على طريق المستقبل، رحلة محام عابر للقارات».

عندما أرسل لي هذا الصديق النسخة الفرنسية للكتاب الصادرة بفرنسا بعنوان :

« Mémoires en quête d'avenir, le parcours d'un avocat itinérant »

ليستمزج رأيي بشأن تعريبه لم أتردد لحظة في تشجيعه على ذلك إذ اعتبرت أن مختلف مراحل حياته ومسيرته المهنية المبهرة لحقيقة بأن يطلع عليها جمهور القراء باللغة العربية ، ولا سيمّا الشباب منهم ، لأن قصة نجاح فتحي كميشة الزاخرة بالدروس والعبر يمكن أن تكون مصدر إلهام للكثيرين، إضافة إلى أنّ سيرته الذاتية سيرة غير تقليدية ولا نمطية ولا هي «سيرة عن تطور شخص من الطفولة إلى الشيخوخة ، وإنّما هي سيرة عن تطور فكره في المجال القانوني ، وما أندرها في الوطن العربي! » كما بين ذلك الوزير المصري السابق ورجل القانون الألمعي الأستاذ الدكتور مفيد شهاب في مقدمة الكتاب.

كما أنّ هذا الكتاب «المتواضع في حجمه ، والثري في مضمونه ، يعرض علامات بارزة في حياة فتحي كميشة بتعدد أوجهها وهو الذي له أكثر من ثقافة وسلك أكثر من طريق» على حدّ تعبير المحامي ورجل القانون المرموق يان بولسون (Jan Paulsson) في مقدمته للنسخة الأنجليزية.

ففتحي كميشة سينمائي ومثقف ورجل قانون ممتاز ذو صيت عالمي ، تولى منصب الأمين العام لنظام التحكيم العربي – الأوروبي بباريس وتبوأ مكانة بارزة في مجال التحكيم على الصعيد الدولي قبل أن يرافع أمام محكمة العدل الدولية بلاهاي سنة 2000ضمن فريق من كبار المحامين ورجال القانون في المستوى العالمي في النزاع الحدودي بين مملكة البحرين ودولة قطر والذي صدر بشأنه حكم لصالح البحرين في 16 مارس 2001 وقد جلبت مرافعته آنذاك الاهتمام حيث ركّز فيها على نظرية عدم المساس بالحدود الموروثة عن الاستعمار (Uti Posseditis)، وهي نظرية على غاية الأهمية في تقدير رجال القانون بعد انقضاء العهد الاستعماري.

وبفضل ما اكتسبه فتحي كميشة من تجربة مهنية ثريّة وما حققه من إشعاع واسع على الصعيد الدولي تسنّى له أن ينتخب لدورتين متتاليتين ، وبشبه إجماع الدول ، عضوا بلجنة القانون الدولي للأمم المتحدة ، ومقرها جنيف وأن يختاره جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البحرين لتأسيس محكمة دستورية في هذا البلد الشقيق، وقد كان أوّل أمين عام لها ، وذلك قبل أن يترأّس مجلس العقوبات والمختص بمكافحة الفساد في إطار البنك الدولي في واشنطن، ليحطّ الرحال من جديد بالقيروان على إثر هذه الرحلة الطويلة عبر عدة مدن وعواصم في العالم ، فيما يشبه «استراحة المحارب»، وذلك برّا بوالديه وتعلقا منه بمسقط رأسه ، حيث أنجز مشروعا استثماريا ضخما في المجال الفلاحي واقتنى دار الأجداد في حيّ الجامع ذات الطراز المعماري البديع ليتولى ترميمها في انتظار استغلالها في الميدان السياحي.

أليست هذه المسيرة المبهرة جديرة بأن تخلّد في كتاب؟

لم يخل فتحي كميشة بواجب الذاكرة ولم يُقَصِّر في حقّ أسرته وبني وطنه بإقدامه على مغامرة كتابة مذكراته.

فما من شكّ في أنّ من أصعب أجناس الكتابة هي كتابة المذكّرات أو ما اصطلح على تسميته بأدب السيرة الذاتية.

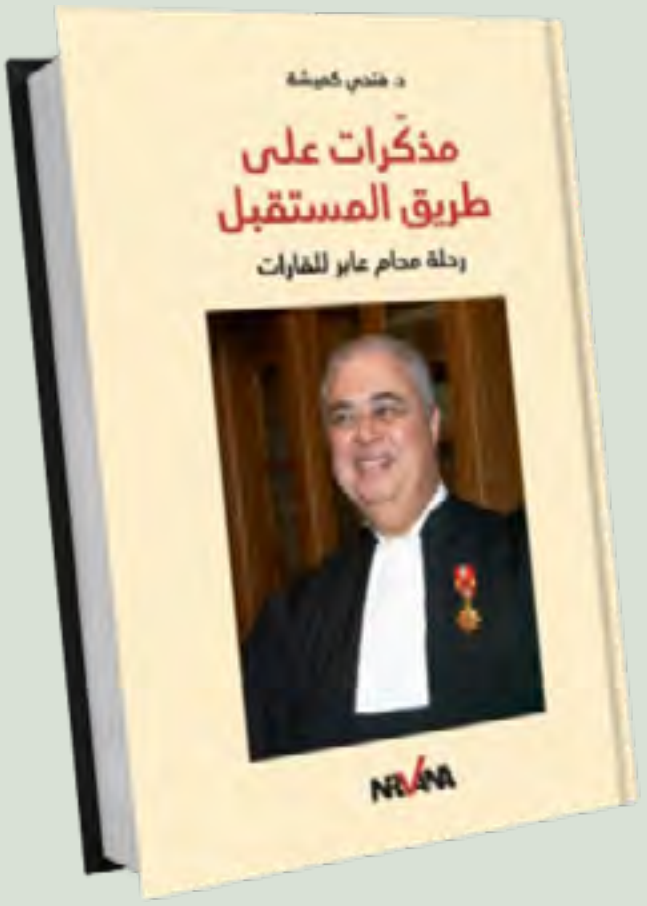

ولهذا الجنس الذي يستطرفه القارئ ويقبل عليه قواعد وشروط.

فعلاوة على حذق فن السرد وجمال الأسلوب وجزالة اللفظ ودقّة التعبير، يتعيّن أن تكون سيرة الكاتب مثيرة للاهتمام ، محفّزة إلى التأمّل والتفكير لاستخلاص ما تتضمنه من دروس وعبر. كما تستدعي السيرة الذاتية « قدرا من النرجسية التي ينبغي أن تتوافر قليلا أو كثيرا لكاتبها حتي يستطيع أن يتحدث عن نفسه» (انظر كتاب د/ محمد الجويلي، ترحال الكلام في أربعين عاما وعام ، دار ابن حازم القاهرة ص 19). ويجب أن يكون في هذه الحالة مزهوا بنفسه دون السقوط في الغرور.

وإني أعتقد أن فتحي كميشة نجح إلى حدّ كبير في هذه المغامرة التي قال عنها إنّها«فعل مترع بالمخاطر» ، مشيرا إلى أنّ البعض قد يرى فيما كتب «شيئا من النرجسية وتباهيا ببطولات»، وقد يكون ذلك صحيحا ، وملاحظا أن العودة إلى الوراء من خلال النظر في المرآة العاكسة لسرد الأحداث التي عاشها كانت في تقديره « ضرورة ملحة وفيها راحة للنفس للمضي قدما إلى الأمام ».

من قيروان الصبا والشباب تنطلق هذه السردية المشوقة بما تثيره من جميل الذكريات من

بينهاارتياد الكاتب مع الكثير من أبناء جيله لقاعة الكازينو التي كان يعرض فيها في كل نهاية أسبوع شريط سينمائي يعقبه نقاش في إطار نادي السينما مما ساهم في أن يحبب الفنّ السابع إلى الشباب وأن ينمي ملكة النقد والتفكير لديهم ، إضافة إلى انضمامه إلى نادي السينمائيين الهواةحيث تعلّم بالممارسة وبإلهام جامح التقنيات السينمائية فأمكن له إنجاز شريط قصير بعنوان «الوهم الكبير» نال به الجائزة الأولى في مهرجان قليبية الدولي للسينمائيين الهواة في صائفة سنة 1973 ... وكانت القيروان تتميز آنذاك بحركية ثقافية وفكرية لافتة.

وإلى القيروان تعود السردية متخذة في هيكلتها شكلا دائريا بعد العديد من المحطات : باريس مكان الدراسة الجامعية والعمل، والمنامة بالبحرين وجنيف وواشنطن.

لا تخلو هذه السردية في رأيي من بعد ديدكتيكي فمن خلالها يتجلى سلوك في الحياة ونظرة إلى العالم انطلاقا من مبادئ وقيم آمن بها الكاتب وسار على هديها في مسيرته المهنية الموفقة ويمكن لنا في نوجزها في العناوين التالية :

أولا : الإيمان بالقدرات الذاتية والثّقة بالنفس ،

ثانيا : الطموح بعد تحديد الهدف المراد تحقيقه ورسم مساره ،

ثالثا : الجدية والاجتهاد والمثابرة ، فالنجاح في مرحلة ما يفتح أفقا جديدا لإدراك درجة أعلى في السلم المهني،

رابعا : الاستقلالية والنزاهة ووضع شرف المهنة فوق كل اعتبار،

خامسا : الاعتراف بالجميل لكل من ساهم من قريب أو بعيد في نجاح المسيرة ، بدءا بالوالدين اللذين سخّرا جهودهما لتمكينه من مستوى تعليمي راق وأقدما في سبيل ذلك على جسيم التضحيات ثمّ كل من احتضنه ومدّ له يد المساعدة في يوم من الأيام ، ولا سيّما أساتذته وزملاؤه ، وسيصبح عدد كبير منهم من أعزّ أصدقائه ، فضلا عن مملكة البحرين، عاهلا ومسؤولين وشعبا. فقد تضمن الكتاب إثني عشرة تحية وجهها فتحي كميشة لهولاء ، بما يدلّ على نبل مشاعره وتعلّقه بثقافة الامتنان والاعتراف بالجميل، وبذلك تصبح السيرة الذاتية أفضل وسيلة لقول الحقيقة عن الآخرين ، كما أكد ذلك الكاتب الفرنسي بيار دانينوس

(Pierre Daninos) .

سادسا : الوفاء لذكرى الأموات وفي مقدّمتهم الوالدان وجميع الشخصيات والأعلام الذين تأثر بهم وكان لهم دور ومكانة في مسيرته المهنية.

وتحضرني في هذا السياق هذه المقولة للكاتب الفرنسي جون دورميسون (Jean D'Ormesson) :« ثمّة شيء أقوى من الموت وهو حضور الغائبين في ذاكرة الأحياء»..

لا يخفي فتحي كميشة وفاءه أيضا للقيروان التي يذكرها ببالغ المحبّة وبعاطفة جياشة والتي يعود إلي حضنها الدافء ، برّا بوالديه ورغبة منه في»غراسة حديقته».

عندما يتساءل فتحي كميشة في خاتمة كتابه : « أي مستقبل هذا الذي نتوق إليه بعد سبعين عاما؟» استذكر هذه المقولة للشاعر والفيلسوف الألماني هولدرلاين Hölderlin وقد أوردها محمود المسعدي في مقدمة «حدث أبو هريرة قال» : « أتعلم على مَ حزنك؟ إنه ليس على شيء مفقود فقدته من زمن معيّن يمكنك أن تقول متى كان عندك ومتى ذهب – إنما هو شيء لا يزال حيّا قائما فيك – هو عهد أسمى من عهدك الحاضر تطلبه ، هو عالم أجمل من عالمك هذا ...».

لقد أراد فتحي كميشة من خلال اختياره هذا العنوان لمؤلفه «مذكّرات على طريق المستقبل» أن يؤكد حرصه ، وهو يتجاوز السبعين من عمره ، على أن يعطى معني متجددا

لحياته بالتقاط كل فرصة جديدة تتاح له ، توقا منه إلى عهد أسمى من عهده الحاضر وإلى عالم أجمل من عالمه اليوم...

أليس ذلك هو جوهر الفلسفة الوجودية ؟ ولعلّ فتحي كميشة من اتباعها ومريديها.

إعلامي ودبلوماسي سابق

في النصّ السّيري الشعبي المؤنث

د. زهير بن يوسف (جامعة تونس)

تصدير

« تشترك النّساء والرّجال في جميع المراتب حتى في القُطبية،،،
فكل ما يصح أن يناله الرجل من المقامات والمراتب والصفات
يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء كما كان لمن شاء الله من الرجال»
محيى الدين بن عربي،
الفتوحات المكية

إذا كانت « الثقافة العالمة» في بلاد المغرب، على خلاف نظيرتها في المشرق، قد أدخلت النساء في دائرة الإقصاء لاعتبارات متعلقة بالثقافة والذهنيات ولا سيما منها التشدد الفقهي و» ذكورية المجتمع» بما أفضى إلى تراجع دور المرأة كفاعل اجتماعي وديني ممكن إلى حدود الإيشاك على الاضمحلال، حتّى أنّ كتب التراجم والطبقات لم تحفل بتراجم النساء الفقيهات والنساء المحدّثات والنساء الراويات إلا فيما قلّ وندر، فالظاهر أنّ « للثقافة العامّة» موقفا مختلفا فيما يمكن أن نعتبره رؤية إيجابية للمرأة وتنويها مخصوصا بحضورها ودورها، وهو ما يتضح من خلال إفراد الكتابات السيرية الصوفيّة وخاصة منها المرويات الشعبية «النساء الصالحات» ببعض الترجمات التي تظهر المرأة في صورة مساوية للرجل: قدرات ومكانة، فما هي ملامح هذه الصورة؟ وما هي حدود الطرافة فيها؟

للاّ شّيخة: نواة سيرة منقبية
Hagiographie

- وليّة عالمة:

للا شيخة واحدة من رموز التصوف النسائي العالم، لا يعرف لها إسم ولا نسبة قبلية او جغرافية او إثنية او حِرَفية على غرار للا عزيزة الصمادحية، وللا خديجة النوائلية، وللا زينب الزلاوية والسيدة الشريفة محبوبة الحسنية الملقبة بطبوبة وللا عجمية، وللا خيرة وللا طوبية الغربية وللا خديجة فرجية وخميسة شريفة وبنات عجم وللاّ الزهراء الطبيبة وغيرهن، وإنما اشتهرت باللقب الذي انعقد إجماع المجموعة المحلية على إطلاقه عليها وهو للا الشيخة، في استدعاء ضمني ربما لـ» شيخة الحرمين» نظام كريمة مكين الدين الأصفهاني التي تغزّل بها ابن عربي في « تُرجمان الأشواق»، ولكن أيضا في تأنيث واضح للصيغة الذكورية السائدة: سيدي الشيخ: «شيخ الدرس» ربّما أي المدرّس أو «شيخ الطريقة» أي « الأستاذ»، الصيغة التي تحصر «العلم» بمفهومه التقليدي والشرعي بالخصوص، في لاوعينا الجمعي، في عالم الرجال، احتكارها « السّيادة » ومن ثمة الرّيادة فيه، والمشيخة وبالاستتباع الأخذ بجماع العلم، حصريا للذكور.

بَرَكَةُ النساء وشُهرة العلماء:

يشي لقب للا شيخة لهذه الوليّة بالدور التعليمي او ربما التربوي / الإسلاكي الذي قد تكون اضطلعت به في سياق تأطير الأنصار والإحاطة بالمُريدات والأتباع حتى استحقت لقب « الشيخة» :

- شيخة الفقيهات، تعلّم وتدرّس وتفقّه وتفسّر،
- شيخة الدرس فقها او ذكرا او هما معا وبالتالي منحا للعلم فضلا عن اكتسابه، تؤثث مجالس العلم وطلب المعرفة وتتردد عليها وتشارك في السؤال

والمناظرة بل تحتل فيها موقع الصدارة.

- شيخة خلدتها الذاكرة الجماعية للثقافة العامة:

* ليس فقط بالزهد والوَلاية والبركة والصّلاح،
* وإنما أيضا وبالأساس «بالعلم الشريف» وإنتاج المعرفة الدينية.

- وبانموذج «الوليّة العالمة» التي لم تثبت ورعها و» بركتها» فحسب، وإنما برهنت أيضا على قدرتها على أن يكون « لها في مقامات، كانت تعد حكرا على الرجال، ازدحام» كما يقول النص المنقبي، أي موقع تداني فيه الرجال وتضاهيهم وقد تتفوق عليهم، هي مقامات إنتاج العلم وبثه: تعلما وتعليما، مذاكرة وجدالا وسجالا، وأن تكون لها بالتالي فيهم، بحسب العبارة الأثيرة المتواترة في كتب التراجم والطبقات، « مشيخة» أي سلطة رمزية إمّا بمعنى « العلم المكسوب» أي «علوم الشريعة» وبيان «أهل الرّسوم» وإما بمعنى « العلم الموهوب» أي «علوم الحقيقة» وعرفان « أصحاب الحال المعلوم»:

* او لم يعترف ابن حزم بأنّ» نساء الأندلس:علّمنه القرآن، وروّينه كثيرا من الأشعار، ودرّبنه على الخط» ؟
* او لم تخبرنا كتب التراجم أنّه كانت:
* لصفيّة بنت المرتضى بن المفضّل (771/1319)، إحدى سيّدات اليمن، مؤلّفات،
* وأنّ السيّدة عائشة المقدسية (ت 816/1413) كانت محدّثة، روى عنها الحافظ بن حجر العسقلاني، وقرا لها كتبا عديدة، و»كانت لها مشيخة» في النساء والرجال على حد سواء،
* وأنّ السيدة عائشة الدمشقية(ت922/ 1516) الفقيهة، كانت بدورها من صاحبات المصنّفات، وأنها أجيزت ليس فقط بالتدريس وإنّما بالتدريس والإفتاء أيضا،
* وأمّا السيدة عائشة الحرّانية (ت1249/ 1336)، «فقد كانت لها، هي الأخرى، مشيخة، وقد جلس إليها ابن بطوطة وسمع عليها في الجامع الأموي بدمشق.

أو ليس» للنساء أحوال وزهد وخير وصلاح كما في الرجال» على تعبير الحريفيش(ت 810/ 1407) في «الروض الفائق».

ومما يعطي قاعدة واقعية لهذه الفرضية ما توفّره لنا مناقب إبراهيم الزواوي (ت 691/ 1292)، أحد الأربعين أصحاب أبي الحسن الشاذلي، من إشارة إلى تعليم البنات بمدينة تونس، وبشكل له عدديّا أكثر من دلالة، منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر للميلاد على الأقل:» حفظ على يديه ألفا (2000) إنسان (كذا؟) وثلاثمائة(300) بنت»، بهذا شهد ابن الصبّاغ في تعريف الأربعين.

وينسب خطاب المناقب إلى السيدة عائشة المنّوبية(ت 665/ 1267 أو 685/ 1296) أنها « كانت ممن درس في الكتب، وحصّل العلوم»، وهل يحصل العلم دون تعلّم؟ وهل يكون التعلّم دون معلم؟ وهل يكون العلم ، حتى متى كان علما لدنيّا، وكان المجتمع قروسطيا، بالضرورة علما ذكوريا؟

بل إنّ رحالة مثل الحسين الورثيلاني(ت 1193/ 1779)، وهو من المتأخّرين، يخبرنا» أنّ بجاية فيها خمسمائة (500) صبيّة يحفظن المدوّنة، أي «المدونة الكبرى» للإمام سحنون(ت 240/ 854)، أصحّ كتب الفروع في الفقه المالكي وأعلاها درجة بعد « الموطّأ»، وأمّا اللاتي «يحفظن» ابن الحاجب (ت646/ 1249)، أي مختصره في أصول الفقه، وهو كتاب جامع بين الأمهات في الفقه، «رواية

ودراية»، فلا يحصي عددهنّ إلاّ الله»، بما يشي بانتشار « للعلم الشريف» يمكن أن نقول إنّه كان واسعا ليس لدى نخب المجتمع الذكورية التقليدية فحسب وإنّما في أوساط نخب يمكن أن ننعتها بالجديدة هي نخب بصيغة المؤنث.

وعليه فإنّ سيرة للا الشيخة المثالية تشي فيما تشي به بوجود تقليد نسوي في التنسك من «مستوطنات المساجد»، تقليد نسوي يعطي المرأة من « الحقوق»، وينيط بها من الأدوار، ما استثنتها منه الأعراف والتقاليد وأقصتها منه ذهنية ترسخت في عقول الرجال، وهو تقليد يبدو أنه ظل يحظى في المخيال الشعبي بقدر كبير من الإجلال وآية ذلك إصرار هذا المخيال، على انبعاث رائحة البخور من مقام هذه الوليّة العالمة بالربض القبلي من مدينة باجة العتيقة إلى اليوم، وفي كل حين، وإن لم توقد الشموع ولم يُجعل البخور !

للا عــزيزة الصمادحية: الجمال والكمال

- النسب والحسب:

هي السيّدة عــزيزة بنت الشيخ أبي الحسن عــلي بن محمــد الصمادحي أصيل قبيلة مصمودة بالمغرب الأقصى، ودفين مدينة باجة التونسية، «القطب الفرد» كما جاء في فرمان السلطان العثماني مراد الرابع لسنة 1034/1624 « منبع المعارف ودوحة العوارف، حضرة المطارف، الوليّ المكاشف والمنجد المساعف، كنز الأسرار ومعدن الأنوار والمزن المدرار، صاحب البركات وفيض العنايات، الشيخ المعتقد « كما قال الوزير السرّاج في «الحلل السندسية»، الملقّب بالسيّد و»مولى البلاد» و»مولى الحُرمة» و»زين الملبوس» و»فصل الميعاد»، وأستاذ أبي الغيث القشّاش وشيخه في «الطريقة وعلوم الحقيقة»، الشهير خاصة بدوره الحمائي للسكان من ظلم حكّام تونس الأتراك .

2. - 2 كمال الذات وكمال الصفات:

تميّزت شخصيتها إلى جانب عمق الانطواء على العالم الباطني وخوض رحلة الداخل بالديناميكية والانفتاح والفاعلية الاجتماعية تكنّى بأم خمار وبنت الأخيار، وقد كانت على قدر كبير من السحر والجمال ولاسيما من حيث طول شعرها واسترساله، وجاذبية وجهها ووسامته، وألق عينيها وجمالهما، ورشاقة قوامها واعتداله، حتّى قيل» إنها كانت، على شاكلة السيّدة المنوبيّة، من أجمل عباد الله» فتنة لكل من رآها.

أشهر رموز التصوّف النسائي المحلّي بمدينة باجة ومضرب الأمثال في الصون والعفاف، اشتهرت بحُسن الخلق وكمال الأوصاف لذلك لقبت بذات الكمال، كمال الذات وكمال الصفات.

3.2 - الجمال وكرامة الحياة:

أثرت عنها كرامات منها إصابة أحد الباعة المتجوّلين من الجالية اليهودية انبهر بما رآه مصادفة من جمال وجهها الفتّان، «إذا نظر إليها الناظرون يفتتنون»، من أجل ذلك كانت تصرّ على حجب حسنها عن الناس أجمعين، بهذا قضى السياق التاريخي والأعراف الاجتماعية والآداب العامة، أصيب، والخبر منقبي وليس خبرا تاريخيّا، بصعقة أفــقــدته بصره، ثمّ استعادته لعافيته بتمامها وكمالها فور صفحها عنه.

وتقول الأسطورة إنّ والد للا عــزيزة ذاته أي سيدي بابا علي، الوليّ الأنيق الملقب بزَين الملبوس هو الذي تولّى، في استدعاء واضح للمثل الأعلى الموسوي، إبراء هذا المصعوق بعد أن علم بحسن نيته وطيب طويته، مــرّر يديه على موضع الإصابة فتعافى معافاة دائمة وعاد إليه بصره في الحين، «كرامة» للولي» كما معجزة النبيّ بهرت الأبصار وحيّرت كلّ سحّار، ولذلك ستذهب ذريته مثلا في الشّفاء من اللطمة أو مداواة الملطوم.

ألا يقف بنا مدلول هذا الخبر المنقبي، علاوة على مهارات التطبيب والعلاج وتقديم الدواء للمرضى، حقيقة أو خيالا، وهي مهارات تشي بها السّيرُ الأنموجيّة لنساء صالحات أخريات على غرار « للاّ زهراء الطبيبة»، دفينة تستور، و» السيّدة محبوبة الحسَنيّة الشريفة» الملقّبة بطبّوبة الجدّة الأمّ لآل الطبّوبي الأشراف أحفاد المرابط عُقيل بن مسلم، على تقليد صوفي متجذر في التسامح حتى إزاء « الأغيار».

4.2 - النسوية المضمرة او كرامة الممات:

كما أثرت عن للا عزيزة الصمادحية كرامات في حياتها، على غرار السيّدة المنّوبيّة، ذكرت لها كرامات بعد مماتها، من ذلك أنّ الشيخ الحاج ميلاد الشريف (ت1844-1843/1259)، أشهر شعراء المديح الديني في عصره، لمّا وضع منظومته المدحية في «رجال باجة» اهتمّ بالصلحاء ونوّه بالعلماء، على غرار الشيخ بابا علي الصمادحي، والشيخ أبي الفضل قاسم الصمادحي، والشيخ محمد المغراوي بن جمال الدين، والشيخ محمد التواتي، والشيخ أبي الحسن علي القلصادي، حيث قال تمثيلا لا حصرا:

حالي مكبوس، من فقد بابا، علي بوكبّوس، مولى الحُرمة
زين الملبوس، نبغيه يجيني، فصل الميعاد
نجل الأسياد، يا بلقاسم، قطب الزهّاد، خبرك شايد
في كل بلاد، شوف لحالي، واجل الأنكاد
مغراوي نام، قوم بركة، وانصر الأحكام، أنا دخيلك
راني مضام نبغي نشوفك بين الأسياد
يا بوخامة، والتواتي، شيخ علاّمة، والقلصادي
علم وزعامة، والمغراوي مفقود بلاد

ولكن فاته أنّ « للنّساء أحوالا وزُهــدا وخيــرا

وصلاحا كما في الرجـال»، فاستثناهن بداية من الإشادة والتمجيد إلاّ أنّه سرعان ما استدرك أمره، عاد إلى قصيدته «ساكن بغداد» وأضاف إليها بيتين شعريين في مدح للا عـــزيزة ينضحان اعتذارا واستعذارا، وأدرجهما في مطلع مدحيته، جاء فيهما :

يا أمّ خْمارْ، يا عـزيزة، بنت الأخيار، ديما نناادي
قلبي محتار، غيثـي وليدك، ما عنـــــدو زاد

ويقال، فيما أُثر عن الجدود، وهذه رواية الشيخ خميّس الحسناوي (ت2022)، قيدوم الإنشاد الصوفي بمدينة باجـة والعرّيف بأشعاره وأوزانه، إنّ هذا الاستدراك قد تمّ على إثر «وقوف» وليّتنا على شيخ الطريقة ذاته في المنام وتذكيرها إياه في نبرة عتاب بأنّ « لها في مقامات الرجال ازدحاما « أي من المواصفات ما يجعلها قادرة على مساواتهم ومداناتهم في خصال القـدوة القيمية والسلوكية ومن ثمة الارتقاء إلى نفس المقامات التي يمكن أن يصلوا إليها إن لم تتفوق عليهم فيها، ألم يقل العارف علي بن بلقاسم المزوغي في المرابطة أمّ يحيى مريم المنياوية»: «أمّ يحيى خيـر من ألف لحية ولحية» بمعنى أنّها امرأة كألف رجل بل أفضل، وكذا كانت للا عزيزة الصّمادحيّة.

وقد كان ذلك أيضا سببا في إلحاق شخصية أخرى من شهيرات النساء المتصوفات المحليات بها ضمن من تمت الإشادة بهم من أخيار البلد ولم تكن تلك المرأة إلا السيّدة خديجة النوائلية.

5.2 - النساء كما الرجال:

على أنّ ما فات الشيخ الحاج ميلاد الجوّاني الغربي العَلَمي الشريف (ت 1844-1843/1259)، لم يفت شيخه محمد المنزلي(ت1832/1248) الملقب بالإمام ثاني مشاهير الطريقة القادرية بالبلاد التونسية، إذ قال فيها مادحا، وقد قدّمها في المقام وبالتالي في القيمة والمكانة والاعتبار على كثير من الرجال بل أكثر « الأخيار» ليس فقط من الأولياء «من أهل التصوف واليقين» وإنما أيضا على العلماء «من أهل الفقه والدين»، :

بببـــــاجة قوم خيّرون كـرام
عليهم من المولى رضى وسلام
أبوالحسن السّامي علي الصمادحي
له رفعة بين الورى واحترام
كذا نجله الأزكى أبو القاسم الذي
له في ذوي العز المكين مقـام
ومن نسله ذات الكمال عزيزة
لها في مقامات الرجال ازدحـــام

3 - زينب الحضرمية (ت 670/1271): غفيرة الساحل
النساء الصالحات أو صورة المعرفة الكاملة

هي والدة أبي علي سالم القديدي(ت 699/1300) الملقب بجوهرة الساحل. اعترف لها أبو هلال السدّادي بالوَلاية منذ وقت مبكر، وكان يستوصي بها ابنها سالف الذكر خيرا عندما كان يتردّد عليه بقلعة سدّادة (سيدي بوهلال، قرب دقاش) متتلمذا إذ كان « معها، فيما يذكر أبو القاسم بن ناجي(ت 839/ 1435)، سرّ الله عزّ وجلّ «، و»سرّ الله، كما يقول الشيخ الأكبر، يكمن في المرأة، ولمّا كان السرّ الربّاني في الاصطلاح الصوفي لا يعني غير الصورة الكاملة للمعرفة الصوفية فإنّ مترجمتنا تكون من أولئك العارفين الذين اختصهم الله بالعلم اللدني، وبالتالي بالمعرفة الكاملة كشفا وإلهاما.

2.3 - زينب الحضرميّة رابعة وقتها

ممّا يؤثر عنها، وبشهادة ابنها، أنها كانت « مجتهدة في العبادة « تتعاطى أشق الرياضات الروحية معتكفة بزاوية قديد بنواحي مساكن بمعية ابنها سالم القديدي(ت 699/1300) ورفيقه عمّار المعروفي(ت 668/1270)، دفين أريانة، لقوله: «ثم أخذت أنا وعمّار في الاجتهاد والعبادة، والوالدة مجتهدة معنا في ذلك».

ويلوح أنها بلغت في سلم التراتب الصوفي واحدة من أرقى الدرجات حتّى غدت كعبة القُصّاد يشدّ إليها «الصالحون» الرّحال من كافة أنحاء البلاد، وإذا ما وثقنا برواية ابن ناجي فإنّ السيدة زينب الحضرمية تكون قد أدركت من الصيت ما تجاوز مجال إفريقية

وتونس إلى المجال المغاربي وربّما الإسلامي العام إذ عدّها أبو علي محمد بن عبد اللّه بن عبد النّاظر الملولي، أحد معاصريها من الفقهاء المتصوفين، «رابعة وقتها « بل « رابعة [العدوية] في وقتها»، فـ» كان يزورها ويتكرر إليها في كل وقت... وكان الصالحون يزورونها من كل مصر «.

3.3 - للاّ زينب « غفيرة الساحل»

كما نجد في جنازتها من المؤشرات ما يدلّ على تأثيرها المعنوي في فقراء عصرها فضلا عن المكانة الروحية التي كانت تحظى بها بين أعلام أولياء إفريقية وتونس قاطبة فقد « جاء أهل الشّرف (= مساكن) للصلاة عليها، وكانت بلادا عامرة كبيرة فكبّر عليها نحو الستين (60) رجلا [= مسمّعا]... حتّى كان التكبير يسمع من ثلاثة (3) فراسخ دائرة بقديد».

وإذا ما سلمنا جدلا بصحة هذه المعطيات فإنّ عدد من صلّى عليها من الأتباع والمريدين كان لا يكاد يقع تحت حصر ذلك أنّه غطّى دائرة يقدّر شعاعها بما لا يقل عن أربعة وعشرين (24) كيلومترا كانت تتسع بلا شك لعشرات الآلاف من المصلين. ومهما كان الشك الذي يمكن أن يحفّ بمدى صدق هذا الرّقم فإنه يبقى عند أدنى حدّ دالا على مدى الإشعاع الذي كان لهذا الأنموذج الولائي النسائي في واقع التجربة الصوفية الإفريقية خلال القرن XIII/VII أو لم يكن لمترجمتنا من الشّأن بين معاصريها ومعاصراتها ما جعلها تسهم بشكل مكثّف في حلّ ما كان ينشب بين قرى السّاحل من خلافات حتّى لقّبت بغفيرة السّاحل .

4.3 - إمرأة ترفض أن يغطّى وجهها وشعرها

إذا كان خطاب المناقب قليل الاحتفاء بأخبار سيرتها الواقعية فإنه بالمقابل يركز على الجانب العجائبي في هذه السيرة من ذلك أنها كانت فيما يدّعي حفيدها ابن غانم الحضرمي « تتقلّب [لغاسلاتها] كيف يردن وتستر نفسها بيدها «، كما يروى عن ابنها الشيخ الوليّ سالم القديدي أنّه حينما « لحدها في قبرها، وحلّ العقدة

التي عند رأسها، وأراد أن يغطي رأسها... رفعت يده بذراعها تشير أن لا يغطّي وجهها ولا شعرها «.

والملاحظ أنّ جميع الكرامات التي ينسبها النصّ المنقبي إلى مترجمتنا هي كرامات، على غرار غالب كرامات عائشة المنوبية، ذات طابع أسطوري، ومن ثمّة تعلّقها بمماتها بل وانحصارها فيها ممّا يجعلها بالمخيال الصوفي ألصق وإليه أدعى، وهو المخيال الذي سيكيّف غالب السّير الأنموذجية لمختلف الشخصيات الولائية التي ستظهر خلال هذا العصر وسيطبعها بطابعه.

خاتمة

تظهر هذه النماذج من المرويات الشعبية والسّير الأنموذجية مدى نجاح المرأة في عالم الولاية والصلاح في بلوغ أرقى الدرجات الروحية وقدرتها على كسر الصورة النمطية التي كرستها لها « ذكورية المجتمع» وتشدد الفقهاء وذهنيات ترسّخت في عقول الرجال، بما جعلها، رغما عن الثقافة السائدة، تحظى بأشكال عالية من الاعتراف الاجتماعي بها وبمكانتها وبفاعليتها وتأثيرها في المجتمع، وارتقى بها إلى مقامات من التقدير والتبجيل والتعظيم تتساوى فيها مع الرجال بل قد تتفوق عليهم فيها.

تسجيل صفاقس بقائمة التراث العالمي لدى «اليونسكو»:

صفاقس تسيء الى ملفها، وقد تصبح غير جديرة بالتسجيل العالمي... !

د. رضا القلال

بناءات آيلة للسقوط في وسط باب البحر

ترددت في نشر هذا المقال لأنه مفتوح على كل الاحتمالات بما فيها السكوت عن هذا المشروع والهروب به الى الأمام، كما حصل مع مشاريع أخرى في صفاقس. واستعنت الحقيقة لضبط كل المحطات والمعلومات في هذا الملف بمرجعيات وبقراءات اخرى. والغريب انه لم تتحرك أية جهة بعد هذه المائدة المستديرة/ نقطة الاعلام، ولم نجد أي طرف قادر على تنفيذ مقترح الحكيم وسيم السلامي رئيس جمعية أبواب الداعي إلى جمع الأموال من المجتمع المدني لمساندة هذا المشروع ودعم وزارة الثقافة، مما يدل على انه ليس هناك أي جهة ماسكة بهذا الملف؟

منتدى صفاقس للفنون والثقافات يحرك ملفا نائما منذ سنة وعمره 12 سنة

منذ 2011 إلى 2023 وملف تسجيل صفاقس على قائمة التراث العالمي باليونسكو يراوح مكانه، رغم «نجاح» التسجيل على القائمة التمهيدية للمنظمة منذ سنة 2012. وفي 2013 تغير محتوى التسجيل، فلم يعد يهمّ المدينة التاريخية الأغلبية، وإنما الكتلة المعمارية التي تشمل المدينة التاريخية (24هك) وباب بحر(40هك) وانفتاحهما على البحر. وقد يتغيّر هذا العنوان مرّة أخرى، باقتراح من تونس أو من اليونسكو؟

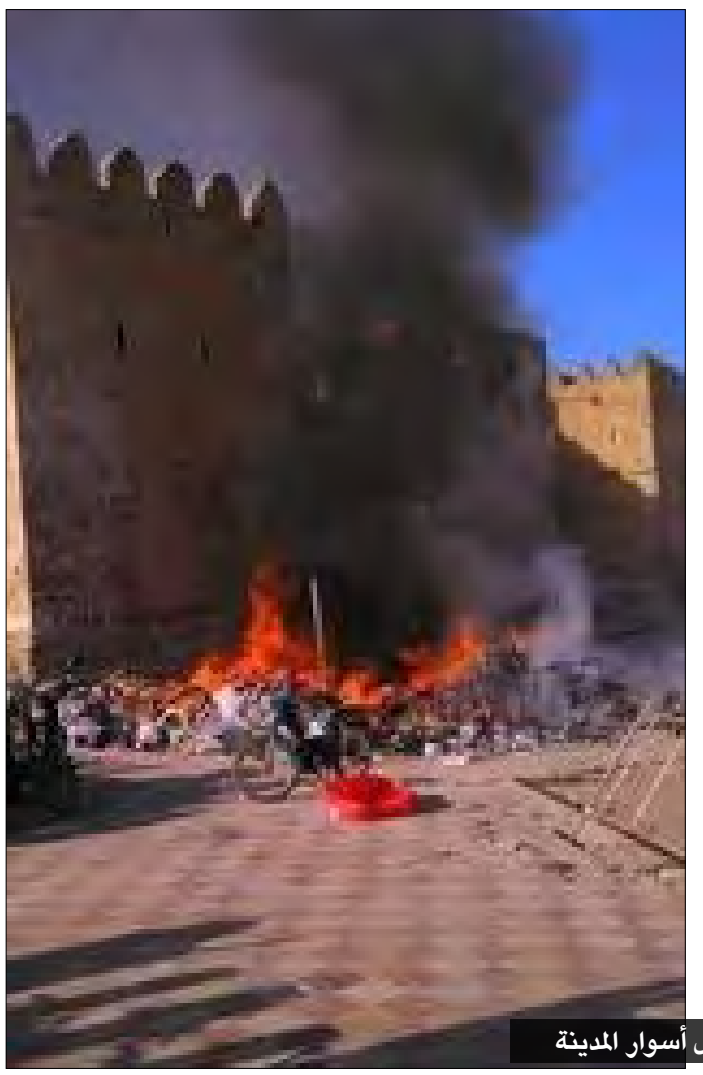

حالة مزرية داخل أسوار المدينة

لتحريك هذا الملف، ونبض الغبار عليه، والتأكيد على أهميته أمام صمت الأطراف المعنية، بادرت جمعية منتدى صفاقس للفنون والثقافات بصفاقس التي يراسها الأستاذ محمود دمق، وحشد من الجمعيات الأخرى (المركب الثقافي محمد الجموسي، الفضاء الثقافي فندق الحدادين، مركز الفنون الدرامية والركحية بصفاقس، صفاقس المزيانة...)، إلى تنظيم مائدة مستديرة هي بمثابة نقطة إعلام، وذلك ضمن فعاليات برنامج الدورة الثانية لتظاهرة «جسور وأجنحة». وتبين أن هذا ملف آخر بخس صفاقس وأهلها منذ 12 سنة! كما حصل مع «مشروع تبرورة» منذ حوالي 30 سنة!

وبعيدا عن القوالب الأكاديمية في التوصيف برئاسة الجلسة العلمية، سعدت بتيسير الحوار –وفق تقنيات الاتصال-بين المتدخلين والجمهور الحاضر. وبكثير من المعلومات والمعرفة بتفاصيل ومحطات هذا الملف، تحدثت د.أسماء البقلوطي منسقة هذا الملف، وشقيقها د. الناصر البقلوطي الخبير في التراث اللامادي، والمهندس المعماري الرئيس بتفقدية التراث بالساحل الجنوبي سفيان السويسي، المسؤول عن الإعداد التقني للملف وممثلا عن تفقدية التراث بالساحل الجنوبي (صفاقس، قابس، مدنين تطاوين). وقد كان المتفقد الجهوي في التزامات مهنية مع جامعة دورهام الإنجليزية في اطار مشروع شراكة من أجل التراث في تطاوين، وهي تابعة للمجال الترابي للتفقدية. وقد غابت عن هذا اليوم الإعلامي جمعية صيانة المدينة التي كانت في الصف الأول من الحريصين على إنجاح هذه المبادرة منذ سنة 2011 وقد يكون كبّلت أعمالها توقّف الدّعم المادي البلدي المعهود، وبالتالي قد يكون هذا السبب منعها من أن تكون حاضرة بقوة وبفاعلية في هذا الملف- كما يحصل في الولايات الأخرى- كما لم يحضر ممثل عن بلدية صفاقس ولا عن ولاية صفاقس.

عنوان التسجيل: «المدينة التاريخية المرفئية على الضفة الجنوبية للمتوسط»؟

وقد تبين من خلال الكشف عن أوراق هذا الملف وخطوطه الصاعدة/ النازلة أن المجتمع المدني بصفاقس كان هو صاحب الفكرة والمبادرة في تسجيل المدينة الأغلبية لصفاقس التي تعود إلى منتصف القرن التاسع للميلاد (العنوان الأول للتسجيل الذي رفض لأنه سبق تسجيل المدن التاريخية لتونس وسوسة والقيروان رغم أن مدينة صفاقس التاريخية لها خصوصيات فريدة بها).

تراث مادي

صور أخرى لواقع المدينة الآن

وبالرغم من ذلك فإن المجتمع المدني الذي ما انفك ينتقد (مركزيا) المعهد الوطني للتراث ووزارة الثقافة، إلا أنه بقي عاجزا (محليا) في الحفاظ على جمالية المدينة العتيقة وخصوصياتها، والمدينة الحديثة (باب بحر) ومميزاتها، وعدم نجاحه في التأثير على السلطة المحلية لإنقاذ الممتلكات التي ستترشح بها صفاقس على قائمة التراث العالمي. وهذا ما أكد عليه اجتماع جويلية 2022 بقصر بلدية صفاقس.

وتبقى وزارة الثقافة هي الطرف الرئيسي في هذا الملف بصفتها الممثلة للدولة التونسية والتي تحتاج طبعا إلى المجتمع المدني والعلمي للدعم والمساندة. وانقلاب الأدوار جعل هذا الملف لا يأخذ الصفة الرسمية وحظي فقط «بتشجيع» ظاهري لبعض وزراء الثقافة ومن الذين اهتموا بالموضوع نذكر عزالدين باش شاوش ومحمد زين العابدين والخبير في التراث العالمي د. مصطفى الخنوسي الذي دعم فريق العمل المتطوع بصفاقس من 2011 إلى 2013، ولكن خفت دعمه لأسباب قد يصرح بها في يوم من الأيام.

واتجهت مداخلات الحاضرين إلى التأكيد أن المجلس البلدي بصفاقس الذي غرق في دوراته السابقة في خصوماته وصراعاته، وعجز عن الحفاظ على المدينة التاريخية من الانهيارات ومن حرق السور أكثر من مرة، والامتناع عن ترميمه، وغض النظر عن «الفريب» في تشويه معالم المدينة وخاصة في منطقة القصبة المشحونة بالتاريخ (متحف العمارة التقليدية، بيماريستان ومدرسة سيدي عباس، جامع سيدي إلياس، مسجد سيدي مفتاح...)، وصمته عن المسلك السياحي، وعجزه في الحفاظ على باب بحر وخصوصياته التاريخية وربما تورطه من خلال اسناد الرخص للمباني المخالفة والإنتشار المفزع «للبرارك»، وكذلك تهاونه في الإساءة إلى المشهد الحضري للمدينة نظافة واعتناء بالمساحات الخضراء...

التسلسل الكرونولوجي للملف: وزارة الثقافة لم تمسك يوما بكامل الملف !

2011 تؤرخ لبدايات فتح هذا الملف

1 جوان 2012 يوم إعلامي بفندق الحدادين لقرار تسجيل المدينة ضمن القائمة التمهيدية للتراث العالمي، وكان آنذاك منير الفلاح هو المندوب الجهوي للثقافة بصفاقس.

19-16 ديسمبر 2013 تنظيم ورشة عمل أعدها المعهد الوطني للتراث من أجل ملف صفاقس، حضرها خبراء من التراث العالمي ومن تونس. الورشة انتهت بتغيير محتوى التسجيل العالمي من «المدينة العتيقة، إلى «مدينة صفاقس التاريخية المرفئية على الضفة الجنوبية للمتوسط»

9 ديسمبر 2019 اجتماع بوزارة الثقافة بإشراف الوزير محمد زين العابدين ورئيس بلدية صفاقس والاتفاق على تمويل المشروع.

14 فيفري 2020 اجتماع بولاية صفاقس مع نفس وزير الثقافة والتأكيد على دعم الملف

جويلية 2022 اجتماع ببلدية صفاقس بحضور مستشار وزيرة الثقافة والمدير العام للمعهد الوطني للتراث ورئيس بلدية صفاقس وفريق العمل وعدد من الجمعيات المساندة للملف. اجتماع ساده التوتر بسبب اللوم الموجه «للصفاقسية»، وسوء اختيار المكان وترأس الجلسة من قبل رئيس البلدية الذي كان في أسوأ علاقاته مع المتساكنين(أزمة النفايات، انقطاع الماء، انقطاع الكهرباء...) .

صورة من الجوّ للمدينة

وبالنظر إلى خارج هذه المائدة المستديرة التي اكتفت بلفت الانتباه، وتأثيث نشاط جمعياتي، ولم تستكمل عناصر هذا الملف مع الأطراف الحقيقية الفاعلة بدعوة أساسية لوزارة الثقافة وربما بالتحديد د.حميدة رحومة المسؤولة عن نقطة الاتصال بالمعهد الوطني للتراث مع اليونسكو، وهي في ذات الوقت عضوة بمجلس إدارة التراث العالمي في إفريقيا، والكاتبة العامة لمتصرفي التراث العالمي الافريقي. وتبين ان المعهد الوطني للتراث يشتغل على إعداد ملف تسجيل صفاقس في جانبه العلمي(المنسق د.ناصر البقلوطي) وجانبه الفني(المنسق د.سفيان السويسي) لتسليمه للمعهد الوطني للتراث قبل شهر جويلية القادم. كما أودع المعهد الوطني للتراث 30 ألف دينار لهذا الملف برصيد المجلس الجهوي لولاية صفاقس. وفي الأثناء قام المهندس المعماري الرئيس بالمعهد الوطني للتراث بصفاقس، في إطار إعداد الملف تسجيل صفاقس، بتربص تكويني في مدرسة التراث الافريقي بالكامرون وقدم الملف القني الذي بدا جيدا، ولكنه يحتاج الى إمكانات بشرية ومادية. وعلمنا ان وزارة الثقافة تنتظر انهاء التسجيل لملف جربة على قائمة اليونسكو (جويلية 2023 !) لتتفرغ بعد ذلك الى ملف صفاقس، لأنه لا يمكن تقديم ملفين في سنة واحدة. وفي صورة تسجيل ملف جربة يمكن تقديم ملف صفاقس في نوفمبر 2023 والانتظار سنة كاملة للحصول على النتيجة.

أمام الوضع التراثي المرير والحزين ... قد تصبح صفاقس غير جديرة بالتسجيل العالمي... !

الحقيقة أن ملف تسجيل صفاقس في قائمة التراث العالمي كأنه عاد إلى «النقطة الصفر»ويبقى اللاعب الرئيسي مرة أخرى أمام اليونسكو هي وزارة الثقافة، والوزارة بحاجة الى التزام الدولة (مجلس الوزراء) والى الاعتمادات اللازمة (وزارة المالية). وأن هذه الوزارة لم تقم بتعيين «فريق التنسيق الجهوي العلمي والفني» رسميا، وأن الفريق العامل لحد الان لم يحصل يوما عن أي تقرير أو محضر جلسة من الوزارة. وأكدت لنا منسقة الملف د. أسماء البقلوطي أنها تحصلت على مسودة تقرير من بلدية صفاقس عن آخر اجتماع في مقرها لإبداء الرأي فعبرت عن عدم قبول هذا التقرير المجانب لمداولات اجتماع جويلية 2022.

وبالاختصار المفيد، خسرت صفاقس كثيرا وكثيرا من النقاط في هذا الملف بسبب الإهمال المفضوح للمدينة العتيقة وباب بحر والانهيارات الحاصلة في هاتين الكتلتين المعماريتين (الانهيارات المتتالية في المدينة العتيقة والإساءة إلى خصائص المدينة وبابيها الرئيسيين-باب الجبلي وباب الديوان-، انهيار منارة بن رمضان، انهيار منصة الموسيقى، التداعي للسقوط لمقر صفاقس-قفصة، الوجه المشوه للمدينة فيما يعرف بالبنك التونسي، زحف «البرارك» المدمّر لجمالية المدينة ...)

وإذا تواصلت هذه الإساءات لتراثنا المعماري المادي، ولم تقف كل الأطراف بحزم وبقوة محليا أولا، ثم في أروقة صناعة القرار بالعاصمة، وأخيرا باليونسكو، فإن صفاقس قد تصبح غير جديرة بهذا التسجيل المرهون أيضا بزيارة خبراء اليونسكو الذين سيصدمهم الواقع المرير والحزين لصفاقس وتراثها. ويذكر ان خبراء اليونسكو قد يأتون بدون اعلام وينظرون في مدى مطابقة الملف الذي يدافع عن استثناء معماري – مرفئي في مدينة صفاقس لينضم الى قائمة تعد أكثر من1000 معلم أو موقع على البشرية أن تحميه وتحافظ عليه. فهل حافظنا على مدينتنا بشقيها التاريخي والحديث؟ وهل لدينا خطة للحفاظ على معالمنا في هذا الموقع ومحيطه بعد الحصول على هذا التسجيل كما يطلب منا ذلك؟

وفي المحصّلة يبدو لي ان ملف اليونسكو (اختصارا)، مشحون بجبل من العواطف، وبطبقات من الصراعات، وبمربع صغير من التقييم والعقلانية. فهل تملك البلدية ذرة حزم في إسناد الرخص العشوائية وفي إنقاذ القصبة وباب الجبلي وباب الديوان وفي الحد من التجاوزات المسيئة لمظهر المدينة التراثي والتاريخي والحضاري؟ الم تسئ بلدية صفاقس الى سور صفاقس الخالد بتحويل حديقة باب برج النار الى محطة تعيسة للسيارات؟ وفعلت نفس الشيء بحديقة السور المحاذية لباب القصبة؟ وحديقة برج القصر على شارع 18 جانفي هي الأخرى محطة للسيارات؟ وشط القراقنة .... وغير ذلك كثير.

حالة أسوار المدينة،.. بلا تعليق

عبد الرزاق كرباكة العلم المنسي

وناس بن يوسف

نظم منتدى الفكر التنويري التونسي الذي يديره الأستاذ محمد المي ندوة حول الشاعر والمسرحي والصحفي عبد الرزاق كرباكة شارك فيها الأساتذة حمدي الحمايدي والجليدي العويني ورشيد الذوادي والحبيب بن فضيلة وابتسام الوسلاتي ورشيد القرقوري وزهير الذوادي وأنس الشابي، وقد صدرت ورقات هذه الندوة في كتاب يحمل الرقم 26 ضمن سلسلة أعلام الثقافة التونسية، والذي تجدر الإشارة إليه أوّلا أن المشاركين في هذه الندوة ينتمون إلى أجيال مختلفة فمنهم الشيخ رشيد الذوادي صاحب التآليف الكثيرة والذي نشر كتابا له عن جماعة تحت السور وترجم فيه لكرباكة سنة 1975 أي منذ ما يقارب النصف قرن ومنهم شباب هم في بداية الطريق في ميدان التعريف بالتراث الفكري التونسي كالأستاذة ابتسام الوسلاتي التي سبق لها أن شاركت في ندوات المنتدى ونشرت دراسات في هذا المعنى ويعتبر التواصل بين الأجيال للمحافظة على إرثنا الفكري أهم منجز لهذا المنتدى لأنه يمكن قادة الفكر غدا من المحافظة على إرث الأسلاف المكتوب والمقول الذي نقلوه عنهم.

بعد الافتتاح الرسمي أدارت الأستاذة سناء إلاهي الجلسة الصباحية التي كان أوّل المتدخلين فيها الأستاذ رشيد الذوادي آخر حبات عنقود السلف الصالح من المشتغلين بالتعريف بالذوات التونسية وصاحب التآليف الكثيرة في نفض الغبار عن السابقين وقد تناول في دراسته موقع كرباكة في جيل الثلاثينات والأربعينات الذي عرف من الأسماء عددا بقي ذكرهم محفورا في الذاكرة التونسية وأكد على حضوره الشعري مختتما دراسته بشهادة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور فيه قال: «أما عبد الرزاق كرباكة فقد تكونت روحه الشعرية بقوة مراسه للأدب وشغفه بالفن البلاغي بذاته إذ تخرج على الشيخ مناشو فامتزج الميل البلاغي في نفسه بميول عواطفه الغريزية إلى الجمال والحب والأنس والمتعة فجرى في مسالك الحياة بنور الشباب حتى كان كما يقول هو عن نفسه (بسمة وجيع) ودمعة صريع يحرقني في البعاد وينهكني في السهاد....».

أما المحاضرة فقد كانت تحت عنوان «كرباكة والريادة في تطوير القصيدة الغنائية» وقد تناولت فيها الأستاذة ابتسام الوسلاتي جهود كرباكة في تهذيب الأغنية التونسية وتخليصها من التهميش الذي كانت تعاني منه منذ بداية القرن العشرين ممّا أدى إلى نفور المبدعين منها فتُركت من ثمة بين أدي شرذمة من الفنانين والملحّنين وواضعي الكلمات يعبثون بها فيسيؤون للذوق السائد هذا ما شرّع لإقصائهم باعتبارهم يشكلون خطرا على المنظومة القيميّة للمركز في ظل ظهور أغان سخيفة ومائعة وكانت ريادته في مجال الشعر الغنائي فخلف تراثا من القصائد الغنائية التي شكلت نقلة نوعية في هذا المجال كان لها أعظم الأثر في نهضة الأغنية التونسية.

المحاضرة الثالثة كانت تحت عنوان «كرباكة الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس» للأستاذ الحبيب بن فضيلة وهو باحث عُرف بإنتاجه الغزير في التعريف بالذوات التونسية ونشر تراثهم المشتّت في الجرائد والمجلات وقد تحدث الأستاذ عن كرباكة المجالسي وكرباكة الصحفي وكرباكة كاتب الأغاني وكرباكة المسرحي وكرباكة الكاتب القصصي وكرباكة الاجتماعي مختتما كل ذلك بالقول بأن كرباكة شاعر طرق جميع الأغراض المتداولة في عصره فكتب في الغزل والتأمل وفي المدح والرثاء والمناسبات وقد كان شعره صادق الإحساس عميق التجربة حيث تعتبر قصيدته بعيدة كل البعد عن التكلف، فشعره نابع من وجدانه معبّر عن مشاعره وأحاسيسه قد مزج فيه بين قوة الأسلوب وجزالة اللفظ وسلاسة التعبير وجمال الصورة ولم يكن كرباكة فقط ذلك الشاعر المنصرف إلى التمتع بملاذ الحياة بل كان شاعرا وطنيا.

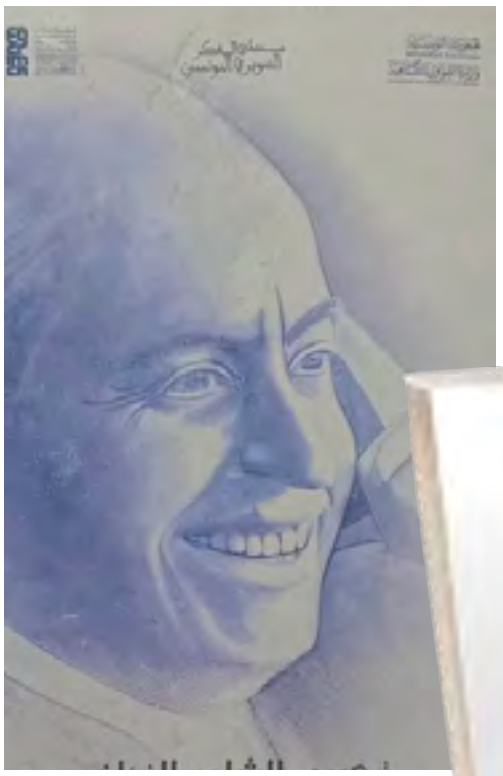

المداخلة الثالثة تحت عنوان «إنشائية الحياة في مسرحية ولادة وابن زيدون لعبد الرزاق كرباكة» للأستاذ حمدي الحمايدي الذي ارتأى في تحليله لهذه المسرحية أن يهتم بإنشائية الحياة والحب والموت بصفتها عنصرا طاغيا فيها ومثيرة للتساؤلات فقد حاول كرباكة أن يضفي بصمته الخاصة على مواضيع أزلية كهذه تناولها الفنانون بجميع أصنافهم منذ عهود غابرة وكان بذلك متفردا ومساهما فعالا في إرساء مسرح عربي تونسي.

أما الجلسة المسائية فقد ترأستها الأستاذة حنان جنان وتناول فيها بداية الشاعر الجليدي العويني بالبحث كرباكة الشاعر الغنائي من خلال مساهمته في الاجتماع التأسيسي وانخراطه في الرشيدية كما كان من أوائل المتعاملين مع الإذاعة منذ تأسيسها سنة 1938 إلى وفاته سنة 1945 وقد تغنى بأشعاره عدد كبير من أهم الفنانين التونسيين كعلي الرياحي والهادي الجويني والصادق ثريا وفضيلة خيتمي وفتحية خيري، ومن الجدير بالملاحظة أن الشاعر الجليدي العويني نشر قائمة في مصنفات عبد الرزاق كرباكة المصرّح بها في المؤسسة التونسية لحماية حقوق المؤلف وفي الإذاعة علما وأن كرباكة انخرط في منظومة حماية حقوق المؤلف بتاريخ 28 مارس 1942، كما نشر الجليدي قائمة في الملحنين الذين تعامل معهم كرباكة كالسيد شطا والهادي الجويني والبشير الغرايري وعلي الرياحي وفضيلة خيتمي وعلي السريتي وقدور الصرارفي وصالح المهدي ومحمد التريكي والصادق بن سالم والصادق ثريا.

المحاضرون في الندوة

المداخلة الثانية جاءت تحت عنوان «كرباكة في مرآة محمد الصالح المهيدي» لأنس الشابي وتناول فيها بالتحليل ترجمة المهيدي المنشورة في العدد الخاص بكرباكة في مجلة الثريا المنشور سنة 1945 عقب وفاته فذكر أن هذه الترجمة لم تكن على نفس النسق الذي اتبعه المهيدي في تراجمه لشخصيات أخرى مختتما دراسته بنشر مقطع مخطوط من دراسة لم تنشر بعد للمهيدي تحدث فيها عن دور كرباكة في تعيينه رئيس تحرير جريدة الزمان خلفا له بجانب بعض النتف الأخرى كدور كرباكة في انتخابات الحجرة التجارية التي ترشح لها محمد شنيق وسليمان الجادوي وعلاقته بمحيي الدين القليبي وحسين الجزيري وغيرهما.

المداخلة الثالثة للأستاذ في معهد الصحافة رشيد القرقوري وعنوانها «كرباكة والصحافة» تناول فيها دور المحتفى به في الصحافة التونسية رغم مشاغله الكثيرة في المسرح وكتابة الأغاني وغير ذلك مختتما دراسته بالقول بأن كرباكة كان مشاركا شعبه في كل محنه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية يعبر عن كل ذلك في مقالاته وأشعاره وأغانيه التي صدحت بها فتحية خيري ومن بينها قصيدته عن ترحيل المنصف باي التي جاء فيها:

بابورينو سرى ع النسمة
شرق موج الحي
هازز فوقو عز الأمة***سيدي المنصف بي

أما آخر مداخلة فكانت من نصيب الأستاذ زهير الذوادي وجاءت تحت عنوان «عبد الرزاق كرباكة وسياق التونسة والتجديد الثقافي» تناول فيها صاحبها الدور الذي لعبه المحتفى به في إثبات مفهوم التونسة فقد كان انتماء كرباكة إلى السياق التاريخي الثقافي لتأكيد الوطنية التونسية من خلال نزعته الأدبية التجديدية مثلما كان انتماؤه إلى المجتمع التونسي الكولونيالي يمرّ عبر مخالطته اللصيقة بما وسم بهامشية جماعة تحت السور التي لم تكن سوى تعبيرا عن رفض مجتمع الاحتقار لذلك كان سلوك كرباكة في الحالتين منطلقا من موقف خاص متميّز بروح النقد والبحث عن البديل الأرقى أو المأمول دون أن يكون ذلك على أساس التضحية الراديكالية أو العدمية الرافضة للماضي والحاضر والمستقبل في آن.

الجمهور الحاضر في الندوة

أنس الشابي وزهير الذوادي

في بلاغة المقموعين :

ندوة دولية ناجحة ومشروع بلاغي رائد

شفيع بالزين

احتضن المركز الثّقافي والسّياحي المتوسّطي بجزيرة جربة، مساء يوم السبت 27 ماي 2023، وبمبادرة من جمعية التنشيط الثقافي بجربة، تظاهرة ثقافية مهمة تمثلت في ندوة علمية دوليّة بعنوان في بلاغة المقموعين تكريما للأستاذ محمّد مشبال أستاذ البلاغة والنّقد الأدبي بالجامعة المغربية وبحضور المتوّجيْن بجائزة الشّيخ زايد الأستاذة جليلة الطريطر والأستاذ محمّد آيت ميهوب. ويندرج هذا المشروع البلاغيّ ضمن سلسلة من الأعمال تتوّج بإصدارات، وقد كان عنوان الكتاب الأوّل في بلاغة الأشكال الوجيزة تكريما للأستاذة نور الهدى باديس، وسيصدر الكتاب الثاني قريبا بعنوان «في بلاغة المقموعين».

اهتمت هذه الندوة بدراسة بلاغات المقموعين في علاقتهم بمدينة المركز ومدينة الهامش، هؤلاء الذين استعاضُوا عن سكنهم في المدينة بالبلاغة والحيلة على نحو مكّنهم من العيش في هذه الفضاءات التي كانت تطردهم وتنبذهم وتطرحهم إلى هوامشها. ولا غرابة في ذلك فالمدن قديما أو حديثا تقصي شرائح منبوذة من سكانها وتردّهم إلى الهامش، وتوسّع من دوائر الإقصاء وتخرج من دائرة النّفوذ والسّلطة كلّ من لم ينجح في الانتماء إلى نواتها الطّاردة الجاذبة في آن. وقد استنبط سكّان الهامش أشكالا تعبيريّة وبلاغات مختلفة عبّروا بها عن انتمائهم للمدينة أو عن رفضهم الإقصاء والتّهميش. وتمكن المقموعون عبر هذه البلاغات من أنْ يُثروا الإبداع مكتوبا أو مرئيّا، وأن ينوّعوا في أجناس الكتابة سردا وشعرا، صورة ومسرحا أو سينما. ومن القضايا المهمة التي انشغلت بها الندوة علاقة البلاغة بالهامش والمركز وأواصر التّرابط بينها وبين المقموعين فيها. ونظرا إلى تعارض البلاغة مع القمع وحجب الصّوت وحظر كلّ أشكال التّعبير عن الذّات، انبثقت البلاغة من صراعها مع القمع. وعندما نتحدّث عن بلاغة المقموعين فإنّنا نتحدّث عن صراع تاريخيّ بين فئة تنزَعُ إلى فرض بلاغتها ثقافيّا واجتماعيّا واقتصاديّا وفئة أخرى تسعى إلى مقاومة هذه الهيمنة واستثمار المساحة المتاحة لها لإسماع صوتها المكتوم وتبليغ موقفها المقموع.

وقد وقع تناول بلاغة المقموعين من خلال ثلاثة محاور كبرى وهي الأدب العربي القديم والأدب العربي الحديث والحضارة والفنون وضمن هذه المحاور انعقدت ثلاثُ جلسات علمية تضمنت ستّ مداخلات تناولت بلاغة المقموعين من زوايا مختلفة (بلاغية- أدبية- حضارية- فنية...) واشتغلت على مدونات متنوعة قديمة وحديثة. وقد تخللها معرض تشكيلي للفنانيْن الطيب زيود ونور الدين زيود. أما المداخلات العلمية فكانت كما يلي:

- اهتمّ الأستاذ محمّد مشبال (جامعة تطوان) ببلاغة المقموعين في أدب الجاحظ فأبرز في مداخلته كيف سخّر الجاحظ كفايته البلاغيّة لإظهار المتع الحسّية في حياة النّاس في القرن الثّالث الهجريّ، فالنّظر إلى المرأة ومحادثتها ومفاكهتها ومصافحتها والاستماع إليها مغنّية والاستمتاع بصوتها، ليس خروجا عن الدّين واجتراء عليه كما يذهب إلى ذلك الفقهاء المتشدّدون، فالمرأة وإن بدت مهمّشة في رسالة القيان للجاحظ فهي جزء من حياة النّاس اليوميّة، لم ينجح المتعصّبون من منعها وطردها خارج أسوار المدينة.

- واهتم الأستاذ علي البوجديدي (جامعة قابس) ببلاغة المقموعين في أدب التوحيدي وكشف ما زخرت به تلك الفضاءات الموصوفة من عيّارين ومكدّين وسرّاق ليل ومحتالين، وكان التوحيدي بذلك مواصلا مشروع أستاذه الجاحظ في الاشتغال على سرديّة المقموعين وبلاغتهم التي لا يعرف كنهها إلاّ من أنصت إلى ثراء تجربة أهلها وحرارة أقاويلهم ونوادرهم.

- تطرّقت الأستاذة جليلة الطّريطر (جامعة تونس) إلى بلاغة هوية الجندر الأنثوية والهوية الضديدة لها، فتفحّصت آليّات إنتاج الهويّة الفرديّة في عبورها الخطابي من السّيرة الذاتيّة إلى المحكيّ الرّوائيّ، وقد خصت دراستها بسياق نسويّ يعنى بتفحّص خصوصيّات كتابة الهويّة النّسائيّة لأنها هويّة متّصفة بالانشطار الحادّ والتوتّر المتّصل لتعايش المكوّنات الضديّة في تركيبتها الذهنيّة والنفسيّة والسلوكيّة على حدّ سواء. لذلك اضطلعت المرأة الكاتبة بمهمّة إفراز هوية ضديدة للجندر/ ضدّ جندريّة قادرة على امتصاص ثنائيّات هويّة الجندر المشفّرة اجتماعيّا، وفسح مجال جديد لإنتاج الهويّة الفرديّة بما هي نابعة بالأصالة عن شخصيّة المرأة الإنسانيّة ومكوّناتها الفرديّة المائزة. وقد بيّنت الباحثة مدى اتّصال هذا الطّرح جوهريّا بمسألة صراع المركز والهامش اتّصالا وثيقا، لأنّ هويّة الجندر الأنثويّة هي بالأساس هويّة من تقنين المركزيّة الأبويّة المتمتّعة بالسلطة الرمزيّة والماديّة العليا، فهي التي تتفرّد بتحديد المواضعات الاجتماعيّة بأنواعها وترسم التراتبيّات الجندريّة والأدوار الاجتماعيّة وما شابهها.

- اهتم الأستاذ محمّد آيت ميهوب (جامع زايد) بالشّخصيات الهامشية في أدب البشير خريف وبين سماتها ودلالاتها الرّمزيّة الاجتماعية والسياسية وانتهى إلى أنّ الكاتب البشير خريّف نفسه كان أديبا مهمّشا.

- اهتم الأستاذ زهير تغلات (جامعة قفصة) ببلاغة الفرقة الهامشيّة في الفكر الإسلامي القديم وكشف كيف كان الغلوّ منزعا بلاغيّا في أدبيّات الفرق الهامشيّة وعرض في مداخلته لنماذج من الفرق الغاليّة المقموعة عند الخوارج والشّيعة على وجه الخصوص، وكشف أنّ بلاغتها تجلّت في مخالفة مجمل العقائد والمقالات التي أنشأتها الجماعات الإسلاميّة الأصول في دعائم الدّين فليس يخفى أنّ الغلو في خطابات الفرق الهامشيّة المقموعة والمقصاة عن المركز أضحى منزعا بلاغيّا للدفاع عن الوجود المهدّد.

- سلط الأستاذ المنّوبي زيود الضّوء على ظاهرة حديثة اتخذت من الرّسم على الحائط فنا لها وأصبح المنتمون لها يعرفون برسامي الغرافيتي. وهم يعانون من التهميش الفنّي و ا لا جتما عي فضلا عن قمع السّلطة السّياسي الرّمزي والمادّي.

ولعل القاسمَ المشترك بين هذه المداخلات التي تناولت بلاغة المقموعين سَعْيُها إلى الكشف عن الصّور المختلفة التي تَشكَّل بها المقموع في الثّقافة العربيّة قديما وحديثا، ورصدِ التّشكُّلات الخِطابيّة النّوعيّة المختلفة للمقموعين في ثقافتنا. ووفق هذا الخيط النّاظم أبانت مداخلات المشاركين عن أشكال وأنواع من بلاغات المهمّشين، وبحثت في استراتيجيّات الرّفض والتّعبير وأماطت اللّثام عن أنماط من المهمّشين، وأجناس من الأدب الهامشيّ، وتطرّقت إلى صور من المقموعين وعَرضت للفضاءات الهامشيّة وعلاقتها المتوتّرة بالمركز ونظرت في القصّ وفي النّوادر وفي استراتيجيّات السّخرية والهزل لمداراة المركز والتفلّت من إساره.

وبناء على هذا المنجز العلميّ فإنّ المشاركين في أعمال هذه الندوة قد ساهموا فعلا في إعادة كتابة البلاغة العربيّة بما هي إنشاء خطابيّ وطاقات تعبيريّة وأصوات منبوذة تتوق إلى فرض ذواتها في سياق هيمنة بلاغة رسميّة عملت على تمثيل تاريخ الثّقافة العربيّة بإقصاء ما يشذُّ عن معاييرها. وتطمح هذه النّدوة- زيادة على الكتاب الذي سيضم أعمالا أخرى- إلى أن يكون انخراطها في دراسة بلاغة المقموعين مساهمةً جادّة في مسار الكشف عن منطقة ثريّة في جغرافيّة ثقافتنا العربيّة القديمة، بما يسهم في تقديم رؤية إنسانيّة أرحب للعالم الذي نعيش فيه، هذا العالم الذي تأبى بعض قواه إلاّ أن تمارس سياسة الإقصاء والنبذ والقمع، وتأبى بلاغة المقموعين إلا أن تمارس سياسة النقض والمقاومة والرفض.

بمشاركة 12 بلدا:

المهرجان الدولي لفن السيرك وفنون الشارع ينتظم من 11 إلى 25 جوان 2023

صالح السويسي

عقدت الهيئة المديرة للمهرجان الدولي لفن سيرك وفنون الشارع ندوة صحفية، اليوم الجمعة بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي، تمّ خلالها الكشف عن برنامج الدورة السادسة للمهرجان التي تسجل مشاركة 12 بلدا هي تونس وموريتانيا وإيطاليا والبرتغال واسبانيا والسينغال وبوركينا فاسو والكوت ديفوار والكامرون والأرجنتين والشيلي والبيرو.

وتُقام الدورة السادسة للمهرجان الدولي لفن السيرك وفنون الشارع بتونس من 11 إلى 25 جوان 2023.

وتجوب دورة هذا العام 10 ولايات ستُستهل من مدينة المرسى بولاية تونس يوم 11 جوان، ثم ينتقل المهرجان إلى ولايات بن عروس يوم 12 جوان، ثم ولاية سليانة يوم 14 جوان، اليها ولاية صفاقس يوم 16 جوان حيث يقام العرض في جزيرة قرقنة، ثم ولاية المهدية يوم 17 جوان.

ويحط المهرجان الرحال بمدينة سوسة يوم 18جوان، ثم ينتقل إلى مدينة أريانة يوم 21 جوان فولاية الكاف يوم 22 جوان وبنزرت 24 جوان، ثم يسدل الستار على هذه الدورة من ولاية زغوان يوم 25 جوان حيث سيحتضن معلم معبد المياه بزغوان المدينة العرض الختامي.

ويتضمن العرض الدولي الرسمي للمهرجان، الذي سيجوب الجهات المذكورة مجموعة من الألعاب البهلوانية الخطرة كالمشي والتأرجح على الحبال واستعمال الدراجة ذات العجلة الواحدة والألعاب الاستعراضية بالنار والاعتماد على بنية العضلات لتركيز هرم بشري وغيرها من الألعاب البهلوانية والمهارات الفردية والثنائية والثلاثية التي تحبس أنفاس المشاهدين على مدى ما يزيد عن 90 دقيقة.

وإلى جانب العرض الدولي الرسمي، تحدّث المدير الفني للمهرجان منتصر بن قاجي عن برمجة مجموعة من العروض الموازية في هذه الجهات، إلى جانب مجموعة من الأنشطة والفقرات الأخرى التي دأب المهرجان على تنظيمها سنويا على غرار قرية الفنون التي تتضمن ورشات تدريبية حول فنون السيرك وجولات افتراضية في المواقع الأثرية وكذلك تنظيم عروض ترفيهية متنوعة لفائدة الأطفال والكهول.

وقال بن قاجي إن 20 فنانا من محترفي فن السيرك سيحظون بإقامة فنية على مدى أسبوع، حيث سيكتسب المشاركون أهم المهارات في هذا الفن إلى جانب تطوير أدائهم وتبادل الخبرات مع المكونين الأجانب. وأضاف أن المهتمين الهواة بفن السيرك سيتم تمكينهم من تربص مفتوح في فن السيرك على مدى أيام 18 و19 و20 جوان بدار الثقافة ابن رشد بالمحمدية من ولاية بن عروس.

ودعما للسياحة التونسية والترويج لها، عمل أفراد الهيئة المديرة على تصوير الومضة الإعلانية للمهرجان في مواقع أثرية ومعالم تاريخية وسياحية للترويج للوجهة التونسية. وأكد عضو الهيئة علاء الدين العريضي أن مجموعة من الجولات الاستطلاعية والترفيهية ستنتظم لفائدة الوفود من ضيوف المهرجان، مشيرا إلى أن الصور والفيديوهات التي سيلتقطها ضيوف تونس من الدول المشاركة في المهرجان ستساهم في الترويج لتونس وللسياحة التونسية، مؤكدا أن فناني السيرك الأجانب يحظون بمتابعة عالية على الشبكات الاجتماعية.

تحدث المدير الإداري للمهرجان هيثم قصداوي عن صنع خيمة سيرك عملاقة بمواصفات وأيادٍ تونسية تتسع لحوالي 800 متفرج، وهي جاهزة منذ أشهر ولم

يتم تركيزها إلى اليوم لعدم وجود فضاء يحويها. وعبّر عن أمله في دعم وزارة الشؤون الثقافية لهذا المشروع، لافتا إلى أنها «أول خيمة من نوعها في العالم العربي ونأمل رفع العلم الوطني فوقها».

وبيّن القصداوي أن المنظمين حرصوا في هذه الدورة السادسة على تقديم محتوى جديد وراق يلبي انتظارات الجمهور وعشاق فن سيرك الشارع من خلال العمل على التكوين والإقامات الفنية التي من شأنها أن ترتقي بفن السير ك في تونس وتروّج له نحو العالمية.

وتأسس المهرجان الدولي لفن السيرك وفنون الشارع سنة 2018، وهو يعتبر الأول من نوعه في العالم العربي وافريقيا. وتنظمه سنويا «بابا روني لفنون السيرك».

لو اجتمع الجن والإنس
وأكبر المصممين في
العالم لما استطاعوا
تقليد وتنسيق هذا
المنظر المهيب وترتيب
كل هذه الألوان ..
سبحان الله العظيم!!!
(هذا خلق الله فأروني
ماذا خلق الذين من دونه)
Sevgi Pınar

السينما التونسية: النشأة والبدايات

بهيجة بالربيع بنرقية

في نهاية تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادي، ظهر فن"السينما" . الجامع لكل الفنون على يد الأخوين لويس وأوغست لوميير هما اللذان صنعا أول كاميرا سينمائية، وأول جهاز عرض سينمائي عام 1895.

وبهذا الحدث المهم بدأ تاريخ انشاء الفن السابع في العالم . لم تكن الأفلام في بدايتها بالطول الذي نعرفه اليوم ،فالفيلم الأول في تاريخ السينما "مشهد حديقة راوند هاي" (Roundhay Garden Scene)،لم يتعدّ طوله 2.11 ثانية. وهو عبارة عن مجموعة من الصور التي تم التقاطها وتمريرها بحركة سريعة جدا بحيث تكون مشاهد سلسة مترابطة ومتحركة . فاذا علمنا أن أول فيلم صور في العالم كان سنة 1898 وأن وصول السينما الى تونس كان قبل ذلك بسنتين أي سنة 1896 أي بفارق سنة واحدة بعد اختراع كاميرا التصوير فلا شك أننا سنشعر بالفخر والدهشة معا ، اذ كيف لبلد صغير مثل تونس ينوء وقتها تحت براثن الاستعمار أن يكون سباقا لأحد أكبر المجالات الفنية في العالم ؟؟

وصول فن السينما الى تونس

بدايات السينما التونسية لم تخل من مفارقات ،فتونس آنذاك لم تسع وراء ذلك الاختراع ولم يكن من أولويات أهلها أن يكتشفوا هذا المولود الجديد بل إن هذا الاختراع سعى اليها. ذلك أنّ الأخوين لوميار أوفدا بعض مصوّريهما في الأشهر التي تلت أول عرض للcinematographe في ديسمبر 1895 ليلتقطوا مشاهد لبعض المواقع الهامة في تونس العاصمة مثل قصر الباي وباب سويقة وباب الخضراء وباب سعدون. وقد لعب موقع تونس الجغرافي وما تميزت به من خصائص طبيعية وارث حضاري كبير دورا كبيرا في جذب المصورين والمخرجين ، بدأت بزيارة الرسام السويسري" بول كلي" لبلادنا سنة 1914 وما لاحظه مندهشا من جمال نورها عند انعكاسه على معمارها وطبيعتها مما جعله يحاول تخليد ذلك في لوحاته عن القيروان والحمامات وسان جرمان . لاقت أعماله اعجابا كبيرا مما سلّط الضوء على تونس وعرف بها وبسحر ما تحتويه من مناظر طبيعية فأقبل عليها المخرجون والمصوّرون ليستطلعوا سرّ ذلك النور المبهر مما جعلها وجهة لتصوير الأفلام وهو ما أسهم في تكوين جيل من الفنيين الذين استفادوا من خبرة الفرق الأجنبية وسيكون لذلك انعكاس ملموس على السينما التونسية في طور لاحق عندما ستدور عجلة الإنتاج وإن بنسق بطيء وغير منتظم.

من هو ألبير شمامة شكلي ؟

للتعرف على تاريخ السينما التونسية لا بد من الرجوع قرن من الزمن الى الوراء ولا بد من ذكر الأب الروحي والمؤسس الأول للفن السابع في تاريخ الدراما التونسية ألبير شمامة شكلي الإسباني الجذور التونسي المولد والنشأة (1872 الى 1933) .لقد كان لهذا الرجل الفضل في ولادة الفن السابع في مطلع القرن العشرين ،وجعل ابنته هايدي التي ورثت عنه وعن والدتها حب الفن أول وجه نسائي تونسي يظهر على الشاشة في تلك الفترة التي تتسم بنوع معين من العادات والتقاليد التي تحارب وجود المرأة على الساحات العامة فما بالك بالساحة السينمائية والفنية .

قام شمامة في 29 أكتوبر 1896 (أي سنة فقط بعد عرض الأخوين لوميير بباريس) بأول عرض سينمائي بتونس، احتوى على فيلمي "الساقي مسقي " و"وصول قطار بمحطة لاسيوتا" . تحصل عام 1900 على الميدالية البرونزية للتصوير في المعرض العالمي لعام 1900.قام بتصوير فيلم وثائقي عن مدينة تونس من منطاد عام 1908، وبتصوير أشرطة وثائقية وصور ملونة للجيش الفرنسي في فردان أثناء الحرب العالمية الأولى. كما قام عام 1922 بتصوير فيلم روائي قصير بعنوان زُهْرَة، وأصبح بذلك أول سينمائي «محلي» في أفريقيا.كما أخرج عام 1924 فيلم عين الغزال ومثلت ابنته هايدي تمزالي في كلا الفيلمين .

تمكّن شمامة شيكلي بكل هذه الأعمال من أن يجعل تونس رائدة في مجال الانتاج الدرامي آنذاك .واستطاع أن يحتل المرتبة الثانية في مجال الانتاج السينمائي بعد سنوات قليلة من عرض أول فيلم روائي طويل في العالم وهو فيلم "مولد أمة " ل" David Wark Griffith " الذي يعتبر أبو السينما في ادبيات تاريخ الدراما في العالم.

والمفارقة أن باحثين من جنسيات مختلفة مولعين بالتنقيب على التراث السينمائي الكوني يعكفون على تقصّي تراثنا السينمائي وخاصة أعمال ألبير شمامة الغزيرة في مخابر مختلفة في فرنسا وايطاليا. والمفارقة الثانية أنّ سينيمائيي مدينة بولونيا بايطاليا بصدد جمع ورقمنة عدد من أفلام المخرج الرائد ولسائل أن يسأل عن سبب اهمال السلط التونسية وأهل الاختصاص لهاته الشخصية الهامة وعدم اعطائها الأهمية التي تستحقها ، لا نجد أي معلم أو شارع أو تظاهرة ولو رمزية لاحياء والتعريف بما قدمه هذا الرجل لميدان الفن في تونس .

عاش شمامة شيكلي وعمل ومات في تونس وهو مدفون في مقبرة اليهود والنصارى في بورجل monplaisir.

وغنيْ عن القول أنّ سكان تونس من مسلمين ويهود وغيرهم من الأعراق على اختلاف جنسياتهم كانوا يعيشون في انسجام تام ولم تنشأ أسباب الفرقة بينهم إلّا بعد زرع دولة إسرائيل في فلسطين بحدود غير معلومة لحدّ اليوم ،وهو ما يفسّر التعتيم الذي أحاط بمنجز شمامة شيكلي كواحد من رواد السينما في العالم.،وابنته هايدي تمزالي شيكلي التي قامت بأدوار بطولية وكذلك ألفت سيناريوهات منها سيناريو فيلم " زهرة " وهو أول فيلم تونسي وثق لحياة التونسيين في البادية رغم أنه لم يخل من محاولة الترويج لصورة الجيش الفرنسي أنذاك .

ومن الجدير بالذكر أن لوجود الجاليات الأجنبية المتعددة الجنسيات كالمالطية ، والايطالية ، والفرنسية ، واليونانية ، والاسبانية وغيرها كان له أثرا كبيرا في تفتح تونس والتونسيين عموما على رياح التحول خاصة في الغرب الأوروبي لتعدد الثقافات الناتجة عن اختلاف المرجعيات الثقافية والاجتماعية لساكنيها ، فتكونت بذلك نخبة مثقفة من يهود تونس الذين ينتمي إليهم المخرج ألبير شمامة ، كما يجدر الاشارة أيضا الى أن اعتبار فرنسا لتونس مقاطعة تابعة لها (مستعمرة فرنسية منذ 1881) فإن ما كان يحدث في فرنسا يجد له انعكاسات وأصداء في مستعمراتها خصوصا القريبة منها جغرافيا. ويمكن القول أن تونس قد عرفت السينما بشكل متزامن مع الدول الأوروبية وأمريكا ،خلافا لكل الدول العربية والافريقية والإسلامية الأخرى , حتى أنها سبقت السينما المصرية . فرغم ما نراه اليوم من طفرة كبيرة على مستوى تاريخها الإنتاجي وكم الجوائز المسند لهذا المجال عندهم ،فان الفن السابع ظهر في مصر بعد تونس بسنوات ، اذ سجلت بداية السينما في القاهرة في 20 يونيو 1907 مع تصوير فيلم صامت قصير عن زيارة الخديوي عباس حلمي الثاني إلى معهد المرسي أبو العباس بمدينة الإسكندرية.

سينما ما بعد الاستقلال

بعد حصول تونس على الاستقلال وفي وجود النزعة القومية العربية وكذلك انتعاش المد الاسلامي وقع كبح الانتعاشة الثقافية الفنية . وأصبحت ترضخ تحت قيود أخلاقية دينية ، قومية مما أثر سلبا على المردود العام للدراما التونسية اذ لم يكن للعرب المسلمين دور لافت فيها إلى غاية ظهور أول فيلم تونسي في ظل دولة الاستقلال بعد 44 عاما من فيلم "زهرة" وهو فيلم "الفجر" للمخرج عمار الخليفي الذي أنتج في العام 1966 لتبدأ من هناك مرحلة جديدة شهدت لاحقا عددا من الحلقات الحاسمة في مسارات الفن السابع في تونس اذ أصبح مقوّما من مقوّمات المشهد الثقافي خصوصا بعد أن عرضت الأفلام المصرية الأولى التي أقبل عليها الجمهور إقبالا شديدا وأصبح الاستغلال السينمائي وإنشاء القاعات السينمائية تجارة مزدهرة انتقلت من العاصمة والمدن الكبرى إلى مختلف مناطق البلاد التونسية. الشيء الذي شهد تقهقرا كبيرا في مرحلة متقدمة بسبب تقلص الاعتمادات المخصصة لمجال السينما ،وتقلص عدد قاعات العرض في المدن التونسية الكبرى وانعدامها في المدن الصغرى والقرى ،واخضاع نشاط الانتاج السينمائي الأجنبي الى الآداء على القيمة المضافة ،والتوقف عن سن تشريعات جديدة ومراجعة التشريعات القديمة .

سينما ما بعد "الثورة"

نشطت الحركة السينمائية بعد " الثورة "، رغم الاحباطات التي شاهدتها الكثير من الأعمال العملاقة التي كانت مشاريع لمخرجين تونسيين كبار مثل شوقي الماجري ومحاولته انتاج وإخراج فيلم يؤرخ لمسيرة "علي بن غذاهم " ومحاولة عبد اللطيف بن عمار انجاز فيلم مشترك بين الجزائر وتونس يؤرخ للحمتيهما في مقاومة الاستعمار الفرنسي التي نقشت بدماء التونسيين في فيفري 1958 بساقية سيدي يوسف حيث أغارت الطائرات الحربية على المواطنين يوم السوق الأسبوعية ليحققوا أكبر عدد من الضحايا عقاباً لهم على تعاونهم مع رجال المقاومة الجزائريين . تحمست الحزائر للمشروع وأبدت استعدادا كبيرا لضخ مبلغ هام له ،بينما أحبطت وزارة الثقافة التونسية آمال هذا المخرج ليموت بحسرته ليلة ذكرى هاته الحادثة بالذات ، حاملا معه حلمه الكبير وهو المعروف بمنافسته الشرسة للأعمال السينمائية العالمية والسباق نحو أكبر المهرجانات الدولية كما مهرجان كان .

وبذلك نفهم أن السينما العربية كانت مرادفة لصناعة السينما المصرية الا أن تونس الدولة الواقعة في شمال إفريقيا كانت مسؤولة عن أكبر إنتاج سينمائي في المنطقة مما دفع الممثلين العرب مباشرة إلى هوليوود .و استطاعت جارة مصر المتواضعة أن تنجح في انشاء افلام محترمة خاصة بها على مر السنين. نمت على نطاق واسع على الرغم من افتقارها إلى شهرة الصناعة. قد يعود ذلك الى الموضوعات التي تتناولها هذه الأفلام والتي تعدّ من المحرمات في المنطقة ، والتي جعلها تطير الى "كان" بأجنحة من ذهب مثل فلم " بنات ألفة " لكوثر بن هنية. هذا الفلم الذي اختاره مهرجان كان الدولي للتنافس على السعفة الذهبية وهو حدث نادر لم تشهده تونس منذ نصف قرن.

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

السينمائي التونسي الشاب نصرالدين رقم يتوج في مهرجان الأطلس بالمغرب

تحصل فيلم "حياتي ليك" إخراج نصر الدين رقم على جائزة أحسن اخراج في مهرجان الأطلس للفيلم الدولي بالمغرب.

ويشار أن جمعية إيموزار للإبداع الفني بإيموزار كندر نظمت الدورة الأولى من مهرجان الأطلس للفيلم الدولي من 26 إلى 28 ماي الفارط .

ويسعى هذا المهرجان لتأكيد هويته الأمازيغية وأن يكون موعدا سينمائيا سنويا منفتحا على سينما العالم، واستقطب مختلف الفعاليات السينمائية من مخرجين وكتاب ومنتجين ونجوم

وتميزت هذه الدورة بانفتاح المهرجان على محيطه..وانتظم المهرجان بمدينة بإيموزار كندر وضمت عروض وأفلام المسابقة التي تنافس فيها إحدى عشر فيلما قصيرا مثلت تسع دول للظفر بالجائزة الكبرى ، وجائزة السيناريو، وجائزة الاخراج،

وترأس لجنة تحكيم المسابقة الكاتب والمخرج السينمائي الدكتور بوشعيب المسعودي إلى جانب الممثل والاعلامي والمخرج رشيد الحجوي والكاتب والناقد السينمائي مبارك حسني، والممثل ومساعد المخرج زكرياء عاطفي.

ويذكر ان المخرج نصرالدين رقم الفائز بجائزة أحسن إخراج في مهرجان الأطلس للفيلم الدولي هو شاب تونسي من ولاية قابس متحصل على ماجستير الكتابة والاخراج من المدرسة العليا للسينما والسمعي والبصري بقمرت...شاب رسم طريقه بتألق كبير. قام باخراج عدة افلام قصيرة وبرامج تلفزية وأعمال في مجال الصورة والاشهار .كما لديه عدة سيناريوهات لأفلام طويلة .وهي مشاريع جاهزة لخططه المستقبلية. انطلق نجاحه الحقيقي في سنة2022... ومن اخرأعماله فيلم "طريق الموت" الذي تحصل على جائزة لجنة التحكيم في مهرجان سينما الشعوب بالمغرب وجائزة أفضل سيناريو بالمهرجان الدولي"عين اسردون" .كما أخرج ايضا هذا الفيلم الروائي القصير " حياتي ليك" الذي تحصل به ايضا على جائزة أفضل فيلم قصير في مهرجان الشاشة الرابعة بالمملكة المتحدة...كما تحصل المخرج على جائزة أفضل فيلم قصير في المهرجان الدولي للفيديوهات التوعوية بسوسة للعام الثاني على التوالي عن فيلمه"الأمل 619 .هذا بالاضافة الى جائزة أفضل فكرة وسيناريو واضاءة عن نفس الفيلم.. وتم عرض فيلما " حياتي ليك " و" طريق الموت" في عدة مهرجانات دولية.ويسعى المخرج من خلال مشاركته لتحقيق جوائز أخرى تضاف الى مسيرته الاحترافية.

فيلم " روابطنا" من بطولة التونسي " سامي بوعجيلة" يبدأ جولته في القاعات العربية

أعلن المخرج الفرنسي المغربي، رشدي زيم، عن مواصلة فيلمه "روابطنا" جولة عروضه في العالم العربي، حيث انطلقت رحلته في 7 مدن مغربية بداية من يوم 30 ماي الفارط لتتواصل طوال شهر جوان الحالي.

ويذكر أن الفيلم قد شهد سلسلة عروض تجارية في سينما عقيل في الإمارات. أما عرضه العالمي الأول فكان في مهرجان البندقية السينمائي حيث نافس على جائزة الأسد الذهبي...ثم عرض في مهرجان القاهرة السينمائي الدولي.

يحكي الفيلم قصة أخوين هما موسى الشخص اللطيف والناكر للذات والداعم لعائلته، وعلى النقيض منه أخوه رياض، وهو مذيع تلفزيوني مشهور ويمقته من حوله بسبب أنانيته، والمدافع الوحيد عنه هو موسى الذي يُكنّ له إعجاباً شديداً. تتسبب وقعة قوية بإصابة موسى بصدمة دماغية خطيرة، تجعله يتحدث دون تمييز بحقائق قاسية لأصدقائه وعائلته على حد سواء.

وتلقى "روابطنا" إشادات نقدية دولية منذ عرضه الأول، إذ أثنى موقع إندي واير على الفيلم ووصفه بـ"كلاسيكي ساحر ودراما ممتازة يمكنها بسهولة أن تثير ضحكك وبكاءك"، وعبر موقع فارايتي كُتب "أدى المخرج والممثلون أدوارهم بحب صادق يجعل من الصعب تصديق أن هؤلاء الأشخاص لا ينتمون لعائلة واحدة"، فيما كتب سكرين دايلي "يواصل رشدي زيم الإبداع في مسيرته التي تضم أعمالاً صادقة ومثيرة".

الفيلم من إخراج رشدي زيم وشارك في تأليفه مع مايوين، ويضم الفيلم عدداً كبيراً من النجوم الحائزين عشرات الجوائز وهم سامي بوعجيلة الفائز بجائزة سيزار الفرنسية كأفضل ممثل، النجمة الفرنسية مايوين الفائزة بجائزة لجنة التحكيم من مهرجان كان السينمائي والمرشحة للعديد من جوائز سيزار، رشيد بوشارب الفائز بجوائز من مهرجانات كان وبرلين ولوكارنو وسيزار، ورشدي زيم، ومريم سرباح، هابيل جافري، ليلا فيرناندیز ونينا زيم.

الفيلم التونسي "كورال" تجربة سينمائية فريدة تؤرخ لمغامرة أستاذ موسيقى طموح

فيلم كورال رحلة نبيل المقدّم، أستاذ موسيقى يبدأ رحلة نحو أرياف الشمال الغربي التونسي بحثا عن أطفال يختارهم لتدريبهم على الغناء ثمّ المشاركة في حفل فنّي كبير بالمسرح البلدي بالعاصمة.

ينطلق نبيل بسيارته القديمة نحو مدارس في مناطق حدوديّة ونائية فيلتقي بالعديد من الأطفال. يختار 40 طفلا للمشاركة في التدريبات. ترافق الكاميرا نبيل وطفلين من المجموعة لنتابع حياتهم اليومية ومعاناتهم من أجل تحقيق حلم المشاركة في الحفل الختامي في المسرح البلدي بالعاصمة.

الفيلم من اخراج ايمن يعقوب وتصوير سليم بن عياد وبطولة أستاذ الموسيقى نبيل المقدمة وخمسين تلميذ اختارهم لتكوين " الكورال"

جاء في احدى المقالات النقدية للفيلم

أن نبيل المقدم هو صاحب الفكرة وباعث الحلم، وهو معلم تجاوز حدود الجغرافيا وأنصت الى الهامش، معلم بعث قبس امل في اطفال المدارس الحدودية، اصر على التكوين وزرع بذرة الفنون لدى التلاميذ بذرة ستنبت حبا وجمالا، مشهد تعليم التلاميذ الموسيقى صاحبه مشهد حرث الفلاح لأرضه وزرعها، فالمعلم والفلاح هنا يشتركان في فكرة الزرع والاجتهاد قبل جني المحصول، والمعلم سيجني الكثير من الحب وطاقة اعتراف من تلاميذ علّمهم ان الفن حياة والموسيقى سبيل للنبوة واكد المقدم مع "الكورال" ان المعلم رسول.

وجاء الفيلم عبارة عن رحلة بحث عن الحياة والإبداع، تجربة موسيقية وانسانية تنطلق من العاصمة الى ربوع الشمال الغربي والمدارس الحدودية، سيارة قديمة وعزيمة معلم بعلوّ الجبال للبحث عن اصوات تلمذية متميزة، جولة بين المدارس الحدودية ولقاءات مع التلاميذ والأغاني واجتماعات في رحاب الطبيعة وتتبع للاطفال حتى في حياتهم اليومية وتفاصيلها للحصول على

عمر الزهيري مخرج فيلم "ريش" الفائز في مسابقة أسبوع نقاد كان 20221 يعود للسينما بفيلم "الثدييات"

بعد فوزه بالجائزة الكبرى في مسابقة أسبوع النقاد بمهرجان كان السينمائي عام 2021، بفيلم "ريش"، يعود المخرج عمر الزهيري للسينما بمشروع جديد يحمل اسم "Mammals" أو "الثدييات". سيتم التركيز فيه على الرأسمالية الغربية والروابط الأسرية.

ووفق موقع "فارايتي"، يشارك في كتابة الفيلم المؤلف محمد أديب، وقصة "الثدييات" مستوحاة جزئيًا من سيرة والد عمر الزهيري، الذي توفي عام 2016 في الولايات المتحدة، حيث كان مهاجرًا يعيش في ظل ظروف صعبة.

في الفيلم، يقوم شاب بزيارة والده في أحد أفخم المنتجعات في العالم. عندما يصل إلى هناك يكتشف، دون علمه، أن والده قد حبسه في صفقة تجارية لا يمكنه رفضها. يتمرد الشاب، لكنه يبدأ أيضًا في الإعجاب بحياته الجديدة ويفقد عقله في النهاية.

قال الزهيري، إنه على المستوى الجزئي، فإن قلب وعمود قصة "الثدييات" هما ديناميكيات الأب والابن، ولكن الأمر يتعلق أيضًا بعلاقته بالرأسمالية.

وأضاف : "أنا أكره الفقر وأكره أن أكون ثريًا أيضًا، أعاني من الرأسمالية لكني لا أستطيع مقاومتها، لا يمكنني مقاومة فكرة امتلاك منزل فسيح لطيف أو شاليه جميل على شاطئ البحر".

وأشار إلى أنه "في هذا الفيلم يحاول مواجهة مخاوفه في رحلة مرحة وسينمائية وشاعرية".

مجموعة متناسقة، مجموعة من 40تلميذا حلقوا بأحلامهم وأصواتهم من مدارسهم الحدودية الى قلب العاصمة التونسية للغناء امام جمهور المسرح البلدي اعرق المسارح بالعاصمة.

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

حسن الرداد يعد لفيلمين جديدين لدخول الموسم السينمائي القادم بقوة

بدأ حسن الرداد خلال الفترة الماضية التحضير لفيلم جديد بعنوان بلوموندو، وسوف يناقش المشاكل الزوجية في إطار كوميدي ضمن أحداث فيلمه الجديد، الذي غير اسمه لـ حي الياسمين بلوموندو، والعمل من إخراج ياسر سامي، وتواصل الشركة المنتجة في الفترة الحالية ترشيح والتعاقد مع باقي أبطال العمل من أجل الإعلان عن بداية التصوير.

ومن ناحية أخرى، من المفترض أن يبدأ حسن الرداد خلال الفترة القادمة التحضير لفيلم جديد بعنوان طه الغريب، الذي تشاركه بطولته هنا الزاهد، وهو من إنتاج أحمد السبكي.

وعُرض لـ حسن الرداد خلال الفترة الماضية فيلم تحت تهديد السلاح، وشاركه البطولة كل من مي عمر، شيرين رضا، عمرو عبدالجليل، فتحي عبدالوهاب، أحمد بدير، عباس أبو الحسن، من تأليف أيمن بهجت قمر، وإخراج محمد عبدالرحمن حماقي، وتدور أحداث الفيلم في إطار "أكشن" رومانسي تشويقي.

ويذكر ان حسن الرداد شارك في موسم رمضان 2022 بمسلسل بابلو، تأليف حسان دهشان وإخراج محمد عبدالرحمن حماقي، وضم في بطولته كل من أروى جودة، مصطفى فهمى، هالة فاخر، صلاح عبدالله، سلوى عثمان، محمود حجازى، رشوان توفيق، ساندى على، أمينة مغربى، غفران محمد، إيمان البردينى.

الممثلة مروى تيزدار الفائزة بأفضل ممثلة في مهرجان "كان" الأخير تثير موجة من الغضب عند عودتها لتركيا

عادت مروى ديزدار، الفائزة بجائزة أفضل ممثلة في مهرجان كان السينمائي الـ 76، إلى تركيا، وقوبلت إما بتشجيع المشجعين أو انتقادات حادة، ما يسلط الضوء على الاستقطاب الشديد في البلاد.

ووصلت ديزدار، التي ألقت خطاباً مؤثراً عن نضال المرأة في تركيا لدى تسلمها جائزتها في كان، إلى إسطنبول في الوقت المناسب للإدلاء بصوتها في جولة الإعادة للانتخابات الرئاسية بين الرئيس رجب طيب أردوغان وزعيم المعارضة كمال كليتشدار أوغلو.

وقالت ديزدار، بعد الإدلاء بصوتها في مدرسة في إسطنبول: "تأثرت كثيراً بالدعم الذي أراه هنا. أنا سعيدة جداً بجلب مثل هذه الجائزة إلى بلدي... سعيدة جداً لمشاركة هذا مع جميع أخواتي".

وحصلت ديزدار على جائزة أفضل ممثلة عن دورها في فيلم "الحشائش الجافة"، والذي مثلت فيه دور معلمة في قرية نائية.

وفي خطابها في مهرجان كان، قالت ديزدار إنها لم تكن بحاجة إلى التدرب على دور المعلمة، لأنها عرفت "عن ظهر قلب منذ ولادتها" كيف تشعر هؤلاء النساء.

وأثار الخطاب ردود فعل رافضة من حلفاء أردوغان والمسؤولين الأتراك.

واتهم إبراهيم أوسلو، نائب رئيس المجلس الأعلى للإذاعة والتلفزيون في تركيا، ديزدار بتشويه صورة تركيا.

وكتب على تويتر: "يجب أن تتعلمي أولاً احترام بلدك.. بعد ذلك فقط، يمكنك أن تنتظري بعض التقدير للجائزة التي تلقيتها".

لكن الممثلة بدت غير آسفة، وقالت : "في البلد الذي ولدت فيه، النساء هنا، نخوض جميعاً صراعاً. إنه موجود هنا وفي جميع أنحاء العالم. نعلم مدى صعوبة أن تكوني امرأة، وقد ألقيت كلمة بهذا الشأن.

كلب يفوز بجائزة "بالم دوق" في " مهرجان كان الـ 76" الاخير

فاز فيلم "أناتومي دون شوت" ("Anatomie d'une chute") للمخرجة الفرنسية جوستين ترييه بجائزة "بالم دوق" التي تُمنَح عن أفضل أداء لكلب في فيلم، في الدورة السادسة والسبعين من مهرجان كان السينمائي، على ما أعلن منظمو هذه المسابقة.

وتسمية "بالم دوق" هي على وزن "بالم دور" أي السعفة الذهبية بالفرنسية التي يمنحها مهرجان كان لأحد الأفلام في ختام فعالياته.

وقال منظمو "بالم دوق" في بيان إنّ "سنوب أدى دوراً أساسياً في حبكة الفيلم وأثار إعجاب لجنة التحكيم في مشهد درامي تظاهر فيه بطريقة مقنعة جداً بأنه مصاب بمرض"، مضيفين انّ "سنوب يتمتع بكل معايير النجومية".

ويتناول فيلم "أناتومي دون شوت" الذي أفادت الصحافة العالمية أنه كان من بين الأعمال الأوفر حظاً لنيل السعفة الذهبية، محاكمة كاتبة ألمانية مُتهمة بقتل زوجها في شاليه يملكانه في جبال الألب الفرنسية.

كذلك، مُنحت جائزة تكريمية للمخرج البريطاني كين لوتش الذي كان فيلمه "ذي أولد اوك" ("The Old Oak") من بين الأعمال المُتنافسة على "بالم دوغ".

وفاة الممثل النمساوي" بيتر سيمونشيك "

توفي الممثل النمساوي بيتر سيمونشيك الذي اشتهر عالمياً بفضل دوره في فيلم "توني إردمان" الشهير، عن 76 عاماً.

وقالت ناطقة باسم الاتحاد النمساوي للمسارح الوطنية: "يمكنني تأكيد أنباء وفاة سيمونشيك" في فيينا حيث كان يقيم.

اكتسب سيمونشيك، المولود في النمسا بتاريخ السادس من أغسطس 1946، شهرته من خلال تجسيده شخصيات كثيرة، أكان في مسرحيات لأوجين لابيش، أو في البرنامج التقليدي لمهرجان سالزبورغ.

وحظي بشهرة عالمية بفضل دوره في فيلم "توني إردمان" Toni Erdmann، الحائز جائزة النقّاد في مهرجان كانّ السينمائي الدولي عام 2016.

وبعيداً عن دوره في هذا الفيلم، اكتسب سيمونشيك شهرة واسعة من خلال أدائه في مسرحية "يدرمان" للشاعر النمساوي هوغو فون هوفمانستال (1929-1874). وكانت هذه المسرحية تُعرض كل صيف منذ عام 1920 في مهرجان سالزبورغ، وتولّى الممثل النمساوي دور البطولة فيها لثماني سنوات من 2002 إلى 2009.

ومن بين الأسماء البارزة في المجال المسرحي التي تعامل معها بيتر سيمونشيك: لوك بوندي وروبرت ويلسن.

وأدى الممثل النمساوي كذلك أدواراً في عشرات الأفلام والمسلسلات التلفزيونية النمساوية والعالمية.

شارون ستون تتهم هوليوود بتهميشها سينمائيا

تحدثت شارون ستون علناً ضد التمييز بجميع أنواعه، وقالت خلال حفل غداء لصحيفة "هوليوود ريبورتر رايزينج"، أنا أيضًا شخص لديه مشكلة تنوع.

وقالت الممثلة إنه منذ إصابتها بسكتة دماغية ونزيف في المخ عام 2001 ، لم تتمكن من الحصول على نفس القدر من التمثيل.

وأضافت: "لقد أصبت بجلطة دماغية، وكانت لدي فرصة بنسبة 1 في المائة للبقاء على قيد الحياة، وكان لدي نزيف دماغي لمدة 9 أيام".

وقالت ستون، 65 عامًا، في الحدث، الذي ركز على التنوع والمساواة والإدماج وإمكانية الوصول في هوليوود: "تعافيت لمدة 7 سنوات، ولم يعرض علي أي دور منذ ذلك الحين".

وأوضحت : "عندما حدث ذلك لأول مرة، لم أرغب في إخبار أي شخص لأن معنى ذلك أنت خارج حسابات هوليوود. وحدث خطأ معي - لقد خرجت منذ 20 عامًا، بعدما كنت نجمة سينمائية كبيرة جدًا في مرحلة ما من حياتي ".

كانت ستون منفتحة بشأن حديثها عن سكتة دماغها بالإضافة إلى الصعوبات الأخرى في الحياة، بما في ذلك حالات الإجهاض المتعددة.

وقالت ستون، مؤكدة : "لقد نجوت من كل شيء - التحرش الجنسي، والإجهاض، ونزيف المخ، والطلاق، وضربة البرق، وليس لدي وقت الآن لأي نوع من الخداع".

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

إيياء الحلي في لجنة تحكيم مهرجان جنيف السينمائي

كشف مهرجان جنيف الدولي للأفلام الشرقية عن قائمة الأفلام المشاركة في دورته 18 التي من المقرر أن تقام في الفترة ما بين 12 إلى 18 جوان الحالي.

حيث تشارك تونس خلال هذه النسخة بستة أعمال سينمائية تنوعت بين الروائي والوثائقي.

إذ يشارك المخرج "بلال بالي" بفيلمه القصير "سقالة" المستوحى من قصة واقعية لشابة تونسية تدعى رحمة.

وقد شارك الفيلم في عديد المهرجانات الدولية من بينها مهرجان الجونة السينمائي ومهرجان القاهرة للفيلم القصير أين تحصل على تنويه خاص من لجنة التحكيم.

كما يشارك المخرج "ياسين الرديسي" بفيلمه الوثائقي بعنوان "نرجعلك" عن الفنان اليهودي التونسي "هنري تيبي" الذي غادر حلق الولد واستقر بفرنسا .

وتثبت المخرجة "إيمان بن حسين" حضورها أيضا في هذا المهرجان من خلال فيلمها "قدر" من بطولة "تقلا شمعون" ومهذب الرميلي" و"وجيهة الجندوبي" وغيرها من الأسماء.

ويحضر ضمن هذه القائمة فيلم "الهربة" للمخرج "غازي الزغباني" وفيلم "CHAIR ET SANG" اخراج "ايناس عرسي" بالإضافة إلى فيلم لكل من المخرجتين "وجدان بن شعبان" و"زهرة ماني" بعنوان "LES FEMMES SUB SAHARIENNES EN TUNISIE, A L'INTERSECTIONs DES DISCRIMINATIONS".

هذا وتحضر التونسية إباء حملي عضو لجنة تحكيم المسابقة الرسمية للمهرجان.

اختتام بانوراما سينما الساحل والصحراء بتندوف

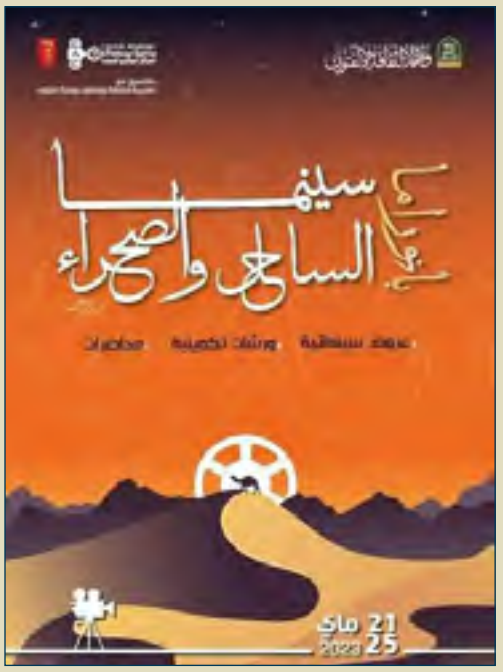

اختتمت أول أمس بولاية تندوف الجزائر فعاليات بانوراما سينما الساحل والصحراء من تنظيم المركز الجزائري للسينما والمركز الجزائري لتطوير السينما بالتنسيق مع مديرية الثقافة والفنون وديوان مؤسسات الشباب لولاية تندوف خلال الفترة الممتدة من 21 الى 25 ماي. وقد فتحت فعاليات بانوراما سينما الساحل والصحراء الابواب امام ما يزيد عن 50 شابا من الولاية لتلقي التكوين في مختلف التخصصات المتعلقة بعالم السينما وفق برنامج بيداغوجي جمع بين الجوانب النظرية والتطبيقية والتي انتهت بتقديم عدة اعمال سينمائية من انجاز المتربصين بعد سلسلة من الأعمال التطبيقية التي استمرت على مدار خمسة ايام، تحت تأطير اساتذة ومختصين في المجال كالتمثيل تحت اشراف الفنان بومدين بلة، والاخراج تحت اشراف علي عيساوي، المعالجة الدرامية الافلام التي اطرها فتحي كافي، التصوير تحت اشراف فري لونيس والتركيب تحت ادارة ملياني الهاشمي ، وتقنية التقاط الصوت تحت اشراف كمال مكسر، حيث تم تكريم الاساتذة المؤطرين في حفل الاختتام كما سلموا بدورهم شهادات نهاية التربص للمشاركين. كما شهد حفل الاختتام تكريم الاساتذة المحاضرين على غرار الدكتورة انوال طامر من جامعة وهران التي قدمت محاضرة بعنوان "السينما ،الذات الآخر وفضاء الصحراء الجزائرية " الى جانب الدكتورة حنان تواتي من قسم الفنون لجامعة الجزائر التي نشطت محاضرة حول"المرأة في سينما الصحراء الغربية "، والبروفيسور الياس بوخموشة من جامعة سيدي بلعباس الذي تناول في مداخلته "تصوير الصحراء... رموز القلق الوجودي على صفحات الفراغ الجغرافي " والناقد محمد عبيدو الذي تطرق الى موضوع "السينما الافريقية السوداء في دول الساحل "، كما تم عرض فيديو توثيقي لمجريات التظاهرة من إخراج سفيان بلعزري ، وعرف اختتام التظاهرة التي احتفت بسينما الصحراء الغربية ونضال الشعب الصحراوي ،عرض الفيلم الوثائقي القصير "رسالة الى اوباما" لمخرجه محمد امحمدي.

آل باتشينو فى الـ83 من عمره والمنتجة نور الفلاح صاحبة الـ 29 عاما ينتظران ولادة ابنهما

أكد النجم العالمي آل باتشينو (83 عاما) لموقع TMZ الأمريكي، أنه ينتظر طفلا من حبيبته المنتجة الكويتية الأمريكية "نور الفلاح"، التي تبلغ من العمر 29 عاما، وحسب ما نشر موقع TMZ اشتعلت شرارة الحب بين آل باتشينو ونور الفلاح التي تصغره بـ53 عاما مع بداية انتشار وباء "كورونا" عام 2020، إلا أنهما شوهدا للمرة الأولى في عشاء رومانسي بأحد المطاعم عام 2022.

ومن المعروف عن آل باتشينو أنه عازف عن الزواج، إذ لم يدخل القفص الذهبي إطلاقا، إلا أنه رزق بـ3 أطفال من علاقات سابقة.

وبالحديث عن نور الفلاح فهي منتجة أفلام أمريكية من أصل كويتي، تبلغ من العمر 29 عاما، حصلت على شهادة بكالوريوس بالفنون السينمائية وماجستير في الإنتاج السينمائي والتلفزيون من جامعة جنوب كاليفورنيا.

تنحدر نور من عائلة غنية، وتم تسجيلها كمنتجة للمرة الأولى بعد إصدار فيلمها القصير La petite Mort عام 2019. ومن صفحتها على إنستجرام، تبين أن علاقة نور متينة بشقيقتيها ريمي وصوفيا وكذلك والدتها.

وتقول صحف أمريكية انها كانت على علاقة عام 2017 بعضو فرقة "رولينج ستون" "ميك جاجر" (79عاما)ولاحقا بالملياردير والمستثمر الأمريكي نيكولاس بيرجورين (62 عاما).

بعد ترميمه : فيلم "باب الشمس" في مهرجان "لوكارنو السينمائي"

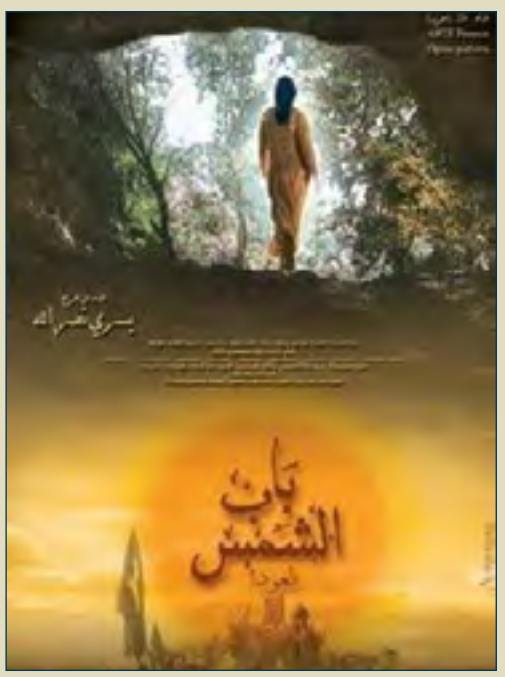

أعلن"لوكارنو السينمائي" عن ترميم نسخة فيلم "باب الشمس" للمخرج المصري يسري نصر الله، إنتاج عام 2004، وإعادة عرضها ضمن قسم "تواريخ السينما" بجودة 4K في مهرجان هذا العام 2023.

يطرح الفيلم أخطر قضية عربية تتعلق بالكيان والوجود والهوية حيث تدور أحداثه حول سيرة الوجود الفلسطيني في خمسين عاما من المنفى والاحتلال في عمق انساني يغلفه الحنان ولمسات الدعابة.

هو احد افلام زمن السينما الجميل الذي يجسد مأساة الشعب الفلسطيني الذي اجبر على الخروج من دياره بالتآمر الصهيوني البريطاني.

الفيلم يجسد المأساة التي عاشها ابناء فلسطين ايام النكبة وحتى الهجرة القسرية الى البلاد العربية من خلال قصة حب عظيمة بين يونس المناضل الفلسطيني القابع في مخيم تل الزعتر في لبنان وزوجته نهيلة القابعة في بلدة دير الاسد تحت الاحتلال الصهيوني.

الفيلم مأخوذ عن رواية الاديب اللبناني الياس خوري التي صدرت عام 1998 وحولها المخرج المبدع يسري نصر الله الى فيلم لإنتاج عربي اوروبي مشترك، وهو من بطولة ريم تركي ومحتسب عارف.

مجلة تايم الاميركية اختارت الفيلم ضمن افضل عشرة افلام على مستوى العالم عام 2004.

في قاعاتنا السينمائية

إعداد : منير الفلاح

فيلم " رانفيلد" يعيد شخصية "دراكولا" الى الشاشات التونسية

يلعب نيكولاس كيج دور الكونت دراكولا بأسلوب مميز في فيلم رانفيلد Renfield، والذي يمكن القول أنه السبب الرئيسي في نجاح الفيلم مع أفضل أداء نراه لشخصية دراكولا على مر العصور. لكن لو وضعنا كيج جانباً، فإن الفيلم يعاني لسوء الحظ من الضعف في جميع الجوانب الأخرى بشكل جيد ومحبط في نفس الوقت. الخبر السار هو مقدار الدموية المبالغ بها التي تتفجر مثل أكياس عصير أحمر اللون، لكن الجانب السيء هو التناسق الضعيف فيما يتعلق بحس الفكاهة فيه. إن Renfield هو فيلم "آكشن" ورعب وكوميديا حول العلاقات السيئة والاتكالية المتبادلة التي لا تنجح في توحيد هذه الأنواع الفرعية معاً والتي تقاتل بعضها البعض داخل الفيلم، لكن يبقى مسلياً بفضل طاقم ممثليه الذين يمضون وقتاً ممتعاً للغاية.

قدم مبدع The Walking Dead روبرت كيركمان الفكرة الأصلية لفيلم Renfield والتي تحولت إلى سيناريو من تأليف رايان ريدلي، حيث وجد الكوميديا في دراكولا وعلاقته المألوفة غير الصحية مع شخصية رينفيلد. يلعب نيكولاس هولت دور غريب أطوار محبب بشخصية رينفيلد، وهو شخص مكتئب لديه اتفاقية مع معلمه مصاص الدماء. يعمل هذا الفيلم بالعقلية التي اشتهرت في مطلع الألفية الجديدة، وهو لا يتعلق بإيجاد المنطق في سبب اكتساب رينفيلد قوى خارقة من أكل الحشرات أو التغييرات الأخرى بالأساطير عن المادة المصدر، بل يتعلق بدلاً من ذلك بتقدير الجنون الذي يخرج عن السيطرة. ينتهي المطاف بريندفيلد ودراكولا في نيو أورلينز العصرية، العالقة بين عائلة لوبو الإجرامية (يلعب بن شوارتز دور ابن لوبو تيدي ذو اللسان السليط) وضابطة الشرطة العنيدة (أكوافينا)، ويتبين أنها مكان مثالي ليكشف الخطاة والقديسين عن أنفسهم فيها.

الجانب الآخر الذي لا يلقى نجاحاً كبيراً أيضاً هو الحبكات الفرعية المختلطة التي تتعارض مع الأسلوب العام. حيث أن ريبيكا هي الشرطية النابضة بالحياة التي تعيش لدعم سمعة والدها المقتول الأصيلة وسط قوات الفرصة الفاسدة، فنرى أكوافينا التي تمتاز عادة بروح فكاهية عالقة بقصة أقل حماسة حول شرطية بطريقة غير متجانسة دائماً. يقدم هولت نفسه أداءً منسجماً مع كيج يستحق المديح، لكن مشاهده الفردية لا تقدم أبداً سرداً لقصة دراكولا من وجهة نظر الطبيب النفسي التي جعلتنا العروض الدعائية نأمل بها. هناك لحظات بارزة متناثرة في جميع أنحاء الفيلم، وخاصة للممثل بن شوارتز الذي يختطف الأضواء بدور ابن والدته المدلل الذي يجمع بين سكار فيس وجان رالفيو من Parks & Recreation، لكن ماكاي يكافح للعثور على أي استقرار في هذه الرحلة المبعثرة.

بشكل عام، يعتبر Renfield كفيلم يحتفي بالرعب أكثر من كونه فيلم حول مشاهد الآكشن. لكنه يبقى فيلم حول مشاهد الآكشن أفضل من كونه فيلم كوميدي حول شراكة غريبة الأطوار، وهو بدوره فيلم كوميدي حول شراكة غريبة الأطوار أفضل من كونه فيلم إثارة إجرامي. ومع ذلك، لا شيء في هذه الجوانب سيء بما يكفي ليتغلب على أداء كيج الرائع الذي يهيمن على الشاشة، كما أن هولت وأكوافينا وشوارتز وشوهريه أغداشو بدور زعيمة عصابة لوبو يقدمون أداءً متألقاً أيضاً.

سيلين ديون وبريانكا شوبرا في فيلم Love Again

هو فيلم رومانسي أمريكي من إخراج جيمس ستراوس، قامت ببطولته النجمة بريانكا شوبرا في دور فتاة شابة تحاول تجاوز حزنها بعد وفاة خطيبها. تقوم بإرسال رسائل حب إلى رقم هاتفه القديم، لكن تصل هذه الرسائل إلى رقم هاتف آخر يعود لصحفي يدعى روب بيرنز. تتطور الأحداث بعدما يبحث روب عن طريقة للقاء مع ميرا في الحياة الواقعية ومساعدتها على التغلب على الحزن. يعد هذا الفيلم إعادة إنتاج لفيلم ألماني صدر عام 2016 ووفقًا للنقاد السينمائيين، قد تراجعت سمعته بناءً على اللغة الإنجليزية. عرض الفيلم في الولايات المتحدة الأمريكية في الخامس من شهر ماي الفارط، وقد حقق إجماليا العائدات التي بلغت 10.5 مليون دولار، كما احتل المركز السادس في الصالات السينمائية.

فيلم Love Again من بطولة النجمة بريانكا شوبرا، وهو من إنتاج شركة Amazon Studios، ومن إخراج جيمس ستراوز. يعد فيلم Love Again بمثابة الفيلم الأول الذي تشارك فيه بريانكا شوبرا في دور البطولة الرئيسي. يحتوي الفيلم على خمسة أغانٍ جديدة للنجمة بريانكا شوبرا، بالإضافة إلى ستة من أغانيها السابقة.

ويشار ان المغنية العالمية سيلين ديون تؤدي شخصيتها الحقيقية في فيلم Love again حيث أعلنت في تدوينة قبل طرح الفيلم في القاعات العالمية أنها ستتولى بطولة الفيلم الكوميدي الرومانسي Love again وتجسد فيه شخصيتها الحقيقية.

وكتبت المغنية المنحدرة من مقاطعة كيبيك الكندية على شبكات التواصل الاجتماعي "أراكم في السينما!"، موضحة أنها ستشارك في الفيلم إلى جانب نجمة أفلام بوليوود الهندية بريانكا تشوبرا جوناس والممثل الأسكتلندي سام هيوين المعروف بدوره في المسلسل الدرامي "آوتلاندر" (Outlander). وأشارت سيلين ديون أيضاً إلى أنها ستؤدي أغنيات جديدة لها في هذا الفيلم الذي أنتجته شركة "سوني" وسيُعرض على اشاشاتنا السينمائية في تونس خلال هذا الشهر.

جاك نيكلسون ساحر السينما

محمد عبيدو (ناقد سينمائي سوريا)

جاك نيكلسون هو ممثل ومخرج أمريكي بارز من أصل هولندي. ترشح لجائزة الأوسكار 12 مرة وفاز بثلاث من هذه الجوائز كما منح جوائز BAFTA ثلاث مرات وجائزة الكرة الذهبية سبع مرات. ويقول كثير من النقاد إن جاك نيكلسون أفضل ممثل في تاريخ السينما .

ولد في 22 أفريل 1937 وهو من أهالي مدينة نيويورك، منذ أن كان طفلا عشق التمثيل وأحب أن يستثمر موهبته. بالرغم من ظروف جاك نيكلسون العائلية التي كانت سيئة ومُربكة، إذ كان هناك جدلٌ كبير في بداية سطوع نجمه حول إذا ما كان والداه حقيقيان أم أنه ابن بالتبني، والغريب في الأمر أنه جاك نفسه لم يكن يعرف هذه الحقيقة مما جعله يشعر بالصّدمة ويتأثر لفترة من الزمن، لكن ما لبث أن تجاوزها سريعا.

المسيرة الفنية

بدأ مسيرته بأدوارٍ صغيرة في بداية الستينات ، بدأ جاك نيكلسون حياته المهنيّة عندما كان عمره حوالي 20 سنة، شارك في فيلم " صرخة قاتل الطفل " الذي أخذ فيه دور شابٍ متهم بجريمة قتل لم يرتكبها، ومن خلاله استطاع نيكلسون لفت نظر المخرجين إليه فتم اختياره لأدوار أكثر أهمية مثل فيلم "باكرًا على الحب"، "دكان الرعب الصغير"، "إطلاق النار"، "ركوب الدوارة" و"جنون نفسي" عام 1968. في فيلم " السائق البسيط " لعام 1967 لعب نيكلسون دور المحامي الجنوبي الذي يتخلى عن مهنته مقابل بعض الحرية والمغامرة. وهكذا أصبح نيكلسون فجأة من أفضل ممثلي هوليود، وأصبح مستقبله مضمونا في أكبر الأفلام. في بداية السبعينيات طرقت الشهرة باب جاك نيكلسون، فقد أثار اهتمام كبار مُخرجي هوليوود، خاصة بعد مسيرته الفنية وإتقانه للشخصيات التي أداها، فتمَّ اختياره للمشاركة في فيلم "خمس قطع سهلة" عام 1970، لعب فيها دور شابٍ مكافح يبتعد عن حياة الرفاهية ويعمل ليأكل من عرق جبينه وظهر عام1970مع بربرا سترايزند في "يوم واضح يمكنك رؤيته إلى الأبد". ولكن الشهرة والنجاح الحقيقي بدأ حين قدم دور مُساعد في الفيلم الثوري "السائق البسيط" عام 1969 مما أهله للترشح لأول مرة لأوسكار أفضل ممثل مساعد . وسرعان ما أصبح نيكلسون هو النجم الأول لسينما السبعينات الثورية التي كانت تفتح آفاقاً جديدة لهوليوود ، حيث قدم " خمس قطع سهلة" مع المخرج روب رافلسون عام 70 ونال من خلاله ترشيحه الثاني للأوسكار – والأول كممثل في دور رئيسي . في عام 1973، عمل نيكلسون دور البطولة في فيلم مع المخرج هال آشبي بعنوان (آخر التفاصيل)، بمشاركة الممثل راندي كويد. وفاز نيكلسون عن دوره في الفيلم بجائزة أفضل ممثل في مهرجان كان السينمائي. وأظهر نيكلسون قدراته الفنية بشكل واضح في هذا الفيلم . ثم يقدم تُحفة المخرج العظيم رومان بولانسكي "الحي الصيني " عام 1974 وينال ترشيحه الرابع الحي الصيني فيلم يتحدث عن الجريمة والفساد، وهو يصور نيكلسون كتحر خاص لامع ومتعدد المصادر. وهو يتميز بالفضول الشديد في عالم من الأسرار القاتمة التي من الأفضل أن تبقى وحدها، يُطلب منه القيام بالتحقيق في مسألة خيانة زوجية تخصّ رئيس وحدة المياه في لوس انجلوس في الحي الصيني حيث تقع الأحداث، خلال قيامه بالتحقيق يكشف سلسلة من الجرائم والمؤامرات المحبوكة من قبل جهات عدة ويعمل على كشف رأس العصابة وتهيئتها للعقاب، قام نيكلسون بأداء رائع حاز من خلاله على إعجاب النقاد.. وأخيراً ينال نيكلسون أوسكاره الأول عام 1975 عبر مشاركته في تحفة المخرج التشيكي "ميلوش فورمان" "أحدهم طار فوق عش الوقواق" ، وهو مأخوذ عن رواية بذات الإسم كتبها كين كيسي , ونشرت في العام 1962 . عبر دراما رمزية فائقة الجودة عن سجين يدعي الجنون ليقضي عقوبته في المستشفى وهناك يدفع زملائه للثورة على إدارة المؤسسة. يرى زملاؤه في المصح فيه رمزاً للثورة كفرد في مواجهة مؤسسة بالية ومتزمتة. فبمجرد دخوله المشفى يقوم بتغيير نفسياتهم معلماً اياهم كيف يقدّرون وجودهم الإنساني والمطالبة بأبسط حقوقهم كمشاهدة التلفاز أو حتى القيام بنزهة بين الحين والآخر مانحهم شعوراً بتقدير ذواتهم معيداً لهم إنسانيتهم السليبة وشيئاً من السعادة. تحتار الممرضات في الحكم عليه أهو فعلاً مجنون؟ أم انه يتظاهر بذلك للنجاة من قضاء فترة حكمه في السجن.. أداء جاك نيكلسون في هذا الفيلم كان حجرة الإرتكاز ، كان الحضور العظيم والتدفق في الأداء هو ما منح هذه القصة وهذا الفيلم نجاحه المبهر الكبير. إلى جانب الوجهة الداكنة للفيلم أحيانا ما نجده شديد السخرية، خصوصا عندما يبعث جاك الحياة في من حوله من مجانين. في نفس السنة عمل مع المخرج الإيطالي الشهير مايكل أنجلو أنطونيوني في فيلم (المسافر). بعدها شارك في أدوار ثانوية في فيلمين، أحدها مع الممثل روبرت دي نيرو بعنوان (التاجر الأخير)، والآخر مع الممثل المعروف مارلون براندو بعنوان (إجازات ميسسوري). كما قدم دورا مميزا مع المخرج ستانلي كوبريك في فيلم "البريق " عام 1980 وفيه يقوم نيكلسون بدور جاك تورنس الكاتب المتزوّج الذي يطلب منه البقاء مع عائلته في أحد الفنادق التي تغلق في الشتاء ذلك ليدير المكان ويجد وقتاً وسكينةً تساعدانه على القيام بالكتابة، الا أنه يتبين أن ذاك الفندق ذاته قد وقعت فيه أحداث دموية قبل عدة سنوات وله ماضٍ غامض ومقلق.. ونالَ نيكلسون أوسكاره الثاني كممثل مساعد عن الفيلم المتوج بالأوسكار " شروط إظهار العاطفة " عام 1983 ، للمخرج جيمس ل.بروكس الذي منح نيكلسون أوسكاره الثالث أيضاً .. وذلك حين منحه بطولة رائعته " أفضل ما يمكن حصوله " عام 1997 في دور ميلفين غريب الأطوار الذي تتغير حياته رأساً على عقب حين تدخل في حياته نادلة مطعم وجاره الفنان الشاذ . وقام نيكلسون بلعب دور البطولة في فيلم لهيكتور بابينكو " العشب الحديدي " إلى جانب القديرة ميريل ستريب حيث لعبا دور متشردين يترحلّان في الأزقة والمقاهي في شتاء نيويورك القاسي حيث يقدم فرانسيس (نيكلسون) المصاب بفصام حاد بزيارة منزل عائلته بعد أكثر من عقدين على غيابه كاشفاً السر وراء عدم رغبته في العودة إلى ذلك المنزل.

واكمالاً لمسيرة حافلة بالتحف شارك نيكلسون عام 2006 مع المخرج العظيم مارتن سكورسيزي في بطولة فيلمه "المغادرون" في دور زعيم العصابات فرانك كاستيلو الذي يخترق الشرطة بجاسوس تابع له "الممثل مات دامون" بشخصية كولين سوليفان، الذي يقابله الشرطي بيلي كوستيغان "ليوناردو دي كابريو" في اختراق مضاد للعصابة، التي تعلم أنها مخترقة لكن لا تعرف من هو المخترق، كما هو حال الشرطة، التي لا تعرف من الذي يقبع في مكاتبها، هذان الأمران يضيفان على الحرب بين الطرفين المزيد من العنف،وتتسع دائرة الدماء بشكل قوي وبلا هوادة، مع تصاعد درامي يتكئ على سيناريو مأساة، ملحمية..

في فيلمه " قائمة الدلو" 2007 يقوم جاك نيكلسون، بدور "إدوارد" وهو هو ملياردير قاسي الطباع ويملك العديد من المستشفيات، وفاشل في حياته الأسرية والخاصة ، يصاب هذا الرجل بالسرطان ويتم علاجه بغرفة مشتركة مع مريض آخر في مستشفاه الخاص هذا المريض هو مورجان فريمان وهو ميكانيكي هادئ متزوج منذ أكثر من خمسة وأربعين عاما من زوجته المحبة فيرجينيا ولديه منها ثلاثة أبناء. ورغم قسوة فكرة المرض ، إلا أن الفيلم قد يميل للخفة والكوميديا ، فتنشأ علاقة صداقة بين الرجلين رغم اختلاف طباعهما ، ويمران معا بمراحل علاج يعرفان بعدها أن امامهم وقت قليل قبل الوفاة . فيقررا أن يحققا قائمة أمنيات كان قد كتبها فريمان ، ويضيفا عليه بعض رغبات لنيكسون وينطلقان في اللهو والسفر .

وقد كان فيلم "كيف تعرف؟" آخر فيلم شارك جاك نيكلسون في تصويره حيث بدأ عرض هذا الفيلم في دور السينما في ديسمبر عام 2010.

رحلة بحث عن آفاق أرحب للعمل الفني

أعمال الفنانة التشكيلية آسيا الكعلي

صالح سويسي

تقول الفنانة التشكيلية التونسية آسيا الكعلي «انطلقت تجربتي مع فن الرسم باستعمال القلم الفحمي وقلم الرصاص، بهدف خلق صفات تشكيلية وجمالية معينة بلغة بصرية ثنائية الأبعاد، ولتمثيل مواضيع كالمجسمات والمنحوتات النصفية والأجساد والطبيعة الصامتة بمختلف أشكالها».

وتضيف في سياق تقديم تجربتها «هذا المسار الذاكراتي المتحوّل من حقبة زمنية إلى أخرى، انعكس في هذه التجربة التي عكست بدورها مرونة هذه التقنية وانفتاحها ومطاوعتها للتوجهات الجديدة في مجال الإبداع الفني، وهي رسوم تنتقل بنا من مرحلة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر، لتشكل رؤية أو قراءة في ذهن المتلقي، بل تنتقل لتحيك رؤية فنية تترجم وتألّف ما بداخلنا من أفكار وذكريات».

ولعلّ المتأمّل في أعمال آسيا الكعلي، سيعاين البعد الزمني والتحوّلات التي طرأت عليها من منطلقات فنيّة تأسست على رؤية مخصوصة وأهداف مُحدّدة ترمي لتحقيق جماليات مختلفة بلغة بصرية تميل نحو تمثّل الطبيعة والأجساد في أبعادها المتعددة.

وتؤكد الكعلي أنّ ما ترسمه ليس رسوما صامتة، بل فيها روح منها، وأسلوب يترجم أفكارها وطريقة تناولها للمواضيع، ذلك أنّ «ذاكرتها مع الرسوم في تصفحها وتأمّلها مؤانسة وحنين وعود واستمتاع» فالماضي عود وإمتاع في الحاضر، كما في لوحة «أفروديت تستحم» وهي رسم بالقلم الفحمي يعود لسنة 1998، ثم لوحة «أفروديت تستحم» أكريليك على قماش، و«أفروديت تستحم» فوتومنتاج رقمي 2021).

فالماضي والحاضر صِنوان في بناء العمل الفنّي لدى آسيا الكعلي، وهما أساس بناء اللوحة وإن اختلفت التقنيات أو تباعدت المراحل الزمنية (1998-2021)، فالفكرة واحدة والهدف واحد أيضا.

وهنا تقول آسيا الكعلي «استمتعت برسم تمثال «أفروديت» آلهة الحب والجمال والإخصاب، حيث يتّسم جسمها بالرشاقة وتناسب المقاييس، أما ملامح الوجه فهي مثالية وخيالية من أي تعبير، والشعر مقسوم من الوسط بتموّج خفيف في خصلات كثيفة مجمّعة من الخلف. وكانت من أكثر الآلهة الإغريقية ظهورا في الفن نظرا لكونها شخصية قريبة من القلوب، وأيضا لحضورها

في العديد من الأساطير».

الفن بحث عن المعنى المتخفي في عمق الأشياء

في أعمال الكعلي، تتعدّد التقنيات وتتباين التجارب في رحلة متواصلة أساسه البحث والسعي لخلق أبعاد متجدّدة للوحة أو للعمل الفني عموما، فالتجريب يشكّل أحد أهم روافد الإبداع لدى الفنّان وخاصة في مجال الفنون التشكيلية، حيث يمثّل العمل أيًّا كان (لوحة، منحوتة...) هاجسا وحافزا في نفس الوقت، فبياض اللوحة أو خامة الرخام قبل تدخّل الفنان ليست سوى جماد إلى أن ينفخ فيها المبدع من روحه ويبثّ فيها حياةً يتلقّفها المتلقّي برؤيته الخاصة وانتظاراته المتعدّدة.

عَملَت آسيا الكعلي على التلاعب بالصورة الأصلية في ساحة برمجيات «الفوتوشوب» من خلال استنساخها من النسخة الأصل وتركيبها مع صورة جديدة، لتتعدّد وتتحول وتتشابه، وترى أنّ «المعالجة الرقمية تمثّل عنصرا من عناصر التشكيل الفني أدّت دورا مهما في بناء الفكرة وأهمّيتها الوظيفية والجمالية...»

ولعلّ هذا ما يؤكد أنّ الممارسة الفنية اليوم قابلة للتحيين، والتعاطي مع ما توفره التكنولوجيات الحديثة والثورات المتتالية في مجال الذكاء الاصطناعي، ما يوفّر فرصا أكبر وأكثر تنوّعا لدى الفنان ليضيف لتجربته ويتجدّد بشكل متواصل، فالفنان ابن عصره وأدواته ومحامله تتنوّع مع تنوّع الطرق والأساليب، وأفكاره مزيج من رؤيته لمحيطه وللعالم وما توفّره التطورات المتسارعة في كل المجالات.

وهو ما يجعل الفنّان كائنا يحلّق بعيدا عن جميع الأُطر التي قد تفرضها بعض المُسلّمات أو النظريات التي قد تقلّص من مساحات الانطلاق نحو عوالم أكثر اتساعا وأكثر طرافة أحيانا وإن بدت غريبة أو غير ملتصقة بالقوالب التي تثبت الفنان في مكانه دون حراك أو نزوع نحو التجريب، والتعديل، والإضافة، والتحيين.

وهنا تكمن قدرة الفنان على مواكبة ما يفرزه واقعه دون انصهار أو ذوبان، بل في تماهٍ وتجاوب وتجاوز، ليبرز بذلك قدرة العقل البشري على التحوّل والتأقلم والتموضع بما يتيح إمكانات أخرى أمام الفنان للتخيّل على مستوى الأفكار، ولاختيار صائب لأدوات تنفيذها بما يبشّر بفتحٍ جديد مع كل عمل جديد.

مما لا شك فيه أنّنا نعيش اليوم واقعا مفتوحا على كل الاحتمالات، وموغلا في التخيّل بفضل ما يتيحه العلم من بوّابات مُشرعة على اللانهاية، ولعلّ هذا ما يجعل العمل الفنّي أمام تحوّلات هامة ومصيرية وبالتالي يجعل الفنان أما خيارات تبدو محدودة ولكن مع قليل من التركيز والجنون الجميل سيتأكد أنها متعدّدة ومتنوّعة، والنتيجة الحتمية ستكون أعمالا فيها من البحث والجمالية ما يزيد من انتظارات المتلقّي وطُرق استقباله للعمل والتعامل معه.

مغامرة بحثية وجمالية

إنّ أعمال الفنانة التشكيلية آسيا الكعلي، ليست وليدة الصدفة، بل هي نتاج طبيعي لرحلة البحث المتواصل عن أشكالِ تعبير جديدة، والسعي لتنفيذ أعمال تُشبع رغبة الفنانة في إنجاز ما تريد وتؤسس لعلاقة تفاعلية مع المتلقّي تربط الماضي بالحاضر مع نظرة جريئة نحو القادم بما هو حلم أو اشتهاء.

فالماضي بما هو خزانة الذكريات، يُخبّئ في أدراجه حكايات وأحداث ووقائع لا تمّحي، قد تفقد بعض بريقه لكنها تلتصق بكل تفاصيل حياتنا، وبالتالي يمكن أن تمثّل حافزا ومؤثرا في نفس الوقت ليكون الفنان أمام خزّان من الصور التي يمكن أن تتشكّل أعمالا فنيّة.

وهنا تقول الكعلي أن «الاهتمام بكل ما يتعلق بذاكرتنا أصبح متقلصا جدا، والذاكرة في التجربة الفنية مغامرة بحثية وجمالية في سياق الإبداع الفني، ووسيلة نقل عبر الأزمنة تحملنا إلى المخزون الذي عايشناه وحفظناه في ذاكرتنا، حلمناه وتمثلنا صوره في خيالنا».

آسيا الكعلي اختارت أن تشتغل في هذه التجربة على مجموعة من الرسوم بآليات تشكيلية وتقنية رقمية وفق منهج جمالي معاصر، رسوم تعود بها إلى فترة دراستها بالمعهد العالي للفنون الجميلة بتونس، حيث مارست هذه التقنية قبل دراستها الأكاديمية ثم صقلت موهبتها بعد الدراسة، لذلك سمّتها بـ«عود على بدء»، واختارت إعادة توظيف هذه الرسوم التراثية بإعادة رسم بعضها بتقنيات ومواد أخرى لتتحول إلى رؤى جمالية تسرد حكايات وذكريات.

إنّ الفن عند آسيا الكعلي هو «بحث عن المعنى المتخفّي في عمق الأشياء من وجوه ومنحوتات وطبيعة صامتة وتكوينات وتجريدات وغيرها من تقنيات وأساليب التعبير التشكيلي، وهو بحث عن معنًى متفرد يجد لذاته أشكالا عديدة ومتنوعة للتجلي، ولن يكون العمل الفني متكاملا إلا إذا كانت له روابط وثيقة بالفنان بذاته وبمجتمعه».

وفي الختام، لابد من إعادة التأكيد أن أعمال آسيا الكعلي، تمثّل رحلة بحث لا تنضب، نحو آفاق أكثر اتساعا وأشدّ التصاقا بالذات وانفتاحا على الآخر.

آسيا الكعلي

فنانة تشكيلية وباحثة في مجال الفنون المرئية، أصيلة مدينة قصرهلال، خريجة المعهد العالي للفنون الجميلة بتونس، متحصلة على الإجازة في الفنون التشكيلية «اختصاص رسم» وشهادة ختم الدراسات المعمقة اختصاص «علوم وتقنيات الفنون» بالمعهد العالي للفنون الجميلة بتونس، وهي أستاذة بالمعهد العالي للفنون الجميلة بسوسة منذ سنة 2011، متحصلة على الدكتوراه في مجال «جماليات الفنون وممارساتها: مادة نظريات الفن» بالمعهد للفنون الجميلة بسوسة، بالإضافة إلى أنها كاتبة عامة بالجمعية المتوسطية للفنون التشكيلية المعاصرة، شاركت في العديد من المعارض الجماعية والخاصة بتونس، المنستير، سوسة، القيروان، الكاف، المهدية، كما أنها شاركت في العديد من الملتقيات والندوات العلمية بسوسة والمنستير وتونس ونشرت لها العديد من المقالات في مجال الفنون المرئية المعاصرة.

جهات

بنزرت

تحت اشراف المركب الثقافي الشيخ ادريس ببنزرت ينتظم معرض تشكيلي "شغف أزرق" للفنانة نجلاء كبير .

افتتح المعرض يوم 27 ماي ويتواصل الى يوم 05 جوان الحالي

بالمركب الثقافي الشيخ ادريس ببنزرت

الشابة

تنظم جمعية الشابة للفنون والمحيط بالتعاون مع جمعية النهوض بالطالب الشابي الدورة الخامسة لصالون قبودية للفنون التشكيلية .

الإفتتاح تم يوم السبت 3 جوان ويتواصل الى يوم 3 جويلية القادم.

ويذكر انه مباشرة إثر حفل الإفتتاح صالون قبودية للفنون التشكيلية نظمت جمعية الشابة للفنون والمحيط بالتعاون مع جمعية النهوض بالطالب الشابي عرض آدائي للفنان التشكيلي لسعد القاسمي بقاعة العرض توفيق فرح بجمعية النهوض بالطالب الشابي.

تونس العاصمة

تحت إشراف وزارة الشؤون الثقافية نظم منتدى الفكر التنويري التونسي بالتعاون مع المؤسسة الوطنية لتنمية المهرجانات والتظاهرات الثقافية والفنية ندوة فكرية لتكريم الشاعر الفنان "عبد الرزاق كرباكة"، وذلك يوم السبت 03 جوان بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي.

وتم تدشين بالمناسبة المعرض الوثائقي الخاص بالشاعر عبد الرزاق كرباكة.

وتناول اللقاء جوانب من تجربة الشاعر عبد الرزاق كرباكة من خلال المداخلات الفكرية التي انتظمت بالمناسبة، ومنها" كرباكة تاريخ ذاكرة" و"كرباكة والريادة في تطوير القصيدة الغنائية" وغيرها.

وشارك في هذه الندوة الفكرية عدد من الأساتذة على غرار ابتسام الوسلاتي ورشيد القرقوري والجليدي العويني والحبيب بن فضيلة وغيرهم.

الفضاء الثقافي فندق الحدادين صفاقس

شهد الفضاء الثقافي فندق الحدادين يوم الحميس الفارط عرض مسرحية "صحاري الحب" سينوغرافيا وإخراج حافظ خليفة .

نص هذا العرض مقتبس عن روميو وجوليات للكاتب شكسبير اما ممثلي هذه المسرحية فهم صالح الجدي ،صلاح مصدق ،سهام مصدق ،محمد توفيق ،عبد اللطيف بوعلاق ،لطفي الناجح ،اماني عبد اللاوي ،ادم الجبالي ،نادية تليش ،حنان شمام ،كمال زهيو ،محمد بوبكر واحمد الصويعي وبمشاركة ممثلين شبان من تكوين فضاء المسرح الصغير بمدنين عزالدين المهداوي ،الاء الفرجاني ،فاطمة الكمالي ،رنيم الكمالي ،ليث البشراوي ،اشرف عاشور ،موسي مشهور ،عمر مشهور ،معتز دبوبة ،ذاكر المومني ،اياد عطوي ،نضال الخرشوفي ،سليم موسي واشرف عاشور .

وابرز هذا العمل قيمة الحب بزمن الصراع العشايري خاصة بين قبايل الشرق والغرب في الصحراء بحسب المخرج الذي اضاف صحاري الحب هي ملحمة عودة للحب والتسامح ونبذ القبلية والعشائرية التي طفرت بالاونة الاخيرة بالجنوب التونسي .

اقتبست ملحمة صحاري الحب من الأثر العالمي (روميو وجولييت) وتم تحويلها في شكل ملحمة موسيقية فرجوية تتحدث عن مشكل القبلية والعنصرية العشائرية بالصحراء مع الدعوة الى الحب والتسامح البشري واجتناب العداوة والثار كي لا يتوارث الاجيال القادمة العداوة والبغضاء.

واعتمد المخرج حافظ خليفة في تناوله للعمل الملحمي على البلاغة الشعرية للبشير بن عبد العظيم في صياغة حكاية هي الأقرب وجوديا وإنسانيا الى حكايته الشخصية حيث ان الشاعر عاش أيضا حكاية الحب الصادق وعاني الأمرين من جراء العصبية القبيلة والتاع بألم الفرقة والتفرقة والإقصاء فصاغ كلمات أشبه بصرخة ألم أو غصة مدفونة في القلب ، صادقة في تعبيراتها ووجدت في هذه الملحمة فرصة الإنعتاق لتروي للناس نتائج مصيبة الثأر التي تعكس رواسب عقليات قديمة أكل عليها الدهر تفرق بين المحبين وتقطع أوصال العائلات وتؤجج نار العداوة لتتوارثها أجيال واجيال .

وانطلاقا من هذه المقاربة الإنسانية تفتق ذهن الموسيقار رضا بن منصور ليغوص في عمق التراث الموسيقي البدوي معتمدا على أغاني وهمهمات وأهازيج وموسيقى تصويرية تتماشى مع الأبعاد الدرامية والانسانية لمختلف المشاهد والصراعات والتطور التصاعدي للاحداث احتفالية كانت ام حربية بين الشقين المتحاربين الشرق الغربي والشرق الشرقي

فضاء الإبداع

قصة

awatefbeldi@gmail.com

إرهابي الطائرة

توفيق الذكر

أوقف السيد منصور معلم فرنسية السادسة ابتدائي حركته الأخيرة بعد أن وقع نظره على زميله لطفي معلم العربية قادما نحو القسم، هو ينهي الدرس كعادته ببعض من سيرة السلف الصالح والايقاظ الديني كما يسميه. أنهي حديثه للأطفال: «إذن يوم القيامة سنكون جميعا خائفين حتى الإباء لن يتعرفوا على أبنائهم...». فترالان حماسه وارتبك فسارع إلى جمع أدواته. قبل ان يغادر القسم مسرعا بقامته القصيرة ووجهه الصغير الذي تغطيه نظارة سميكة وذقن مهمل وراس محسور بطاقية بيضاء توجه لأنجب تلاميذه: « حاتم افسخ الصبورة «، ثم انكمش جسمه وهو يمرق من الباب من دون وان يرفع رأسه نحو زميله لطفي الذي وقف منتظرا على بعد خطوات. أفاق حاتم من شروده فقفز من مكانه في اول الصف دفع بشدة زميله الذي حاول مساعدته وانهال على الصبورة يفسخها في حركة سريعة ومتوترة. دخل السيد لطفي القسم فسبقته رائحة عطره وأعطى ارتطام حذاءه بالأرض إيقاعا شد انتباه تلاميذه فعدل كل من جلسته وركز نظره في وجه معلمه المنتصب وسط قاعة الدرس بقامته الفارعة وبذلته الرسمية...مر الوقت سريعا أرجعت خلاله امتحانات الأسبوع الفارط فكان حاتم متفوقا كالعادة بينما أصلحت جماعيا أخطاء التلاميذ، ختم درسه: «نحن هنا لنتعلم ان فشلنا نعيد المحاولة ولا نياس»... علا هرج الصغار وهم يغادرون باب المدرسة المفتوح على مصراعيه في بهجة ظاهرة بانتهاء الدروس...علا ضحكهم على خطئ زميلهم منعم وإخفاقه في رسم الهمزة كان منعم كعادته بطبعه الحركي الميال للهو يشاركهم الضحك ويحاول تقليد غضب معلمه لطفي بحركات مسرحية، ثم علت محياه ابتسامة حالمة وهو يقول بصوت عالي:» بصراحة برغم صعيب انا نحبو سي لطفي» اجابه احد الأطفال:» هو يحب حاتم». قال اخر:» كلهم يحبون حاتم حتى سيدي منصور والمدير»...قال الثالث: "حاتم اول القسم وليس مشوشا مثلك يا منعم». أضاف رابع:» والده يهدي لهم الفواكه والبيض». قهقه الأطفال ومعهم حاتم الذي أراد ان يضيف بان لا دخل لهدايا والده في تميزه وبانه يراجع دروسه بانتظام لكن خجله غلبه امام هيجان أصدقائه فلاذ بالسكوت وقد ارتسمت في ذهنه صورة والده الفلاح الطيب البسيط الذي يوفر لهم حياة كريمة بخدمة ارضهم الصغيرة بأحد أرياف الشمال الغربي:» نحن لم ندرس اجتهد لتصبح معلما مقدرا ومحترما مثل السيد منصور» كثيرا ما ردد والده... بلغت حالة الاستنفار داخل مطار العاصمة العربية أشدها، علا صراخ رجال الامن وتوترت حناجرهم، تعالت نداءات أجهزة الاتصال اللاسلكي المحمولة فتجاوزت ازيز الطائرة بوينغ 767 العملاقة الرابضة في مواجهة الممر، نفذ صبرها في انتظار التحليق عاليا وقد تأخرت عن موعدها بثلثي الساعة. ارتسمت الحيرة على ملامح الطيار وهو يهم بمغادر مقصورة القيادة وقد سبقه طاقم الطائرة استجابة لأمر عاجل من سلطات أمن المطار، كانت مكبرات الصوت لا تزال تكرر طلبها: « الرجاء من طاقم القيادة وجميع الركاب مغادرة الطائرة فورا». التفت الطيار الى مساعدته وهي تجمع اقلام زينتها وقد طغت صفرة على وجهها غطت كل المساحيق المسكوبة منذ الصباح الباكر خاطبها مهدئا: «اهدئي يا نرجس. نحن لا زلنا في البر». لذلك أخاف لو حلقنا لهدأت»، امسكا بيدي بعض وغادرا مسرعين...كان المضيفون والمضيفات وبعض المسافرين قد سبقوهم فتحول الجسر النفاث بين الطائرة وقاعة المسافرين الى حلبة ركض، تصاعد صراخ المسافرين وهم يتدافعون، علا بكاء الأطفال ونداء النساء فعمت الفوضى وكثر الازدحام. في الداخل حاول مضيفو الاستقبال وعمال المطار تهدئة المسافرين والتخفيف من ذعرهم...شرعت الفرق الأمنية المختصة في افراغ امتعتهم وتفتيشها بعد أن سبقتها فرقة أخرى أحاطت بمسافر كان يجلس بآخر مقاعد المقصورة الخلفية. أجبر على النزول بعد ان جرد من ثيابه وفتش بدقة وقيد...

أستدعي منعم ونرجس الى قسم امن المطار، تجاوزا الردهة الخارجية المكتظة بالأعوان المستنفرين وتوجها نحو مكتب الضابط رئيس القسم، ارتدى هذا الأخير لباس بلده التقليدي وجلس وراء مكتبه متجهم الوجه وقد بان عليه التعب وقلة النوم يبدو وأنه قد وصل للتو من بيته بعد ان أعلم بالحادث. رفع بصره من حاسوب كان أمامه وخاطب قائد الطائرة بلهجة تونسية متعمدة: - ألغيت الرحلة ماكش ماشي لتونس اليوم. - ما الذي وقع سيدي. - وجدنا سلاحا على الطائرة وأوقفنا المتهم كنا نعرفه ونتتبعه... الحمد لله على سلامتكم. ثم أضاف: - في بلادنا أمن متطور...هنا أشاح بوجهه إنهاء للحوار وقد بان عليه توتر ونفور من الطيار ومساعدته مما جعلهما يسارعان بمغادرة مكتبه وقد غلبت عليهما المفاجأة، تساءل منعم في داخله وقد حيره تصرف الضابط: «يبدو وأنه قد تم اكتشاف عمل إرهابي لكن ما ذنبنا نحن!؟»... عبرا المسافة الفاصل بين قسم الامن والممر الرئيسي نحو الدرج الالكتروني، كان مكتظا فغيرا اتجاههما نحو المصعد توقفا على بعد خطوات قليلة بعد ان منعا من التقدم. أحاط أمنيون بالمصعد وقد تأبط كل سلاحه وتوجه نظره نحو بابه. فتح فجأة ونزلت منه فرقة أخرى ببدلة مغايرة يتوسطها موقوف مقيد اليدين الى الوراء وقد تأبط ذراعيه عونين متيني البنية في حين أشهر اثنين من ورائه وثلاثة من امامه أسلحتهم...لم يكن الامر في حاجة الى الكثير من التخمين: إنه إرهابي الطائرة تسمرت نرجس في مكانها في حين كان فضول منعم كبيرا، تقدم من موكب الأمنيين وخاطب أقربهم إليه مشهرا بطاقته المهنية في محاولة لمباغتته وتحصيل موافقته: - انا منعم طيار الرحلة الملغاة هل تسمح لي من فضلك ان اشكر الاخوان الأمنيين الذين انقضوا حياتنا وجميع المسافرين. حدق الأمني من وراء القناع الأسود في منعم بعينيه البيضاويتين بتردد وحيرة ثم تنحى جانبا بعد إشارة من رئيس الفرقة المصاحبة للمقبوض عليه... اقترب منعم من المجموعة، كان مستعجلا ومدققا النظر بفضول صارخ...فكيف هو هذا الذي يريد قتل الجميع ونفسه داخل الطائرة!؟ مد يده مسلما على رئيس الفرقة ثم استقر نظره على المعتقل فكانت المفاجأة التي تنتظره صاعقة، لم يتوقعها يوما في حياته!! تسمر منعم في مكانه وقد اختلطت عليه الصور والفترات والاحداث ثم استقر ذهنه في واقعة جدت معه منذ ما يقارب السنة...

كانت الساعة تشير إلى حوالي التاسعة ليلا، هو يقضي ليلته الثانية بفندق الهلتون وسط المدينة. خرج منعم من غرفته باتجاه المطعم بنية العشاء قبل النوم باكرا إذ ينتظره غدا فجرا سفر طويل إلى الفليبين. كان صخب المرقص يأتي الى مسامعه من بعيد، مشى وسط الممر إلى أن تجاوز بابه حيث علا صوت الهرج وتسللت رائحة الدخان...على بعد خطوات منه ارتطم به أحدهم من الخلف وهو يخرج مسرعا التفت وراءه بينما انحنى الرجل كي يلتقط سيجارة وقعت منه ثم رفع رأسه، حدق كل في الاخر ابتسما لبعضهما ثم تعانقا، إنه صديق طفولته حاتم الذي لم يره منذ سنوات، كان مصحوبا برجل أشقر ذا وجه طويل بملامح اسيوية وتعابير جافة...- حاتم كيف حالك - بخير يا منعم وأنت؟ هنا اشتم رائحة كحول من نفسه - تشتغل هنا؟ ضاحكا: هنا ولا اشتغل - مجاز في الفرنسية على حد علمي؟ - نعم ثم وبلهجة حزينة: هنا كما في بلدنا لا قيمة لشهادتنا -العمل موجود مسألة وقت -لا عدل في كل العالم الاشرار يديرونه على مزاجهم - لا تهول الامر يا صديقي ستعمل وينتهي كل شيء - حتى البيرة تنهي كل شيء وانفجر ضاحكا... - درسنا معا في السنة السادسة ابتدائي - نعم ذكريات جميلة - عند السيد لطفي. -لا السيد منصور...ثم أضاف وكأنه يحادث نفسه: الرجل الفاضل الذي علمنا الكثير... سرح بعدها للحظات ثم أكمل بنبرة ثقيلة ومتلعثمة: -أتركك الان صديقي اراك لاحقا... تبادل الصديقان ارقام الهواتف وافترقا، يومها خمن منعم: «غريب حاتم سكران!؟ أعرفه جدي ومثابر حتى في الثانوية كنت اراه بنفس الاجتهاد والتحفظ برغم وفاة والده إثر سقوطه في بئر قيل وان شركة اشغال قد حفرتها عنوة في ارضه...بعد وفاته واصل اعمامه عملهم بالفلاحة وتوفير كل متطلباتهم فظلت عائلتهم مكفولة دون خصاصة... يبدو وأن الحظ لم يحالفه حتى في بلاد الغربة نحن الان قريبين سنجدد صداقتنا» حاول منعم الاتصال بحاتم لكنه لم يتلق ردا منه الا بعد أشهر عديدة اذ وصلته رسالة مقتضبة: «منعم أنا حاتم أطمئنك بأنني بخير أحمد لله الذي نصرني فنجوت بنفسي... انني ارى النور وسط عائلتي الجديدة سأتصل بك كي نلتقي». يومها استبشر منعم برغم غموض الرسالة لكنه أرجأ أسئلته للقائهما الموعود...لم يتصل حاتم ولم يره منعم وها هو الان يفيق من صدمته ليجد نفسه أمام رفيق صباه مقيدا ومحاطا برجال أمن عتاة...هو نفسه الإرهابي الذي بث الرعب في الجميع واستنفر مطارا بأكمله فهل هذه حقيقة أم خيال!؟ ارتبك منعم وتراجع باتجاه نرجس:» ما بك هل تخاصمت معهم؟

- لنمشي من هنا أولا...

بعد يومين من الحادثة استؤنفت الرحلة الى تونس. كلفت نرجس بمهمة قيادة الطائرة بينما تمتع منعم بإجازة مرضية فقد اثرت فيه الحادثة فتعكر مزاجه واضطرب نومه. في آخر كرسي بالمقصورة الخلفية أين أوقف الإرهابي سابقا جلست امرأة تلاعب طفلها الصغير ثم غلبهما النعاس فاحتضنته وغطا في نوم عميق...استرخى منعم في الكرسي المحاذي لمقصورة القيادة وسرح في تأملاته... التفت فجأة فرأى حاتم يجلس إلى جواره واضعا على ركبتيه محفظة مدرسية فتحها وسحب منها سيجارة أشعلها فتصاعد منها دخان ذا رائحة قوية مخدرة ثم امتدت يده ثانية الى المحفظة وأخذ هذه المرة قضيبا معدنيا غليظا شبيها بعصا المعلم انهال به على البلور الجانبي ضاحكا: "لا عليك سأفتح النافذة فلا يزعجك الدخان» هجم عليه منعم: هل تريد قتلنا؟ رد صوت انثوي صارخ: اترك يدي...- أه سامحيني سيدتي... قهقهت: تحلم؟ أفق لقد وصلنا... صحا منعم من غفوته فانتصب واقفا وقد بدأت الطائرة تستعد للنزول، ترجل الطفل من أحضان أمه وركض باتجاه مقدمة الطائرة، عند باب مقصورة القيادة ارتطم راسه بركبتي منعم الذي اخذه بين احضانه بينما امتد نظره من النافذة حيث بانت المناظر الخلابة للسهول وغابات الأشجار... تونس تتثاءب وتنفض أثر النوم، تغسل وجهها من ماء المتوسط كي تستقبل يوما جديدا حادث منعم نفسه: من هنا بدأت المتاهة وهنا تكون بوابة الخروج غير ذلك هو إمعان في التيه – تمت

الدوحة 24 ماي 2023 -

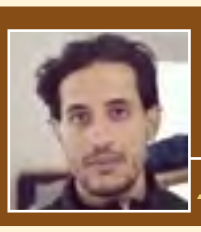

خائف من لا شيء

صابر أولاد أحمد

في وقتِ الإستراحة التّي فرضها «خوانْ» على البقيّة، كانَ لا بدّ عليهِ من طرحِ ما يجولُ بخاطرهِ في الأيام الماضية، لقدْ أوشكَ على الفنَاء، إذ أنّ الخوفَ والحيرة اللذانِ أصاباهُ يجبُ أن يزولَا.

فكّر كثيراً، ما إذا كان عليهِ أن يخبرهم أو ينتظر قليلا .

في الأثناء ذهب مَارتيناز مع صديقِ خوان أسفَل الصّخورِ دون أن ينبسَا ببنتِ شفة، وكانت هناك في الأسفلِ نباتاتُ أقحوانٍ مزهرةٍ وشجرتيْ كالابتوسْ، الأولى طويلةً، تمتدّ أطرافهَا فوق الثانية التي لا يتجاوزُ طولهَا ثلاثة أمتار، وآثار مشيٍ لبعض الحيوانات .

بقيَا هناكَ وقتًا طويلًا، يراقبانَ امتداد الأرضِ الصّفراء من أسفلِ التّلّ، ما دفع مارتيناز إلى التوجّه إلى صديقهِ الجديد وسألهُ بصوتٍ قد تأقلمَ تمَامًا مع المكَان :

- هل ينتَهي هذا الإمتداد؟

- لا بدّ أنّه ينتهي، ككُلّ شيء !

أين ؟

-في مكانٍ ما .

-أخافُ مِن المجهولِ يا صديقي ؟

-لا بدّ منْ أنكَ تعاني من أمر ما .

أنظُرْ! أنَا أيضاً مجهولٌ، أرجوك لا تخفْ .

وتَلى كلامهُ الصمت والنّظر في الإمتداد مجدّدا.

-لنعدْ يا صديقي صوبَ أندريهْ، لقد تركناهُ بمفردهِ .

وصعدَا التّل على مهلٍ، وقاطَعَا تفكيرَ آندري الذي يريدُ أن يحكي لهمْ ما حدثَ معهُ الأسبوع الماضي من أسَى .

-هلْ بقيتَ هنا، كان عليكَ أن تأتي معنَا، لقدْ كانَ إمتداد الأرض دونَ حدّ، هل تصّدقُ ؟

-هلْ تشعُرُ بالتّعبِ من المسير .

ردّ آندريه محدّقاً في وجه صديقهُ:

بلى، لم أتعبْ!

ولمّا همّ بالحديثِ معهم..

صاح صديقهُ الذي بقيَ يراقبَ المكَان من كلّ الجوانب :

-لقدْ تأخّر الوقتُ، علينَا أن نعودَ للمسيرِ، حتّى نصل عندَ الغروب!

وبقيَ آندريه ، دونَ كلام، وجمعَ أمتعتهُ بكسل، كأنّ من صعقَ يديهِ وركبتيهِ بالكهربَاء فبقيتَا لا تقدرانِ عى الحركةِ، واندمجَ معهم في المسير .

أنتريتي نبّار

سمير العيّادي الصّديق والمعلّم

إنتظمت يوم 31 ماي الفارط ببيت الرواية بمدينة الثقافة ندوة خاصة بالذكرى 15 لوفاة الروائي والشاعر وكاتب السيناريو والممثل الراحل سمير العيادي اشرف على تنظيمها صديقنا الدكتور علي بالعربي.

ولد سمير العيّادي (وإسمه الحقيقي العيْادي بن سمير) بمدينة المطوية في الجنوب التّونسي يوم 24 أفريل 1947، وانتقلت عائلته للعيش بالعاصمة تونس سنة 1950.

درس في معهد خزندار بالعاصمة ومنه نال شهادة البكالوريا سنة 1966،ثم اِلتحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس.

إلتحق بوزارة الثقافة منشطا، ثم مديرا لدار الثقافة "إبن خلدون" ثم دار الثقافة "اِبن رشيق" ثم مستشارا لوزير الثقافة انطلاقا من سنة 1985.

عمل بالمسرح ممثلا ومؤلفا ومخرجا له كتابات في القصة والرواية والسيناريو. وقد عرف بشغفه الدائم بالابتكار والتجديد وكان من مؤسسي حركة الطليعة الأدبية بتونس.

-كتب أول نص لفرقة مسرح العرائس وترأّس مجلة"ثقافة" التي كان يصدرها النّادي الأدبي بدار الثقافة ابن خلدون، ومجلّة "المسار" التي أصدرها اتحاد الكتاب التونسيين، ومجلة "الحياة الثقافية" التي أصدرتها وزارة الثقافة والمحافظة على التراث.

نشر في باب القصّة وكتب للمسرح مجموعة كبيرة من الأعمال وأدار مهرجان قرطاج الدولي في مطلع الثمانينات.

كما شارك في عدد كبير من المسلسلات والأفلام التونسية ممثلا وكاتب سيناريو وكان ناشطا في النسيج الجمعياتي كعضو مؤسس بجمعية السينمائيين التونسيين وعضو اتحاد المؤلفين المحترفين وعضو نادي القصّة وعضو اتحاد الكتاب التونسيين...وتوفيّ في مقُر سكناه بأريانة صباح يوم السبت 31 ماي 2008 عن سن تناهز 61 عاما.

عرفته لمّا كان يدير دار الثّقافة ابن خلدون وكنت في تلك الفترة رئيسا لحركة نوادي السينما،دعاني لأتولّى البرمجة السينمائية بدار الثقافة خلفا للصديق حاتم الطّويل المضطر للسّفر للدراسة بالخارج...

قلت له:"يا سمير راني مازلت صغير على مثل هذه المهمّة وانتمائي لليسار يمكن ان يتسبّب لك في مشاكل"...

فضحك "هاك الضحكة" السّاخرة المعروف بها وقال:"انا نموت على المشاكل...وبالنسبة لليسار انا قلبي يدق على اليسار...اما الخبزة مرّة...لا عليك الوزير مثقّف وصديق وموش باش يهبط لها السّفاسف"

وبدات رحلتي مع سمير العيّادي الأخ الأكبر والصّديق والمعلّم....كنت في كلّ مرّة أطرح فيها فكرة ايّ تظاهرة الّا ويرشدني كيف تتجسّد على ارض الواقع..يبوّبها إلى عناصر وكل عنصر يفرده بموضوع معين ومن يتدخل فيه... تعلّمت عليه اسرار التنشيط والبرمجة في الفضاءات الثقافية العامة... فسمير العيّادي هو من جيل رجاء فرحات وعزالدّين المدني وفرج شوشان ورؤوف الباسطي وعلي اللواتي وغيرهم من أساطين الثقافة والفن في تونس فهم عبارة على موسوعات ثقافية جامعة تنهل منها ما تريد ...

وكانت اوّل تظاهرة سينمائيّة نقيمها بدار الثقافة وقتها تكريم المخرج السّوفياتي ايزنشتاين حيث عرضنا معضم أفلامه وأقمنا بالمناسبة معرضا للّوحات التي كان يرسمها لمشاهد أفلامه قبل تصويرها ..وأقيم هذا المعرض لاوّل مرّة في تونس وأشرف على إنجازه بالتعاون مع سفارة الإتّحاد السوفياتي قيدوم نوادي السّينما المرحوم النّوري الجنزوري...

في هذه التّظاهرة علّمني سمير العيّادي طريقة مراوغة الرّوتين الإداري لوزارة الثّقافة بالتّعامل مع إحدى الجمعيّات وتكليفها بكل ما هو اتّصال مع البعثات الدّبلوماسيّة..

ونظرا لنجاحي في البرمجة الثّقافيّة والسّينمائيّة في تلك الفترة بدار الثّقافة ابن خلدون فرضني مساعدا له في مهرجان قرطاج الدّولي مكلّفا بالبرمجة السينمائيّة...واشتملت على افتتاح مغاربي بأفلام "أموك" لسهيل بن بركة من المغرب،و"عبور"لمحمود بن محمود من تونس،و"الرّجل الذي ينظر للنوافذ"لمرزاق علواش من الجزائر....هذه البرمجة السينمائيّة عقبت عرض الإفتتاح الموسيقي الذي شارك فيه ايضا فنّانون من المغرب العربي اذكر منهم عبدالهادي بالخيّاط(المغرب) والهاشمي القروابي(الجزائر)....وهي اوّل مرّة في تاريخ المهرجان يكون فيها الافتتاح بالسّينما وهو رهان ومغامرة اقدم عليها سمير العيّادي وعرفت نجاحا باهرا جماهيريّا وماديّا..

وشارك وقتها مخرجو الافلام في تقديم أفلامهم قبل العرض وأقاموا ندوات صحفيّة بعد العرض...

وأذكر أن سمير العيادي قال لي:" اوّل مرّة نشوف سي منصف بن علي رحمه الله، كان مكلّف بالشؤون الماليّة، يضحك لانّه قبض برشة فلوس وتكاليف العروض كانت زهيدة..."

ومنذ تلك الفترة اصبحنا متلازمين وكان سندي في كلّ المهمّات اللّتي توليتها حتّي تلك التي كان المراد منها معاقبتي وإبعادي عن السّاحة الثقافيّة وأعني دار الثقافة دوّار هيشر...عامتها طلبني سي سمير وحدّدنا موعدا إلتقينا فيه قال

لي :" الوزير هذا معتوه والحاشيّة متاعو اسقط منهم ما ثمّاش ...احسن ردّ عليهم انّك ترجّع دار الثقافة دوار هيشر احسن من دار الثقافة ابن خلدون وانا على ذمّتك جندي من جنودك..." ثم صمت و"جبد نفس" من سيجارته وارتشف "رشفة قهوة" وابتسم "هاك الإبتسامة السّاخرة "وأضاف :"عندي فكرة دار الثّقافة فيها ركح ممتاز...وتقوم بمهرجان محلّي لمسرح الهواة تكرّم فيه عبد العزيز العقربي..الوالي متاعكم سي محمّد التّونسي رحمه الله رجل مثقّف ويموت على المسرح ...هاو توّة نعدّلك برنامج كبير لمهرجان مسرح كبير يليق بالمرحوم العقربي ونسميو الدّار بأسمو "...

وكان العمل كذلك وأقمنا تظاهرة كبرى حضرها عدد كبير من المسرحيين أذكر يومها سألت الناقد والصّحفي محسن عبد الرّحمان عن رأيه قال لي :"حاجة غريبة نشوف الضيوف والمكرّمين والتقديم متاع سي سمير العيّادي والدّيكور والأضواء نقول أنا في المسرح البلدي...نتلفت على اليمين وعلى اليسار نرجع للواقع ونعرف اللّي أنا في دوّار هيشر في قاعة تحوّلت بالمناسبة الى ما يشبه المسرح البلدي"

هذا هو سمير العيّادي الذي عرفته والذي حدّد مصيري من أستاذ تاريخ وجغوافيا إلى منشّط ثقافي حاول أن يحاكي جيل العمالقة وان يخطو خطاهم ...

اللّه يرحمك يا صديقي ورفيقي ومعلمي...

طرائف الزّعيم (ج 367)

بورقيبة والإذاعة والتلفزيون

يقول الأكاديمي عبد العزيز قاسم في كتابه الجديد " بورقيبة المستمع الأكبر" ..

إنها تسمية "نحتناها " على قياس عبارة "المجاهد الأكبر ' وعلى مقاسها، مضيفا أن التسمية "موضوعية، بالنظر إلى استماع الرئيس إلى الإذاعة، طوال ما يقارب ست ساعات يوميا "، كما أن استماعه "لا يقتصر على مجرد التلقّي، بل هو متفاعل مع كل ما يقع تحت سمعه من بثّ. وله في الأحاديث والبرامج السياسية والاجتماعية والأدبية والفنية والترفيهية، رأي وتوجيهات يُفضي بها إلى المدير العام للإذاعة والتلفزة، من خلال اتصالات هاتفية ومقابلات بالقصر الرئاسي متواترة، معلنة وغير معلنة "...ويضيف الاستاذ عبدالعزيز قاسم أن" بورقيبة كان يعتبر الإذاعة (والتلفزة بدرجة أقل)، امتدادًا لاتصاله المباشر، أيام كان يلتحم بالجماهير وهو يجوب البلاد، طولا وعرضا، موقظا، محفّزا للهمم وقد ازداد اهتمامه بهذا الجهاز، مبشّرا بالحداثة وبتحرير العقول، من سلطان الخرافة".

ويرى الناقد والصحفي " خالد نجاح" في إحدى مقالاته عن نشأة مؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية ان الزعيم كان متابعا جيدا للإذاعة التونسية ويستمع اليها يوميا في فترات متباعدة من اليوم وخاصة في الصباح الباكر والمساء .وكم مرة تدخل ليبدي رأيه في برنامج استمع إليه .وكم مرة عبر عن إعجابه بمضمون برنامج فاستدعى صاحبه ليشكره . وكم مرة غضب من مضمون برنامج آخر فاستدعي منتجه لمناقشته في الموضوع دون أن يأمر بعقابه ،وإنما يزيد في تشجيعه .ولئن حصلت استثناءات فهي ليست بأمر من بورقيبة . وينبع وفاء بورقيبة للإذاعة من كونها رافقت بناء دولة الإستقلال وتمكنت بفضل رجالها ونساءها من دخول جميع البيوت وربط علاقات اجتماعية وطيدة مع المستمعين .

ويضيف خالد نجاح ان الزعيم كان يلقي عبر الإذاعة خطابا كل خميس يتحدث فيه عن شؤون الدولة وبرامج الحكومة ويقدم توجيهاته إلى المواطنين. وكانت الإذاعة في تلك السنوات وحتى زمن متقدم من القرن الماضي ربطت علاقة قوية مع المستمعين من خلال إذاعيين وإذاعيات شكل بعضهم ظاهرة اجتماعية مثل المرحوم عبد العزيز العروي والسيدة مليكة بن خامسة وكذلك مجموعة من الممثلين في فرقة الإذاعة الذين كانوا يرافقون المستمعين وخصوصا على مائدة الإفطار في شهر رمضان المبارك بأعمال لا تزال عالقة بالذاكرة الجماعية .

فنّ وفنّانون

سناء يوسف كسوس تنفي إشاعة وفاتها

تداول متابعون بمواقع التواصل أنباء تفيد وفاة الفنانة سناء يوسف كسوس وابنها بحادث سيارة في مصر...وسرى الخبر كالنار في الهشيم في تونس وصدم أحباء وزملاء الفنانة...

واضطرت الفنانة الى نفي هذه الإشاعة وكشفت في تصريح لاحدى البرامج أنها لا تعلم مصدر هذه المعلومة أو سببها، لافتة إلى أنها تلقت الكثير من الاتصالات من أبناء الوسط الفني ومن السفير التونسي في مصر للإطمئنان على صحتها.

وأكدت أنها ستقوم بالإجراءات القانونية لتتبع من يقف وراء مثل هذه الإشاعات.

وقالت "إشاعات الموت وحوادث المرور أصبحت ظاهرة تلاحق كل الفنانين في مصر وأفضل طريقة هي التجاهل".

هند صبري وظافر العابدين معا في الجزء 2 من مسلسل " البحث عن علا"

أعلنت هند صبري، منذ عدة أشهر، عن بدء التحضير للجزء الثاني من مسلسل البحث عن علا، ومن المقرر عرضه على منصة نتفليكس، وتفيد آخر الانباء الصادرة عن فريق الانتاج أن ظافر العابدين قد انضم لأبطال الجزء الجديد من العمل، ومن المقرر أن يبدأ التحضير للشخصية التي يقدمها في الأحداث.

ويشار أن مسلسل ",البحث عن علا" في جزئه الأول تناول الصراعات الشخصية التي تخوضها علا، بعد طلاقها من زوجها هاني عادل.

قانون الهياكل الرياضية :

نواة لمحاربة ظاهرة العنف في الملاعب

نزار الريحاني

مازالت الجماهير الرياضية تنتظر انطلاق العمل بقانون الهياكل الرياضية أملا في أن يكون بوابة إنقاذ عديد الجمعيات من أزماتها المالية ويؤسس لمستقبل جديد بعيدا عن شبح الإفلاس الذي يهدد عشرات الأندية في مختلف الاختصاصات.

كما تنتظر الجماهير من وزارة الإشراف تفعيل المبادرة التي تحدث عنها الوزير كمال دقيش بهدف التصدي لظاهرة العنف التي استفحلت في مختلف المنشآت الرياضية إلى درجة أنها باتت كابوسا حقيقيا يهدد النظام العام في ظلّ محاولة بعض المحسوبين على الجمعيات الرياضية استغلال الملاعب والقاعات لبثّ الفتنة وتغذية النعرات الجهوية.

غول العنف يضرب من جديد

شهدت الملاعب والقاعات الرياضية في الأسابيع القليلة الماضية عشرات حالات العنف من قبل الجماهير والجهات الأمنية حيث تنوعت التجاوزات بين اعتداء على الأملاك العمومية من خلال تهشيم التجهيزات بالمنشآت الرياضية أو الاعتداء المادي على اللاعبين والمدربين إضافة إلى المسؤولين.

آخر حلقات العنف شهدها ملعب بوجمعة الكميتي بباجة أين تعرض مدرب النادي الإفريقي سعيد السايبي إلى اعتداء على الرأس بمقذوفة صلبة مما دفع الحكم إلى إعلان نهاية المباراة في منتصف شوطها الأول.

حادثة ملعب بوجمعة الكميتي بباجة لم تكن الأولى هذا الموسم ولن تكون الأخيرة في ظلّ غياب قوانين ردعية وآليات مدروسة لتطويق ظاهرة العنف والتصدي لها من مختلف الأطراف المتداخلة في تنظيم التظاهرات الرياضية.

وتأتي عودة ظاهرة العنف بالملاعب والقاعات الرياضية في وقت حاسم تعرف فيه كل الاختصاصات مرحلتها الأخيرة إما على مستوى التتويج أو تفادي النزول وهو ما ينبئ بحصول كارثة في الفترة القادمة في ظل غياب محاسبة دقيقة وضبط الأطراف التي تقف وراء اندلاع العنف في المنشآت الرياضية.

وفي غياب القرارات الردعية بشأن التجاوزات من الجماهير والأمنيين على حد سوى قطعا ستكون الطريق مفتوحة أمام الخارجين عن القانون لمواصلة التخريب والفوضى.

ويبدو أن غياب المحاسبة والضرب بأيد من حديد من قبل الجهات المسؤولة فتح باب العنف على مصراعيه ليشتدّ وقعه في الأيام الأخيرة مما يتطلب تدخلا عاجلا لتطويق الظاهرة وإيجاد حلول كفيلة بإنهاء الموسم بعيدا عن الفوضى والمآسي التي وقت في مناسبات سابقة وذهب ضحيتها العشرات دون أن يتم تقييم شامل لمدى تعامل الجهات الأمنية مع الجماهير ومدى التزام الأخيرة بالسلوك الحضاري للمشجع على غرار ما هو موجود في الملاعب الأوروبية أو حتى العربية.

مقاربة جديدة لتطويق الظاهرة

مع احتدام ظاهرة العنف والفوضى نهاية كل موسم تسارع وزارة الإشراف إلى الحديث عن آليات ومقاربة جديدة لتطويق الظاهرة وتسهر على تنظيم ندوات بحضور ممثلي الجمعيات ورؤساء لجان الأحباء ولكن دار لقمان ظلّت على حالها رغم مرور تكفل أكثر من 5 وزراء بملف ظاهرة العنف بالملاعب في العشرية الأخيرة.

وزير الشباب والرياضة كمال دقيش أكد قبل أيام قليلة انشغال سلطة الاشراف من العنف المتنامي داخل الملاعب الرياضية معلنا عن جملة من الاجراءات في علاقة بتنظيم المباريات التي من شأنها أن تساهم في التصدي لهذه الآفة السلبية والحد منها.

الوزير أكد أن العنف أضحى اليوم منتشرا في جميع الرياضات حتى الفردية منها مبينا أن وزارة الشباب والرياضة كانت قد نظمت بالتعاون مع وزارة الداخلية ندوة حول مكافحة العنف والشغب داخل الفضاءات الرياضية بمشاركة جميع الأطراف المعنية من ممثلين عن وزارة الداخلية والجمعيات والجامعات الرياضية وثلة من الخبراء والاخصائيين في علم الاجتماع والنفس والاعلاميين من منطلق حرصها على صياغة حلول ناجعة وعملية وفق مقاربة تشاركية.

وكشف دقيش في حواء مع وكالة تونس إفريقيا للأنباء عن بعض الاجراءات المزمع تطبيقها لاحتواء هذه الظاهرة من ذلك دعوة الجمعيات الرياضية إلى مزيد حث احبائها على اقتناء الاشتراكات واعتماد بيع التذاكر عبر الوسائط الالكترونية وذلك لتحديد هوية مرتادي الملاعب بالتوازي مع التكثيف من عمليات المراقبة عبر تركيز كاميرات ثابتة وأخرى مسيرة (درون).

وأكد أن وزارة الداخلية أعربت عن استعدادها للتعاون بوضع برنامج لتكوين أعوان مختصين في أمن الملاعب يتمتعون بحظوة وقيمة اعتبارية لدى جماهير جمعياتهم بما يجعلهم قادرين على تأطيرها والسيطرة عليها على أن يبقى الحضور الأمني مقتصرا على المحيط الخارجي للفضاءات الرياضية مشددا في ذات السياق على المسؤولية الملقاة على عاتق المسيرين صلب الاندية في ارساء مناخ رياضي سليم من خلال الابتعاد عن التصريحات المتشنجة والسلوكيات غير اللائقة التي من شأنها أن تغذي العنف والفوضى.

قانون الهياكل...نواة محاربة العنف

أخير وبعد انتظار طويل أعلن وزير الشباب والرياضة أنه تم تسليم النسخة النهائية من مشروع قانون الهياكل الرياضية إلى رئاسة الحكومة للنظر فيها قبل إحالتها على أنظار مجلس نواب الشعب للمصادقة عليها.

وزير الرياضة أكد أن مشروع قانون الهياكل الرياضية سيساهم في الحدّ من ظاهرة العنف في الملاعب خاصة أنه سيقضي على عديد الأسباب التي تغذي ظاهرة العنف من ذلك التلاعب بالنتائج.

نقطة أخرى تضمنها مشروع قانون الهياكل الرياضية ويمكن القول إنها قادرة على المساهمة بشكل فعّال في تطويق ظاهرة العنف وهي إحداث محكمة للنزاعات الرياضية كهيئة مستقلة ومحايدة.

ووفق الوزير يتم الالتجاء إلى محكمة النزاعات الرياضية بعد استنفاذ طرق الطعن الداخلي في الهياكل الرياضية وتضم في تركيبتها اعضاء منتخبين من ذوي الكفاءة العالية في مجال القانون الرياضي والمدني والتجاري والاداري والجزائي لإضفاء المصداقية على قراراتها التي تكون نافذة.

واعتبر دقيش أن بعث محكمة النزاعات الرياضية يأتي على خلفية التشكيك الذي رافق الهيئة الوطنية للتحكيم الرياضي التابعة للجنة الوطنية الأولمبية ما دفع بعض الجامعات الى الخروج عن هذا الإطار الهيكلي والتوجه للمحكمة الرياضية الدولية.

كما تطرق كمال دقيش للفرص التي يتيحها هذا المشروع للجمعيات الرياضية على مستوى تطوير مواردها المالية وضمان مداخيل اضافية قارة من خلال تغيير صبغتها الى شركات تجارية ربحية خفية الاسم على ان يساهم النادي على الأقل بنسبة تفوق 30 بالمائة من رأس مال الشركة.

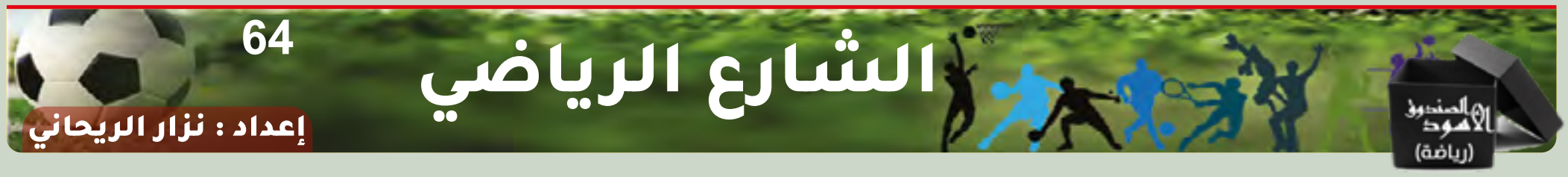

وزيرة السعادة من أجل إنجاز تاريخي جديد

واصلت البطلة التونسية أنس جابر مسيرتها الممتازة في بطولة « رولان غاروس» المفتوحة للتنس وتأهلت للمرة الأولى في مسيرتها الاحترافية إلى الدور ربع النهائي بعد الفوز على الأمريكية برنارد بيرا أمس الإثنين.

وحسمت جابر مواجهة ثمن النهائي أمام اللاعبة الأميركية المصنفة 36 عالميا بنتيجة مجموعتين دون رد بواقع (6-3 / 6-1)، في مباراة لم تستغرق سوى ساعة و4 دقائق من الزمن.

وستضرب أنس جابر غدا الأربعاء انطلاقا من الساعة العاشرة صباحا موعدا في ربع النهائي مع البرازيلية بياتريس مايا حداد المصنفة 14 عالميا المتأهلة على حساب الإسبانية تورمو سورييس المصنفة 132 عالميا بمجموعتين مقابل واحدة تفاصيلها (7-6 و3-6 و5-7) في مباراة تواصلت 3 ساعات و50 دقيقة.

ونجحت البطلة التونسية لأول مرة في التأهل للدور ربع النهائي من بطولة رولان غاروس حيث سبق لها أن ودعت البطولة مرتين من الدور ثمن النهائي في مناسبتين عامي 2020 و2021.

وتضع أنس جابر نصب عينيها التتويج بأول لقب لها بالبطولات الأربع الكبرى للتنس بعد أن فازت المصنفة السابعة عالميا بلقب بطولة تشارلستون الأمريكية المفتوحة في شهر أفريل الماضي محققة أول ألقابها هذا الموسم.

وتأمل وزير السعادة في مواصلة مشوارها بنجاح في واحدة من البطولات الربع الكبرى في عالم الكرة الصفراء بعد وصلت إلى نهائي بطولتي ويمبلدون وأمريكا المفتوحة العام الماضي وحققت أفضل نتائجها في أستراليا المفتوحة بالوصول إلى ربع النهائي في عام 2020.

واستعادت جابر جانبا كبيرا من إمكاناتها البدنية بعد بداية صعبة إثر معاناتها من الإصابات التي دفعتها إلى الانسحاب من عديد الدورات بسبب الإصابة التي حرمتها من مواصلة خوض نصف نهائي دورة شتوتغارت خلال مباراتها ضد البولندية إيغا شفيونتيك وهو ما حرمها أيضا من الدفاع عن لقبها في مدريد قبل أن تعود في روما وتخرج من مباراتها الافتتاحية.

وإضافة إلى الجانب الرياضي من خلال التألق في رولان غاروس تعول وزيرة السعادة على تحقيق عائدات مالية تساعدها على مجابهة مصاريفها الكبيرة في التربصات وكل ما تحتاجه رفقتها مدربها والمعد البدني.

وببلوغها ربع نهائي رولان غاروس لأول مرة في مسيرتها ضمنت البطلة التونسية أنس جابر جائزة مالية قدرها 415 ألف أورو قد تبلغ 590 ألف أورو في صورة التأهل لنصف النهائي.

ويتحصل المتأهل للدور النهائي من البطولة على مبلغ مليون و180 ألف أورو أما المتوج باللقب سيحصل على 2.3 مليون أورو.

وقالت أنس بحسب ما نقل موقع اللاعبات المحترفات: «سأقدم 100% مما لدي سنتعلم من المرات السابقة التي خسرت خلالها في الدور الرابع هنا، وبالطبع نتمتع بخبرة أكبر عن المرات السابقة، دعوا الحلم يستمر».

وأضافت: « «شعاري لهذه البطولة هو: لقد خسرت مرتين في ملعب شاترييه وفزت في المرة الثالثة، خسرت مرتين في الدور ثمن النهائي وفزت في المرة الثالثة، خسرت مرتين في نهائي بطولات الغراند سلام، لذلك ربما ستكون المرة الثالثة سحرية أيضا».

وكتبت البطلة التونسية على صفحتها الرسمية بموقع «فايسبوك» بعد تأهلها للدور ربع النهائي « باريس أشعر بنورك ... إلى ربع النهائي حبيبي».